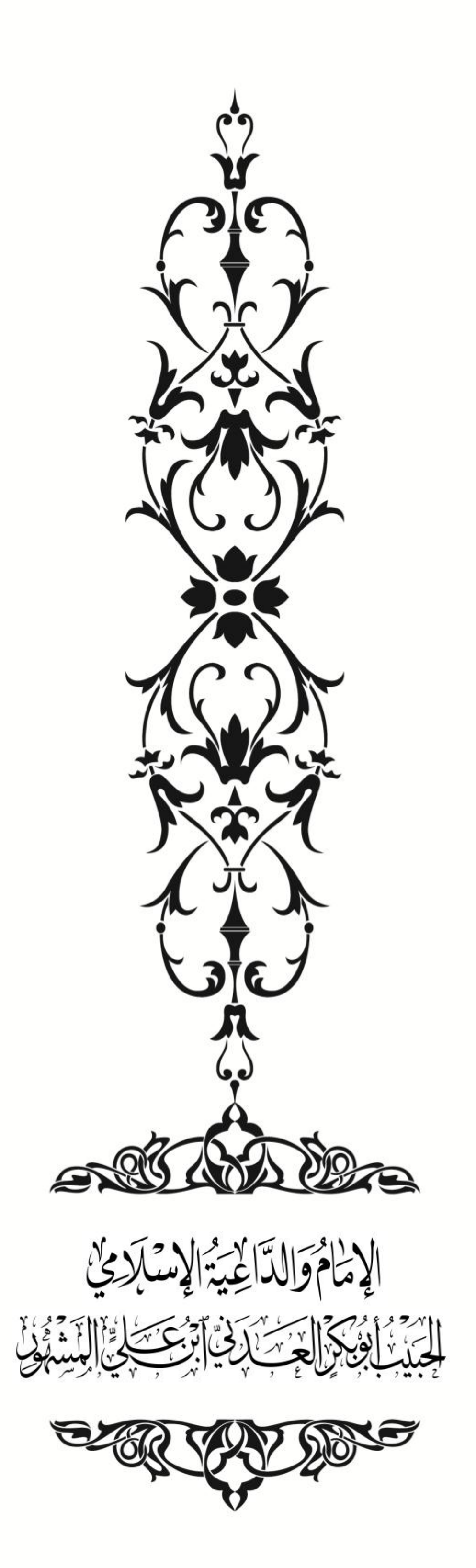

الإمام والداعية الإسلامي
الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور

الموضوع : فكر إسلامي .

العنوان : الإمام والداعية الإسلامي الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور .

المؤلف: الدكتور محمد حمود الأهدل.

رقم الطبعة : الأولى .

سنة الإصدار : ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م .

قياس القطع : ١٧ × ٢٤ .

عدد الصفحات : (٣٠٠) .

التنضيد الطباعي والتنسيق : دار الصلاح للنشر والتوزيع (اليمن - حضرموت) .



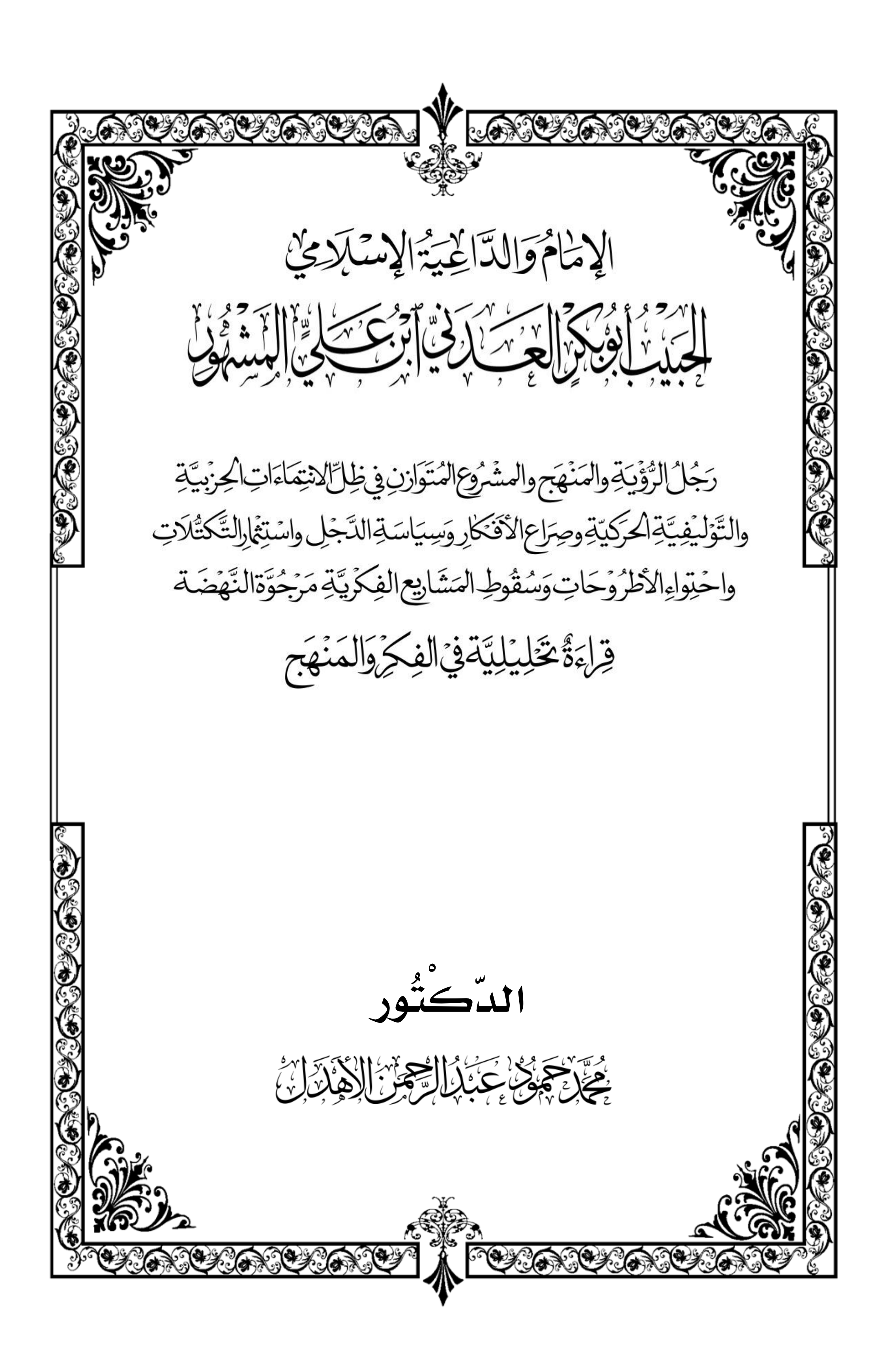
اليمن - حضرموت
www.daralsalah.com
daralsalah2018@gmail.com
00967 - 733822833



١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م







الإمام والداعية الإسلامي

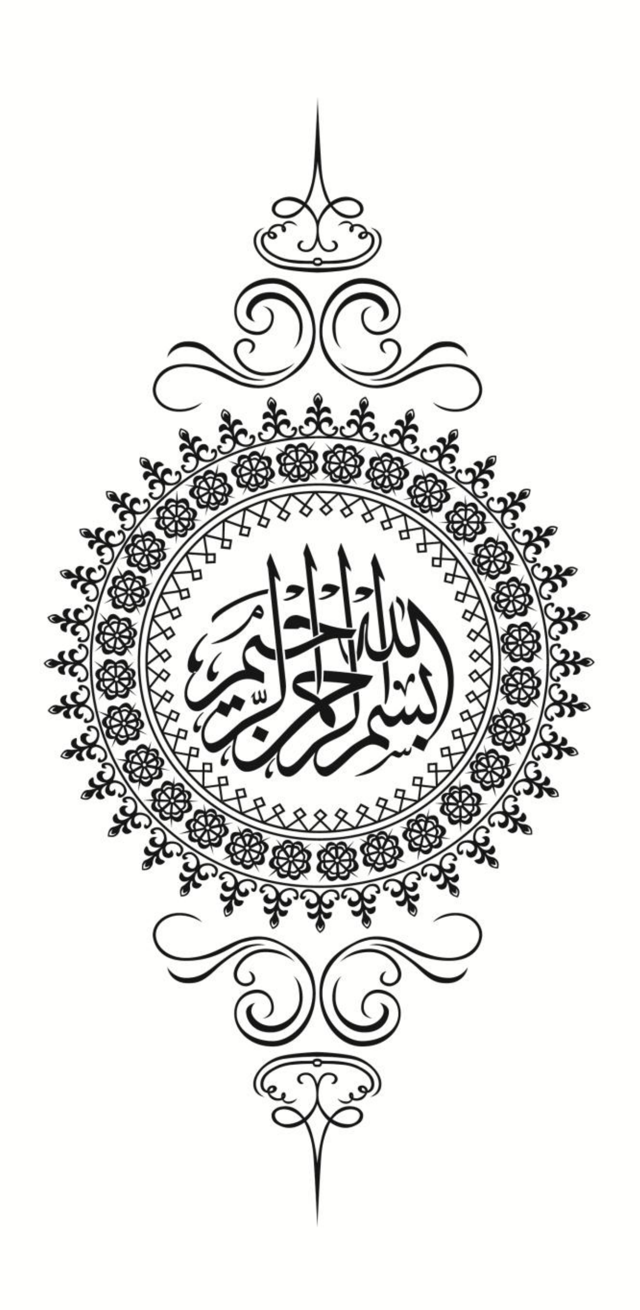
الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور

رجل الرؤية والمنهج والمشروع المتوازن في ظل الانتماءات الحزبية
والتوليفية الحركية وصراع الأفكار وسياسة الدجل واستثمار التكتلات
واحتواء الأطروحات وسقوط المشاريع الفكرية مرجوة النهضة

قراءة تحليلية في الفكر والمنهج

الدكتور

محمد حمود عبد الرحمن الأهدل


بسم الله الرحمن الرحيم



الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور



المؤلف الدكتور

مُحَمَّد حَمُود عَبْدُ الرَّحْمَنِ الأَهْدَل

المطلع القرآني

قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧] .

وقال جل شأنه: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .



المطلع النبوي

- عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا**». وزاد الهيثمي :"ويعرف لعالمنا حقه" . إلا أن الحاكم قال: "ليس منا".

- وروى أبو داود والبيهقي والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺقال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**».



المطلع الأبوي

- " إنّ مَفهومَ تَحديث الوسائل يَحتاجُ إلى زَيادةِ بَحث واعتناء ؛ ليَدفع بالواقع المتجمّد إلى حركة فاعلة وتموّج إيجابي يسمح للإسلام أن يتخذ موقعه في معالجة شؤون الدين والدنيا، بديلاً عن السفسطائيات والتعقيدات والإشكالات المحيطة بالعقول والقلوب . هذه التعقيدات التي غذتها عقليّات المراحل بمزيد من الشكّ والريب ، وسوء التفسير ، وفساد التعليل والتبرير ؛ مما جَنحَ إلى التطرف والاندفاع في تحديد المصير ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون"[1].

- " لعلّ لنا ولأهل عصرنا في مستجدات الرؤى ما يمثل بديلاً شرعياً يجمع الأمة على قاسم مشترك، ويقيم الحجة الناصعة على مدارس التعصّب والأنانية، مدارس الدوائر المغلقة والنظرات الضيقة حاملة فيروس الوهن.. "[2].



١- المشهور ، أبو بكر العدني بن علي، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص ٣٨ ، الطبعة الثانية، أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م .

٢- المصدر نفسه، ص ٤٠.

شاهد الحال

مَـدَدِي مِـنَ الْمُخْتَـارِ لا مِـنْ غَـيْرِهِ إِلّا لِمَـا عِنْـدِي مِـنَ الإِسْـنَادِ
إِسْـنَادِيَ المَعْـدُودُ أَخْـذاً تَالِـداً وَمُسَلْسَـلاً وَمُعَنْعَنـاً بِمِـدَادِ
أَدْرِيـهِ بَـلْ أَرْوِيـهِ وَهْـوَ مَطِيَّتِـي وَالآخَـرُ المَعْـدُودُ رُمْـحُ جِهَـادِي
فِقْـهٌ رُبَـاعِيٌّ يُقِـيمُ ثَوَابِتـاً وَيَصُـونُهَا بِـالرَّابِعِ النَّقَّـادِ
مُتَغَـيِّرَاتُ الأَمْـرِ وَهْـيَ جَـدِيرَةٌ بِدِرَاسَـةٍ مَزْمُومَـةِ الأَبْعَـادِ
مَا كَـانَ لِي فِيهَـا سِـوَى خَـيْرُ الـوَرَى وَإِمَـامِيَ السَّـقَّافُ شَـيْخُ زَوَادِي
وَأَبِي الَّـذِي مَـدَّ البِسَـاطَ وَصَـانَنِي مِـنْ فِتْنَـةِ الإِبْلِـيسِ وَالحُسَّـادِ
مِـنْهُمْ إِلَـيْهِمْ كُـلُّ مَـا أَرْوِيـهِ فِي عِلْمِـي وهـذا غَايَـةُ الإِسْـعَادِ

ناطق المرحلة

إِنَّ اهْتِمَامَـكَ بِالهُـدَى عَـنْ هِمَّـةٍ عُلْوِيَّـةِ الإِصْـدَارِ وَالإِيـرَادِ
وَإِقَامَـةَ التَّرْتِيـبِ تُـؤْذِنُ بَغْتَـةً بِقِيَامَـةِ الأَعْـدَاءِ وَالحُسَّـادِ
وعِـلَاجِ مُنْتَحِـرٍ تَبَـدَّى فاشِـلاً مِـنْ دُونِـهِ خَـرْطٌ لِكُـلِّ قَتَـادِ
وتَحَـوُّلَاتٌ أَظْهَـرَتْ مَكْنُونَهَـا قَـدْ عُورِضَـتْ بِمُعَـاصِرٍ نَقَّـادِ
وَصِـناعةُ الْمُسْتَبْـصِرِيْنَ مَعَـاْرِكٌ مَحْفُوْفَـةٌ بِـاْلهَمِ وَالإِجْهَـاْدِ
وَقِـرَاْءَةُ الْأَحْـدَاْثِ فِيْ ثَوَرَاْنِهَـاْ كَصَـلِيْلِ أَسْـيَاْفٍ بِـلَاْ أَغْـمَاْدِ
هَـذَاْ يَرَاعُـكَ سَـاهِرٌ.. لَمْ تَكْتَحِـلْ عَـيْنُ الهُـدَىْ فِيْ جَفْنِـهِ بِرُقَـادِ
هَـذَاْ لِسَـانُ الحَـالِ يَنْطِـقُ مُفْصِـحاً عَنْهَـا مَعَـانٍ عُنْوِنَـتْ بِسُـعَادِ

أحمد عمر الكاف

الإهـــداء

- إلى شيوخي الذين تربوا في المدرسة الأبوية التقليدية فكان لهم الأثر في تكويني الفكري والعلمي وتَبْصِيْرِيْ وتَبَصُّرِيْ ، فأصبحوا همزة الوصل بيني وبين آبائهم وشيوخهم، وربطوني بمدرستهم الأبوية، وقد كان لهم السبق الأول في وضع النواة الأولى في المعرفة العلمية في ذهني وعقلي(علماء زبيد) فجزاهم الله خير الجزاء، وأثابهم الله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، ورزقني حبهم والوفاء معهم .

- وإلى شيخي العلامة (أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور) الشخصية التي حينما عرفتها وقرأت عنها، وسمعت لها، زادتني ثقة بما أحمل وبما تعلمته، وزال عني الشك في صدق توجهي وتوجه آبائي وأجدادي في المدرسة الأبوية.

- ثم إلى كل شخصية تريد التجديد من خلال ثوابت الإسلام، وتبحث عن الاعتدال الواعي والوسطية الشرعية في حياتها التربوية، والتعليمية، والدعوية من منظور الكتاب والسنة، ومواقف صاحب السنة.

- وإلى الأجيال المعاصرة التي جهلت بموروثها العلمي والمعرفي، وتأثرت بالإعلام المضاد الذي اعتمد سياسة التشويه لشخصيات ورجال المدرسة الأبوية، وانتهجت سياسة التعتيم على هؤلاء الرجال.

- وإلى الذين سلكوا مسلك الإلغاء والإقصاء، ويمتعضون إذا ظهرت مثل هذه الشخصيات في الواقع.

- إلى الجميع أُهدي هذه الصفحات المتواضعة؛ إسهاماً مني في فهم الأجيال لشخصياتنا الإسلامية ذات الرؤية والمنهج والمشروع؛ وفتحاً لآفاقهم؛ وسعة لمداركهم؛ وتصحيحا لمعلوماتهم وثقافاتهم التي تلقوها بواسطة الثقافة الإملائية ، فكان لها مساحة في عقولهم ؛ كي يفتحوا آفاقهم ويوسعوا مداركهم ، وألا يجعلوا لقنوات الإملاءات المغلوطة مساحة في عقولهم.

كلمة شكر وتقدير

من باب الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، ولأهل المعروف بمعروفهم وامتثالاً للدلالة النبوية ، فإني أقدم شكري وتقديري لكل من :

- فضيلة العلامة: محمد بن محمد علي النور – حفظه الله ولطف به في الدارين وأطال الله في عمره وطاعته – من نهج منهج أسلافه في معرفته وسلوكه وصدق في محبته، وعرف بالواعي السديد في ثقافته، من كان كلامه عبرة، وصمته فكرة، وعلاقاته مودة، وسلوكه قربة.

- فضيلة العلامة والداعية الحبيب: أبي بكر بن أحمد الهدار– حفظه الله ورعاه ومتعنا بحياته – والذي عرفني بفكر الحبيب ومنهجه، وأخذني بيده إليه، وقربني منه، واعتنى بي في أكثر من مجال، وجسد الأخوة الصادقة والانفتاح الفكري الذي وجدته في حواراتي معه ومناقشاتي له حول منهجية الحبيب وفكره، وحول قضايا فكرية تخص منهج السلوك وغيره أو تتعلق بالواقع والمتغيرات.

- الأخ القدير من له بصمات مشرقة في مركز الإبداع وإحياء التراث، وإسهاماته الجليلة في خدمة الدعوة إلى الله ﷻ وحركة شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور من خلال الفعاليات الثقافية وبرامج المناسبات الإسلامية والجانب الإعلامي في التربية الإسلامية: عبد الرقيب العطاس– حفظه الله ورعاه– .

- الأخ الأستاذ الصديق الداعية والمنشد صاحب الصوت الوجداني والارتباط الأبوي: علي بن محمد بن علي النور. والأخ: علاء النور الذي أول ما طرحت عليه عنوان هذا البحث ليعرضه على الحبيب، فعرضه ووافق على أن أبدأ الكتابة فيه فكان همزة وصل حساً ومعنى.

- وإلى كل من أهداني كتاباً أو شريطاً من كتب وأشرطة شيخنا جزى الله الجميع خير الجزاء، وأجزل الله مثوبتهم؛ لما قدموه لي من معروف كبير، ونعمة جليلة في حياتي حيث كان الجميع همزة وصل في تعرفي على شيخنا الحبيب: أبي بكر العدني بن علي المشهور والتقائي به، وهذه ثمرة دلالتهم وتعريفهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله فاتح أبواب رحمته لجميع خلقه فلا ممسك لها من بعده ، أحمده على ما تفضل وجاد وأرسل ، حمداً ننال به شرف كرامته وفيض عطائه وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي الأكرم، والرسول الأفخم والقائد الأعظم، الهادي والداعي إلى خالقه بقوله وفعله وحاله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه .

وبعد:

فقد وقفت على كثير من كتابات ومقالات وأعمال شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور، فوجدت أن كتاباته ليست استهلاكية أو عبثية ولكنها كتابات مسؤولة ذات منهجية تجديدية، تعالج كثيراً من الجوانب الأساسية في حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، وترمم ما أصاب المدرسة الإسلامية الأبوية وما اعتراها من إفراط وتفريط، وتعالج ما أصاب الأمة من تفكك اجتماعي وفكري واختلالات على المستوى السياسي والعلمي من خلال ثوابت الاسلام المذكورة في حديث جبريل: الإسلام، والإيمان والإحسان، والعلم بعلامات الساعة.

وكتاباته حقيقةً تمثل مشروع إنقاذ ما يمكن إنقاذه في بعض الجوانب الحياتية، وقد وضعتها على طاولة التأمل والقراءة، فاستنبطت منها منهجيته في الفكر والدعوة والتغيير والمنطلق والبناء، وقد أكون مصيباً أو مخطئاً من وجهة نظر أخرى، لكني أعتبر ذلك تجربة، والتجارب قابلة للنقاش والحذف والإضافة .

أردت من خلال هذه التجربة أن تكون باكورة أولية في التعريف بهذه الشخصية الإسلامية، وأن أشحذ همم وعقول زملائي لدى هذه الشخصية لا سيما من التصق به في سفره وحضره وعرفه عن قرب ، وأن أفتح باب البحث التحليلي لكتبه أمام المفكرين والمثقفين الذين عرفوا هذه الشخصية .

وأسأله سبحانه أن يستعمل عقلي وفكري في خدمة شريعته؛ وتعريفاً بأهله وأوليائه وأحبابه؛ وإبرازاً لمنهج الوسطية والاعتدال في حياة مثل هؤلاء الرجال بمنه وكرمه، وأسأله الإخلاص في الأقوال والأعمال والنيات.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول:

الفصل الأول: مدرسة حضرموت وعوامل التراجع وملامح التجديد.

الفصل الثاني: بداية التكوين.

الفصل الثالث: الأسس المنهجية والمنطلقات الفكرية والمعرفية التي اعتمدها في كتابته وحياته الدعوية.

الفصل الرابع: الخصائص الفكرية والسلوكية والمعرفية التي متعه الله بها.

الفصل الخامس: مشروعه التجديدي في الفكر والثقافة والتاريخ والتربية والمعرفة.

الفصل السادس: آل البيت النبوي في منهجه وفكره.

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



تَمهيد

قبل السير في الميدان والصعود إلى المنصة

لم تكن هذه الدراسة عن شخصية شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور دراسة تقليدية تتناول ولادته ونشأته وتعليمه الأبوي والأكاديمي ووظائفه الحياتية التي تقلدها في حياته، ولم نتناول أسماء شيوخه ومؤلفاته وغير ذلك مما يتصل بشخصيته كأسلوب سردي، وإن كان الأسلوب السردي يضع القارئ أمام بعض الجزئيات من حياة الشخصيات، فالأساليب السردية في نظري لا تستوقف عقل القارئ ولا فكره ولا روحه ولا وعيه ، وشخصية شيخنا لا يستطيع الباحث أن يدرسها دراسة تقليدية؛ لأن منهجه الذي يحمله، ومميزاته التي ميزه الله بها ومنطلقاته التي ينطلق منها في تكوين أمته، ومشروعه الذي ينشده ويعمل على إيجاد جيل لحمله ، يفرض على الباحث أن يخرج عن الدراسات التقليدية للشخصيات . فشخصية شيخنا تفرض عليك إذا سمعتها، أو قرأت عنها، أو ناقشتها في قضايا الأمة أن تقف أمام منهجية فكرية تربوية واعية ومدركة لمرحلتها قارئة لحاضرها ومستقبلها، مسؤولة عن حركتها ومواقفها وأجيالها، واضحة في فكرها ومنهجها، بعيدة عن لغة الإيهام والوهم والزيف والدعوى والاستقطاب النفعي . فمن الظلم لها وللأجيال أن تكون دراستي تقليدية حول هذه الشخصية التجديدية والحاملة لواء التغيير الحقيقي في ظل الفوضى الخلاقة والتدمير الممنهج للمكان والزمان والإنسان.

إن عقلية الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور عقلية ذات أبعاد واسعة أدركنا منها خيوطاً تهدينا إلى بعض أبعاده العقلية والروحية والإبداعية، وملامح مشروعه الذي يحمله في عقله الباطن وروحه الواسعة وتفكيره الناضج بنضوج تربيته وسَعَةِ مشهده، وما لم ندركه ولم يظهر كثير و كثير .

وإذا اختار الله إنساناً لمقامٍ رفيع عنده، ولأداء وظيفة عظيمة في خدمة الديانة ورعاية الأجيال والشعوب، هيأ الله ملكاته الظاهرة والباطنة وإدراكاته الحسية والمعنوية، فيصيغ مرحلته، ويعيد ما اندرس من المعاني والقيم ويخطو الخطوات في إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وتغيير ما يمكن تغييره ، وهو محاط بعناية الله ورعايته.

وهذا ما وجدناه في شخصية شيخنا :

- جمع بين الأصالة والمعاصرة، الأصالة في المنهج، والمعاصرة في الوسائل.
- داعية إسلامي عريق ومستنير يتسم بالتحليلات العميقة للواقع والأحداث والتاريخ الماضي والمعاصر.
- السمة البارزة له في دعوته وطرحه "السعة في الأفق والشمولية في المنهج" .
- لا يصادر حريات الآخرين أو يغمط تفكيرهم، ولا ينهج في تعامله مع من يخالفه أو يوافقه المفهوم السائد المتبنى من قبل بعض أصحاب التصورات الضيقة ممن أفرزتهم المراحل الغثائية :﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[غافر: ٢٩].
- يسمع للغير ويوسع له صدره وإن كان طرحه لا يوافقه.
- له رؤية دعوية في واقع حياته، يحمل همة العمالقة في بناء الحياة المستقيمة، وتثقيف الأجيال المعاصرة، ولفت الآخرين إلى فهم ماضيهم وحاضرهم وبأسلوب رفيع .
- يعمل في الساحة ليس بديلاً عن أحد، ولا يزاحم أحداً على موقعه، بل هو رديف كما يذكر ذلك في مناسبات كثيرة.
- يريد أن يلتقي مع الحاكم ومع أصحاب الأطروحات الموجودة في الساحة على القواسم المشتركة، بغير إلغاء أو مزاحمة.
- ما عهدته ينتقص شخصيةً إسلامية معروفة في الواقع، أو يصادر رؤيتها، أو ينتقص من جماعة إسلامية في الساحة.
- يمثل مدرسة متكاملة في فكره وثقافته، مدرسة واسعة في نظرته ومعرفته، ولا بد أن نعتني بهذه المدرسة، ونفهم هذه المدرسة التي تمثل العالمية في الفكر والنظر، وأرجو من القارئ أن لا يُعمل عقله في تحليلاتي العقيمة، بل عليه أن ينظر في (المفاهيم العلمية والفكرية والثقافية بل والسياسية) التي نقلتها من كتبه وجعلتها بين الأقواس، فهي غنية بذاتها لا تحتاج إلى تحليلي، ولكني جعلت هذا البحث بمثابة التنبيه والإيقاظ للغير فقط؛ كي يعرفوا عن هذا العلم والداعية الإسلامي الكبير الذي ما عرفنا عن فكره إلا النزر القليل من

خلال كتبه وما يحمل في فكره أكبر وأكثر، وكتاباتي وكتابة أمثالي لا تزيد هذه الشخصية رفعة وتعريفاً، ولكني أقول ما قاله الشيخ طاهر الجزائري– رحمه الله –:" اذكروا من عندكم من الرجال الذين ينفعونكم في الشدائد، ودونوا أسماءهم في جريدة؛ لئلا تنسوهم، ونوهوا بهم عند كل سانحة، واحرصوا عليهم حرصكم على أعز عزيز"[١].

إن الذي يقرأ التاريخ ويعرف الانهيار الذي أصاب الأمة الإسلامية سياسياً وثقافياً وتربوياً واقتصادياً واجتماعياً يرى أن الله يهيئ لهذه الأمة في هذه المرحلة شخصيات تعيد لها الأمل وترجعها إلى منابعها الصافية لتنهل منها وتأخذ وتعمل على مقاومة الانهيار ودحض الشبهات التي أخذت مساحات في عقول بعض الناس.

وقد برزت في هذه المراحل برامج ورؤى، ونشأت توجهات ذات صبغة سياسية وقومية وفئوية، وشطر القرار، ونشأت ردة الفعل عند كثير من التوجهات، وصنعت توجهات سياسية من خارج منظور الأمة، وخدرت الشعوب الإسلامية بمفاهيم وشعارات جوفاء، وصارت الشعوب المغلوبة على أمرها تنظر إلى تغير الواقع إلى الأفضل من خلال الشعارات والمفاهيم الجوفاء واستحسنت الواقع بدافع الأمل في الشعارات والمفاهيم المشطورة، ولم تمتلك رؤية لبناء المستقبل والعمل على نهضة الأمة في مجالات الحياة كلها، فهي تؤمن وترضخ للواقع في ظل التدهور والتفكك الاجتماعي والسياسي والثقافي والتناطح الفكري، والهجوم على الموروث الثقافي والعلمي، وإيجاد البدائل الوافدة؛ لتحل محل الموروث القديم لهذه الأمة، وقد أصيب بعض المفكرين بفقد الأمل في استعادة الماضي بثوب جديد فاعتمد الصمت والسكوت.

والله يعلم أني حينما تعرفت على شخصية الحبيب أبي بكر المشهور، وجدته من خلال طرحه يعيد إلى أذهان الأمة المفاهيم الصحيحة، وله نظرة ثاقبة في تحليل الواقع والأحداث والمتغيرات في المراحل الماضية والمعاصرة، ولقد منحه الله ذهناً وقاداً، وفطنة مستنيرة، وفهماً واعياً، وإدراكاً عميقاً، وتحليلاً واسعاً، ورؤية عالمية، وترفعاً عن سفاسف الأمور، ويسد الفجوات التي وضعها ذوو العقول القاصرة في الواقع الاجتماعي، ويحمل تشخيصاً هادفاً

---

١ – البوطي، محمد سعيد رمضان، بحوث ومقالات مهداة إليه، ص٤، الطبعة الأولى، دار الفكر.

للوقائع والأحداث والأزمات المعاصرة، ونظرة واعية للمستقبل، وحركة دؤوبة في بناء الأجيال والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونفساً كريمة لإعانة المحتاج، وتواضعاً جماً للأقران حتى وإن كانوا يحملون رؤية مخالفة لرؤيته، ودماثة في الأخلاق، وبهذا الإجمال في تشخيصي لشخصية المشهور العلمية أستطيع أن أقول بأنه (شخصية المرحلة) وهذه المرحلة بالذات تحتاج إلى شخصيات ذات أبعاد في رؤيتها وتعاملها وقراءة المتغيرات العالمية واتخاذ المواقف المناسبة التي تخدم الإسلام وتحافظ على ما تبقى من ثوابت الأمة ووحدتها، وليس اتخاذ المواقف المناسبة؛ للمحافظة على المصالح الشخصية، أو اتخاذ المواقف السلبية التي ينفذ من خلالها العدو في توسعه وهيمنته.

لقد اتسمت كتاباته بالوعي والتحليل والواقعية، وقد كشفت كتاباته أوراقاً عدة اتسمت بالغموض في بعض المراحل، وخدع الناس بها، ونقضت كل ما كان لدى الشعوب من سلوكيات تربوية وهدم ما كان لدى المدارس الأبوية.

إن الفكر الذي يحمله شيخنا الحبيب: أبو بكر العدني بن علي المشهور فكر ذو موضوعية وبناء ، وقد أعاد إلى أبناء جيله من المنتسبين إلى المدرسة الأبوية النبوية ثقتهم بمدرستهم، وأجاب عن كثير من التساؤلات الفكرية حول المدرسة الأبوية التقليدية، وبأسلوب علمي وشرعي وفكري متوازن، ارتقى بفكره وكتاباته من مستوى العادات والأشخاص إلى مستوى المنهج وتثبيته في العقل والوجدان والحياة؛ حتى وهو يتحدث عن مناسبات الإسلام وذكريات الأعلام في مدرسة التصوف الإسلامي عموماً ومدرسة حضرموت خصوصاً، فالمناسبة والحولية كمرحلة زمنية بعودتها تذكرنا الماضي، وواقعنا يحتاج إلى لغة تجديدية في أسلوب الخطاب في المناسبات والحوليات؛ لنعاصر به الواقع، ونعتصر به معالم المرحلة ونستدعي المناسبة كحدث والحولية كذكرى إلى الواقع المعاش، فنخاطب الأجيال بلغة يدركونها ويفهمونها، ونربطهم بقضية الإسلام كمرجعية ومظلة استظل تحتها المتقدمون، وينبغي أن يستظل بمظلتها المتأخرون، وعلينا أن نعطي الأحداث والذكريات والمناسبات والمتغيرات تفسيراً شرعياً وعلمياً وعقلانياً ووجدانياً وسلوكياً بعيدا عن الخيالات والخرافات وإبعاد الأمة عن الحقيقة فيها، وبهذا نستطيع أن نعيد ثقافة الإسلام الأبوية النبوية ، وليست ثقافة الإعلام المُـمرحلة عبر التاريخ، والطاغية على الواقع بلون

الانتفاع والاندفاع والخرافة وتمرير منعطفات المراحل بلغة استسلامية تبريرية.

هذا ما وجدناه في فكر وثقافة شيخنا الحبيب أبي بكر بن علي المشهور.

لقد درس الحبيب أبو بكر العدني بن علي المشهور الواقع ومتغيراته ومنعطفاته وفصوله منذ نصف قرن دراسةً واعيةً من منطلق رباعية الديانة (العلم بعلامات الساعة) وبنى على ذلك أسس انطلاقاته في دراسة الظواهر المعاصرة والمتغيرات المرحلية والصراعات المختلفة.

يقول عنه الحبيب أبو كاظم جعفر بن محمد السقاف :

مِـــنْ أَيْـــنَ أَبْـــدَأُ فَهُـــوَ بَحْـــ ... ـــرُ العِلْـــمِ مِـــنْ يَـــمِّ العَيَـــالِمْ

مَــــنْ ذَاْ هُنَـــا هَـــذَا الخَلِيْـــ ... ـــفَةُ ذُو العُـــلَا رَبُّ المكَـــارِمْ

هَـــلْ يَشْـــبِهُ الصِّـــدِيقَ فِيْ الْـــ ... ـــغَنَّاْءِ بـــــ (باعـــشر) يَـــوَائِمْ

أَوْ يَشْـــبِهُ الْعَـــدَنِيَّ بِمَظْـــ ... ـــهَرِهِ وَأَمْجَـــادٍ عَظَـــائِمْ

أَوْ مُشْـــبِهاً فَخْـــرَ الْوُجُـــوْ ... دِ الحَـــبْرَ (أَبُـــو بَكْـــرِ بْـــنِ سَـــالِمِ)

أَوْ مُشْـــبِهاً (سَـــــكْرَانَنَا) ... شِـــبْهُ الجُـــدُودِ فَلَـــيْسَ ظَـــالِمِ

أَوْ مُشْـــبِهاً ذَاْكَ ابْـــنَ (شَيْـــ ... ـــبَةَ) فِي الحَـــدِيثِ لَـــهُ مُـــزَاحِمْ

أَوْ يُشْـــبِهُ (الْعَطَّـــاسَ أَبُـــوْ ... بَكْـــرٍ) بِـــأَسْرَارٍ فَـــوَاغِمْ؟

كَـــمْ ذَا أَعَـــدِّدُ كَاسْـــمِهِ ... في عِلْمِـــهِ في جُـــودِ حَـــاتِم

قُـــلْ مَـــاْ تَشَـــاْءُ فِيْـــهِ كَشَمْـــ ... ـــسٍ أو كـــمَا قَالَـــتْ (حَـــوَاذِم)

هَـــذَاْ خَلِيْفَـــةُ أَهْلِنَـــا ... بنُجُودِنَـــا وَكَـــذَا التَّهَـــائِمْ

يَـــا مَـــنْ أَتَـــى بِمَقُوْلَـــةٍ ... عِلْمِيَّـــةٍ هَـــزَّتْ عَـــوَالِمْ

الْعَقْـــلُ فِيْ (القَلْـــبِ السَلِيْـــ ... ـــمِ) ولـــيس في جِسْـــمِ المُلَاكِـــم

يَـــا كَاتِبَـــاً مُتَفَنِّنَـــاً ... وَمُجَـــدِّداً نَهْـــجَ الهَوَاشِـــمْ

مَـــا هَـــذِهِ الْأَنْـــوَارُ وَالأَسْرَارُ يَـــا ... تَاجـــاً عَـــلَى هَـــامِ الحَضَـــارِمْ ؟

يَـــا وَارِثـــاً لِإِمَامِنَـــا ... هَـــذَا (ابْـــنُ أَحْمَـــدَ) مِـــنْ عَظَـــائِمْ

فَـــالْحَقُ أَنَّـــكَ سِرُّهُــــمْ ... أَنْـــوَارُهُمْ حُـــزْتَ الغَنَـــائِمْ

ذَاْ عِلْمُــــهُ مُتَـــــدَفِقٌ ... ويَغُـــوصُ فِي الأَعْــــمَاقِ عَــــائِمْ

ذَاْ فِكْــــرُهُ مُتَــــأَلِّقٌ ... أَرْضَ الأَعَــــارِبَ وَالأَعَــــاجِمْ

وَقَلْبُـــهُ قَلْـــبٌ سَلِيْـــ ... ـــمٌ طَـــاهِرٌ جَـــمُّ المَــرَاحِمْ

فَخْـــرُ الْـــوَرَى عِلْـــماً وَتَـــأْ ... لِيْفـــاً وَنَظْـــماً بَـــلْ تَـــرَاجِمْ

خُلُـــقٌ تَهَـــذَّبَ كَالنَّسِـــيْمِ ... مُـــبَرْعَماً وَسْـــطَ الكَمَائِـــمْ

(دَارُ المُهَـــاجِرِ) قِمَّـــةٌ ... وَسْـــطَ (الحُسَيْسَـــةِ) فِي مَوَاسِـــمْ

وَبِـــهِ رِبَـــاْطٌ نِعْمَـــةٌ ... مَصْـــحُوبَةٌ بِـــالعِلْمِ دَائِـــمْ

أَسَّسْـــتَ (مُنْطَلَقَـــاتْ) بَـــلْ ... جَـــدَّدْتَ عِلْـــماً كَـــالمَلَاحِمْ

أَبْـــدَعْتَ فِيْ (نَمَـــطٍ وَسِيْـــ ... ـــطٍ) جِئْـــتَ بِـــالحُجَجِ القَوَاصِـــمْ

أَمَّـــا (وَثِيْقَتُـــكَ) الْعَظِيْـــ ... ـــمَةُ فِيْ اجْـــتِلَاءِ (فِـــصِّ خَـــاتِمْ)

(تَحْرِيْـــرُ تَحْقِيْـــقٍ) إِلَى التَّـــ ... ـــحْرِيرِ يَـــا لَـــكَ مِـــنْ مُسَـــاهِمْ

وَ(عَلَامَـــةُ السَّـــاعَةِ) رُكْـــ ... ـــنٌ كَـــمْ بِـــذَا أَفْهَمْـــتَ فَـــاهِمْ

وَمُسَلْسَـــلَاْتُ (الْآلِ بَـــا ... عَلَـــوِي) وَأَجْـــدَادٍ ضَرَاغِـــمْ

قَلَـــمٌ يَسِـــيْلُ بَلَاغَـــةً ... صَـــارَتْ لِـــبَعْضٍ كَالطَّلَاسِـــمْ!

وَمَوَاْكِـــبُ التَـــارِيْخِ يَـــرْ ... وِيهَـــا مَوَاسِـــمَ أَوْ مَـــآتِمْ

عِلْـــمٌ تَسَلْسَـــلَ فِيْ الجُـــدُوْدِ ... ذَا عَـــالِمٌ يَتْلُـــوهُ عَـــالِمْ

وينقصني كثيراً عن حياة هذا العالم الفذ، والذي أعتبره فلتةً من فلتات التاريخ المعاصر، وهبةً عظيمةً من قبل الله ﷻ للمدرسة الأبوية، ولليمن وللأجيال المعاصرة في هذه المرحلة.

التعرف والمعرفة

لقد كانت معرفتي بشيخنا وحبيبنا الداعية الإسلامي الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور، نعمة من الله بها عليَّ ، نشكر الله ﷻ عليها ونسأله ﷻ أن يوفقنا لشكر غيرها من النعم الظاهرة والباطنة والمتتالية عليَّ بمنه وجوده وكرمه.

أولا: بداية صلتي وتعرفي عليه

كانت أول معرفتي به بتأريخ (١٦/ جماد الأولى/ ١٤١٥) هـ. في وفاة العلامة الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل - رحمه الله - وكانت جنازة مهيبة اشتركت فيها الجهات الرسمية والشعبية من العلماء والمفكرين والمثقفين والتجار والشباب من أكثر مديريات المحافظة، وقد نظم بعض سيرها مدير أمن تعز العقيد عبد القادر قحطان –آنذاك – وكان لقائي به، بعد أن تم دفن الحبيب إبراهيم في حبيل سلمان، حيث توجه شيخنا إلى مسجد المظفر، وقرئت سورة (يس) وسورة (الملك) وبعض الأذكار، وألقى كلمة حول موت العلماء، وكيف يحدث الخلل في الحياة؛ بسبب موتهم، وكان مما قاله في كلمته: "لقد تركنا السيد إبراهيم عقيل على مفترق الطريق". فدقت هذه الكلمة في ذهني وعقلي، وقلت في نفسي هذه العبارة لا تأتي من شخصية عادية، ومن حينها جعلت أفكر بهذه الشخصية، وأريد أن أسمع لها مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة.

وقد كان يكثر التردد على مدينة تعز، ويخطب في مسجد المظفر، فكنت أحضر له وأسمع خطابه ومحاضراته، وفي بعض الجمع سلمت عليه وطلبت منه الدعاء، وعرفته باسمي، فقال لي: "أهلاً بابن العم".

وكنت حريصاً على أن يعرفني معرفة تامة؛ لأني أعتبر لقائي به في المسجد ومن خلال السلام عليه معرفةً سطحيةً، فحرصت على أن أعرفه معرفة تامة؛ حتى لا أغيب عنه في كثير من الأوقات، ورجوت من فعلي هذا، دعوة صالحة منه، وقد كانت المعرفة الثانية معرفة قرب بواسطة الأخ الصديق علي بن محمد بن علي يحي النور، حيث شاركت معه في دورتين صيفيتين، دورة صيفية في مسجد والده في المسبح، ودورة في مسجد المظفر، وتمت صلتي به بعد ذلك من خلال اختتام دورة المسبح في مسجد النور، وزادت صلتي به وتعرفي عليه

بواسطة الحبيب الداعية إلى الله ﷻ أبي بكر بن أحمد الهدار- حفظه الله - حيث كان يرتب زياراتي للحبيب كلما وفدت إلى عدن.

ثانيا: أبهذه المعرفة السطحية كتبت عن هذه الشخصية ؟!

أقول: لم يكن زادي في كتابتي عن هذه الشخصية لقاءً عابراً أو سماعَ خطبةٍ أو محاضرةٍ، بل كانت من خلال قراءتي لكتاباته، ووقوفي أمام ما يطرحه من أفكار ورؤية واعية في لقاءاته ومحاضراته وكتاباته.

وقد يسألني شخص ما ومن حقه أن يسأل: **لماذا كتبت عن هذه الشخصية ؟ ولماذا في هذا الظرف؟ ، وهناك شخصيات وجماعات تحمل مشروعاً؟ فلماذا لم تكتب عنها؟ والعنوان مبالغ فيه .**

وأقول: منذ نعومة أظفاري وأنا أقرأ - ولله الحمد- للكثير من الكُتَّاب الإسلاميين بعمومهم سواءً أكانوا شيعة أم سنة، فوجدت لدى البعض الكتابة المتصارعة المنطلقة من سياسة التطرف والتعجرف والمغالبة وإسقاط المخالف ، واعتقاد الحق مع طرف ، والباطل مع الطرف الآخر على مستوى السنة فيما بينهم ، والشيعة فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين السنة كذلك من جهة أخرى، ووجود التكفير والتبديع والتشريك وبروز منهجية الإفراط والتفريط، واعتقاد النجاة لذواتهم والهلاك لمخالفهم ، مع الاعتراف بأن في الطرفين معتدلين، ولدى هؤلاء المعتدلين رؤية إسلامية واسعة، ومشروعاً فكرياً وثقافياً ناجحاً؛ لكنهم قلة ، والمشروع الأنوي الشيطاني ووكلاؤه في العالم العربي والإسلامي والإنساني لا يجد مبتغاه في هؤلاء المعتدلين من كلا الطرفين ، ولا يمكن أن ينفذ المشروع في ظل وجود وظهور هؤلاء ؛ فلهذا اتخذت سياسة الإقصاء والإلغاء والتهميش لهم ، ودُعم أهل التطرف والتعجرف في كلا الفريقين؛ لأن مشروع الشيطان سيبرز بهما وبثقافتهما، وبقراءتي لهذه الشخصية وجدت التوازن والمسؤولية عن الديانة والأمة والأجيال في كتاباته، ووجدت اعترافاته بالأخطاء والتجاوزات والإفراط والتفريط على مستوى مدرسته ودعوته إلى المراجعة والتصحيح، وغيره لم يعترف بأخطاء حركته وجماعته ووجود الإفراط والتفريط في بعض سلوكياته وتصوراته ، وعدم اعترافه بذلك من الطبيعي ألَّا يدعو إلى المراجعة وإعادة النظر في ما تسلكه مدرسته وحركته. ووجدت الإجابة عن كثير من التساؤلات المطروحة

في الجانب الفكري والتربوي والتعليمي والذوقي في فكره، ولما يحمله من منهجية تجديدية واعية كما ستعرف؛ ولهذا كتبت عن هذه الشخصية.

أما لماذا في هذا الظرف ؟

فأقول: إن الظرف الذي تمر به الأمة الإسلامية حرج ، والقوى الإسلامية والحزبية والقومية وغيرها عاشت وهي تحمل مشروعاً من وجهة نظرها ردحاً من الزمن ، لكنها فشلت في أكثر من مجال، وأصبحت جزءاً من المتغيرات السلبية والتحولات غير الآمنة؛ لأنها اسْتُدْرِجَتْ، وشيخنا لديه مشروع يستهدف الشعوب والعيش معها وعدم النظر إلى مواطن الصراع السياسي والفكري والمنازعة السياسية على القرار ؛ لما يعلمه بأن القرار السياسي في العالم العربي والإسلامي منقوص ومرتهن، وتتحكم به دوائر السياسة العالمية.

أما أن هناك شخصيات أخرى تحمل مشروعاً فلماذا لا أكتب عنها؟

فأقول:أما أن هناك شخصيات تحمل مشروعاً فهذا صحيح بل هناك حركات وجماعات إسلامية وقومية تحمل مشروعاً للحياة، لكنها لا تحمل منهجية التحديث والتجديد في خطابها ومنهجها ومتغيرات حياتها ، وأضاعت وقتها وقدراتها في المهاترات الفكرية والسياسية؛ حتى أصبحت وكأنها عدوةٌ للأنظمة ولغيرها، وحصرت همها في بعض وجوه الحياة، حيث غلَّب بعضها الجانب السياسي على غيره ، وبعضها غلبت الجانب العقدي على غيره ، والبعض الآخر غلب الجانب التربوي أو الدعوي على غيرهما، وهكذا تجد كل جماعة أو حركة تغلب جانباً من جوانب الإسلام على غيره بما فيها بعض الطرق الصوفية.

أما لماذا لا أكتب عنها ؟ أي: عن هذه الجماعات والأحزاب والشخصيات؟

فأقول: كتب عنها غيري وتناولها كثير من الكتاب.

وقد يقول قائل: ها هو شيخك يحمل مشروعاً كما تزعم، لكنه ليس مشروعاً متكاملاً ، بدليل أنه ينتمي إلى مدرسة عزفت عن الجانب السياسي وحصرت الإسلام بعالميته وشموليته للحياة كلها في جوانب وتركت جانباً هاماً . **فأقول :** إنه يحمل مشروعاً متكاملاً في نظري من خلال قراءتي وسماعي له وجلوسي بين يديه.

أما أن مدرسته التي ينتمي إليها عزفت عن الجانب السياسي؟.

فأقول: مدرسة حضرموت ورجالها، ومدرسة بني الأهدل في تهامة ومدرسة التصوف الإسلامي بعمومه لم يخوضوا الصراع السياسي والمواجهات المسلحة حول الوصول إلى القرار؛ لعلمهم بأن الصراع السياسي والمواجهات المسلحة للوصول إليه لا يجدي. وهذا معروف عبر التاريخ فإذا كان القرار السياسي بعيداً عن هيمنة الكفر ونظامه ، وقد عزف عنه سيدنا الحسن ومن بعده من أئمة آل البيت النبوي، فما بالك وقد صار القرار السياسي في مرحلتنا المعاصرة يتحكم به النظام العالمي الجديد ويسيره كما يشاء وكيفما شاء ، مع الإيمان الكامل بأن الإسلام له منهجية عالمية وعمومية يتناول بأحكامه وآدابه وقيمه وأخلاقه وأسسه ومنطلقاته جميع شؤون الحياة ، وهذا لا يعني أن المشاركة النسبية في مجال الحكم والسياسة بغير صراع ولا نزاع ولا اقتتال، ابتعد عنها رجال آل البيت النبوي ، بل نجد بعضهم شارك مشاركة مباشرة ، وبعضهم شارك في وضع أسس الاستقرار والاستمرار في الحياة ، ونظرهم إلى المشاركة السياسية ليست كنظر بعض الجماعات والأحزاب السياسية المعاصرة، فهم يرون أن المشاركة السياسية ليست محصورة في الكرسي، بل قد يكون الإنسان خارج الحكم وبعيداً عن الكرسي، لكن لديه بصمات في الواقع في هذا المجال وظهرت إيجابياته في الواقع الشعبي الذي عمل فيه ، وقد تظهر ملامح الاستقرار بارزة في الشعوب والإنسان بعيداً عن كرسي الحكم، وغيرهم يرى أن المشاركة السياسة محصورة في الكرسي والوصول إليه ومصارعة الغير ومنافسته من أجلها ، وهذا قصور في النظر الفكري للعمل السياسي. ولابد أن نفرق بين منهجية الإسلام العالمية والشاملة لجوانب الحياة كلها والإيمان بذلك، وبين سلوك بعض الجماعات والشخصيات ، وفرص الحياة في تطبيق المنهجية الإسلامية العالمية.

أما القول: بأن العنوان مبالغ فيه ؟.

فأقول: مما منَّ الله به عليَّ أني قرأت كل إصداراته العلمية والمعرفية وما وصل إلَيَّ من مقالاته فهي خلاصة فكره ومنهجه، فلم أقل هذا جزافاً أو مبالغةً أو تقليداً، ولقد وضعتُ كتبه تحت طاولة عقلي وفكري وقرأتها قراءة عميقة ومتأنية، فوجدت في منهجه وفكره المشروع المتكامل والإجابة الإيجابية عن بعض الإشكالات الفكرية والثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية والتاريخية ، مع العلم أن القضايا التي أجاب عنها وتناولها، أجاب

عنها غيره بحدة وتشنج لانخرج معهما من دوامة الصراع والنزاع والمنافسة والتحريش والأنانية والإقصاء والإلغاء والتهميش وتحديد المواقف من بعضنا لبعض، ومن قرأ كتبه بعمق وموضوعية تامة سيجد أن الرجل يحمل مشروعاً إسلامياً - ولو مؤقتاً- في هذه المرحلة المعاصرة ، وسيجد العنوان الذي طرحته غير مبالغ فيه.

ثالثا: قوة صلتي به

ازدادت صلتي ومعرفتي به من خلال رؤيتين مناميتين رأيتهما:

الأولى: رأيت أني في مسجد كبير أثري يشبه المظفر، فدخلت المسجد ومن في المسجد في حالة صلاة، فوجدت واحداً يقول لي: أتريد أن تصلي بعد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقلت له: نعم، فقال لي: اقتدِ، فنويت الاقتداء، فلما تمت الصلاة قمت بين الصف، ونظرت إلى المحراب أريد من قومتي هذه رؤية رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم- فإذا به شيخنا أبوبكر المشهور، فعلمت أن الرجل على قدم رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم- وأن له شأناً عظيماً ، وله صلة بالله ورسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم-.

الثانية: رأيت أننا في مكان يتدفق السيل فيه واختتمنا دورة علمية، وفي أثناء الحفل صعدت إلى ربوة جبلٍ، فوجدت بيتاً متواضعاً، قيل لي: إنها بيت الدكتور القرضاوي، وكانت مقفلة فطرقت الباب، ففتحت لي الباب زوجة القرضاوي، وهي في سن الشيخوخة، فسلمتُ على الدكتور القرضاوي وهو في حالة مرض، فرجعت إلى شيخنا أبي بكر المشهور، وقد حضر حفل الاختتام للدورة العلمية، فأخبرته بأن بيت القرضاوي في شق الجبل، وهو مريض، فقال: لابد من زيارته فزاره، وبعد انتهاء الزيارة أخذ القرضاوي برأس المشهور وتكلم معه سراً، لا أعرف ماالذي تكلما به، إلا إنني سمعت القرضاوي يقول له في حالة التوديع: (اللهم احفظه اللهم وفقه، اللهم شق طريقه) ، وقد يقرأ القارئ مثل هذا فيقول في نفسه: شخص اغتر برؤيا منامية، وقد بنى صلته بهذه الشخصية من خلال الرؤيا وهذا لا يكفي، وأقول: هاتين الرؤيتين المناميتين ليستا هما الأصل في صلتي به، ولكن قراءتي المتكررة والعميقة لما يكتب، وسماعي لخطبه ومحاضراته ومواقف كثيرة، جعلتني أُجِلُّهُ وأُحِبُهُ وأقدِّرُه، وتأثرت به لما يتمتع به من فكر ثاقب، ورؤية سليمة، وفقه سوي، ومعرفة للواقع وشمولية الفهم وعالمية النظر، ولم تكن الرؤيتان إلا عاملاً إضافياً إلى

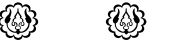
معرفتي الفكرية والعلمية والثقافية والتربوية والاستقرائية لهذه الشخصية، فازددت به اتصالاً وطمأنينة ًلا سيما ونحن في مرحلة الرؤيا الصالحة خير للمؤمن يراها أو ترى له .

رابعا: مكانته في نفسي

أخذ مكانة واسعة في نفسي وعقلي ووجداني- مع تأخري في معرفته- ولأن نفسيتي ميالة إلى الطرح العقلي والفكري، فقد وجدت في علمه وثقافته وفكره بغيتي، ولقد ملأ الفراغ الذي عشته في روحي وقلبي ووجداني وعقلي ، فلا غرابة أن أكتب عنه وأنطوي الانطواء الكامل في منهجه وذوقه وحاله ، وأسال الله ذلك ، وفي الحقيقة: إنه الرجل الذي يحمل الفكر الناضج والعقلية الواسعة، والهمة العالية واليقظة المستنيرة، "من يحمل الرؤية الواسعة لواقعه وحاضره صاحب المنهج الواسع والمشروع المتوازن والفكر المتجدد" رجل التميز والخصائص في الفكر والذهن والمعرفة والسلوك والكتابة، العميق بتحليله لمجريات التأريخ ومتغيراته ومنعطفاته ، الواسع في فهمه لمشاهد ودلالات النصوص وحقيقة روحها المقاصدية ، المسؤول والشجاع في تشخيص الواقع ،العالمي في رؤيته ومنطلقاته ، العقلاني والمتوازن في طرحه ، التربوي في سلوكه ومواقفه وتعليمه ودعوته ، حامل لواء العالمية الاسلامية في زمن التأزيم والتقزيم والانشطار الفكري .

رجل مرحلة يجد العالم متنفسه حينما يجلس معه، ويجد المفكر بغيته عندما يناقشه، ويجد المثقف المعاصر ضالته حينما يحاوره ويقرأ كتبه، يشعر المدرس بنقص حينما يجلس معه؛ ليناقش قضايا التعليم المعاصرة، ويحكم على نفسه بعد جلوسه معه بأنه يحمل في عقليته الخلل في مفهوم التربية، فلدى الحبيب المشهور رؤية تكاملية لمسألة التعليم من خلال المدارس التقليدية والمدارس الحديثة؛ ولهذا كله كانت كتابتي عنه.

ومن ناحية أخرى فقد جبلتُ على احترام أهل العلم قاطبة، وحتى من يحمل رؤية أخرى، وهذا ما أحمد الله عليه، وقبل الدخول إلى موضوع التحدث عن الداعية الإسلامي الحبيب: أبي بكر العدني بن علي المشهور رجل الرؤية والمنهج والمشروع المتوازن لا بد من وقفة حول مدرسة حضرموت التي أنجبته، وأنجبت غيره من أهل العلم والدعوة والمعرفة.





الفَصْلُ الأَوَّلُ

مدرسة حضرموت

وعوامل التراجع وملامح التجديد

أولاً: مدرسة حضرموت بين الماضي والحاضر.

ثانياً: عوامل التراجع في المدارس التقليدية عموماً.

ثالثاً: ملامح التجديد.

رابعاً: التصور المغلوط في البقاء على الأسلوب القديم.

خامساً: مؤسسات التعليم في مدرسة حضرموت وبداية التجديد فيها.

سادساً: رائدا التجديد في مدرسة حضرموت في المرحلة المعاصرة.

أولا: مدرسة حضرموت بين الماضي والحاضر

إن مدرسة حضرموت كأي مدرسة إسلامية تقليدية لها جذورها التاريخية ولها أثرها في تربية الأجيال وتنشئتها، ولها منهجية لا تخرج عن منهجيات المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي كالأزهر، وجامعة الزيتونة مع وجود تميزات، وهذه المدارس اكتسبت شهرة عالمية؛ لارتباطها بمنهج الإسلام العالمي ومنهج الحاملين له من أئمة الإسلام، ويدرس فيها المذاهب الإسلامية كلها، وكالمدارس التي ظهرت في اليمن مرافقة لها، أو كانت لها القدم، مثل مدرسة زبيد، وجبلة، والمدرسة الزيدية في صعدة وذمار وشهارة، وغيرها من المدن اليمنية، وكان لها أثر في إبراز شخصيات إسلامية عالمية كالإمام الحداد في السلوك وغيره من العلوم الإسلامية، والإمام ابن المقري في اللغة والفقه وغيرها من الفنون الإسلامية، وابن المزجد، وابن الأمير الصنعاني، والشوكاني، والإمام السياغي صاحب كتاب (الروض النضير) والإمام الهادي، وابن الوزير، والإمام الريمي صاحب كتاب (المعاني البديعة في اختلاف أهل الشريعة) وغيرهم من أئمة العلم والمعرفة والسلوك والفكر والتربية.

وكانت هذه المدارس سواءً أفي اليمن أو في غيرها تعيش في وحدة إسلامية فكرية على اختلاف المذاهب الإسلامية فيها، وتعتبر بمناهجها وأئمتها من عوامل الوحدة الإسلامية بين المسلمين، وكان علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم يلتقون ويستجيز كل واحد منهم الآخر، وإذا تأملنا إجازات فقهاء وعلماء الزيدية المتقدمين منهم والمتأخرين نجد فيها أسماء علماء وفقهاء الشافعية والحنفية من علماء تهامة، وبالأخص علماء زبيد، وعلماء مكة في المذاهب الأربعة، وكل واحد منهم يحترم الآخر ويوقره ويتأدب معه، ومن خصوصيات المدارس الإسلامية أنها تربط الأجيال المعاصرة بالأجيال الماضية من خلال الإسناد والإجازات العلمية. المدارس الإسلامية تقوم على أسس وثوابت في الماضي والحاضر، وإن لم تكن لها منهجية المراحل؛ لأنها كانت تغلب الجانب العلمي وتحصيله وتربية الأجيال عليه، ولا تنظر إلى الظواهر وبداية الدخول والتخرج، فهي ترى أن العلم من المهد إلى اللحد، ومن المحبرة إلى المقبرة.

من خصوصيات المدارس الإسلامية التقليدية: أنها تهتم بالسلوك وتقويم الشخصية

الدارسة لدينها، وتربيتها على العلم والمعرفة والعمل والإخلاص والخوف والخشية لله، فينشأ الطالب قدوة صالحة في المجتمع، وقد أصيبت المدارس الإسلامية التقليدية في العالم الإسلامي بالقصور، هذا القصور ليس ناتجاً عن قصور في المنهج بل لعوامل خارجية أصابتها في مقتل، وقد بدأ تفكير الغرب بعد أن احتل الأرض في مواجهة هذه المدارس الإسلامية؛ لأن لها تأثيراً، وعرف ذلك من خلال دراسات واعية سبقها البحث عن المدارس ومناهجها وكان له خيارات:

الخيار الأول في ذلك الوقت: إنشاء مدارس مواجهة لهذه المدارس، وكان هذا الخيار من خلال دراستهم له لا يعطي نتائج مرجوة في المرحلة الأولى.

الخيار الثاني: الدخول إلى هذه المدارس وخلخلتها من داخلها وخاصة الأزهر حيث فقد تأثيره عندما تم تطوير المنهج والإصلاح فيه، وكان لهذا الخيار آثاره السلبية، وها هو يطور إلى اليوم وألحق بالمؤسسة السياسية في البلاد وبعد أن طورت المناهج بدأت سياسة إيجاد البدائل.

ثانياً: عوامل التراجع في المدارس التقليدية عموماً

والمدارس الإسلامية في اليمن وغيرها قد أصيبت بتراجع في أكثر من منحى حتى أدى بها إلى الضعف عدة عوامل منها :

١ـ عدم معرفة شيوخ المدارس التقليدية واقعهم ومتطلبات الواقع، وعدم إبراز دورها في معالجة واقع الحياة، وكأن المدرسة بعيدة عن واقع الحياة ومشكلاته،وليس لها هم إلا إقامة بعض الأذكار والمناسبات وتدريس مناهج غير معالجة لمستجدات الحياة وتطورها.

٢ـ سلب أوقافها وصرفها في غير ما وقفت له.

٣ـ التعبئة الإعلامية المبرمجة ضد المدارس الإسلامية، وإظهارها كوسيلة من وسائل التخلف والرجعية، كما عبر بذلك أصحاب الرؤى العلمانية والعولمية في تلك الحقبة التاريخية.

٤ـ الإغراءات الوظيفية لأصحاب المدارس الحديثة، وإقصاء رواد المدارس التقليدية عن مواقعهم، ومصادرة حقوقهم ، وهناك عوامل أخرى يجدها من يقرأ المراحل التي مرت

بالعالم الإسلامي.

وفي ظل عوامل التراجع نجد بعض المدارس التقليدية كمدرسة حضرموت حافظت على كيانها في ظل ظروف قاسية، من خلال برامج تقليدية، بل نجد بعض الشيوخ في المدرسة التقليدية حافظ على تربية أبنائه وأقاربه ومحبيه في منزله، وفي نجوة من الناس، من أجل المحافظة على منهج المدرسة.

وقد أصاب مدرسة حضرموت ما أصاب المدارس الأخرى، وظلت ثابتة كغيرها مع وجود العلل الداخلية والخارجية، ولا بد من استنهاض الهمة في رفع مستوى هذه المدارس، وهناك شخصيات تحمل هماً عالياً في إنقاذ هذه المدارس، ولها رؤيتها التجديدية؛ لإنقاذ المدارس التقليدية مع المحافظة على الثوابت والأسس، يقول شيخنا الحبيب أبو بكر المشهور - حفظه الله تعالى - وهو يتحدث عن المدرسة الحضرمية التقليدية والأماكن التي كانت محلاً للتربية والتعليم في معرض ترجمته لوالده في كتابه (قبسات النور) حيث يقول: ... من خلال متابعة الترجمة سيلاحظ القارئ ورود بعض العبارات الدالة على أسلوب التعليم والأخذ والتلقي بحضرموت كلفظة (مدرسة السلف) و(الأربطة) و(الزوايا) وغيرها، وهذا يعتبر في وادي حضرموت أساس الطلب والأخذ منذ العصور القديمة.

فأول ما عرفت حضرموت من العلم والحلقات في المساجد وزيارة العلماء في منازلهم للطلب، ثم بنيت بعض الزوايا (جمع زاوية) والزاوية: مبنى يضاف إلى المسجد أو إلى بعض المنازل، وتخصص لدراسة العلم من فقه وحديث وتفسير وغير ذلك. كزاوية الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران المباركة بتريم التي تأسست منذ القرن التاسع، ولا زالت تخرج العلماء والفقهاء حتى يومنا هذا.

وأما ظهور الأربطة فأول رباط فتح هو رباط الإمام الفقيه المقدم المتوفى عام ٦٥٣هـ بتريم، وبعده رباط الشيخة سلطانة الزبيدية المتوفاة عام ٨٤٣هـ، وبعده رباط الإمام الشيخ عبد الله أحمد باسودان بالخريبة المتوفى عام ١٢١٣هـ، ثم رباط سيؤون الذي بناه الحبيب علي بن محمد الحبشي، ثم رباط الغيل الذي بناه الشيخ محمد بن يسلم، ثم رباط تريم الذي بني عام (١٣٠٤) هـ ، ثم ظهرت بعض المدارس ذات النمط الحديث ، ولكنها بصفة أهلية غير

حكومية مثل : مدرسة النهضة بسيؤون، وجمعية الحق بتريم [١].

وبعد أن ساق هذا التطور في بناء أماكن العلم وتدريسه يظهر لي أن المؤسسات التعليمية مرت بمراحل:

١ - حلقات في المساجد والزوايا.

٢ -أربطة.

٣- مدرسة النهضة.

٤ - جمعية الحق.

وهذا نوع من التطور في نظري لمعالجة الواقع وتطوره، ثم ساق المنهج الذي يدرس في هذه الدور من كتب الفقه والنحو واللغة والعقيدة والبرامج الروحية التي يمارسها الطالب في يومه وليلته وفي الأسبوع كله، وقد تكلم عن تأثير المدارس الحديثة على المدارس التقليدية بقوله: (وهذا كله انتهى بمجرد زحف المدرسة الحديثة المتمثلة في منهج الحكومات بحيث زاحمت هذه المدارس نشاط الأربطة السلفية وأغلقت أبوابها واستقلت بمسألة التربية والتعليم، وجعلت منها وظيفة خدمات تابعة للحكومة ومعبرة عن سياستها، ومن المعلوم أن منهجية المدرسة الحديثة منهجية مفيدة من حيثيات معينة، ولها مردودات إيجابية على الدارس خصوصاً إذا واصل الطالب دراسته إلى المراحل العالية، ولكن كثيراً من الطلاب يتحولون إلى أضداد وأعداء لمنهج أسلافهم، بفعل ما رسم من سياسات ضمنية داخل المدرسة الحديثة ذاتها)[٢].

وهذا في نظري تقييم لوضع المدرسة التقليدية أمام المدرسة الحديثة، وتقييم واعٍ أيضاً للمدرسة الحديثة من حيث إنه يستفاد منها في جوانب معينة، وتقييم لمن يدخلها وتحوله إلى ضد وناقض لمدرسة الآباء والأجداد؛ بسبب سياسات دخيلة على المدرسة الحديثة.

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، قبسات النور ، ص٣٠٩ ، الطبعة الأولى ،دار الرازي للنشر والتوزيع، دار الفقيه للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٢- قبسات النور ، ص ١١.

ثالثاً: ملامح التجديد

في كل مدرسة فكرية أو علمية أو سلوكية تجد شخصيات تظهر وتحاول خدمة المدرسة وإبرازها؛كي يكون لها الثبات، وكي تحافظ على كيانها في عصور المتغيرات، وهذه الشخصيات تسلك مسلكين في خدمة المدرسة التي تنتمي إليها وتريد التجديد لها.

١- شخصية تظهر وتريد التجديد والإصلاح في المدرسة، ولكنها تنظر إلى الماضي بعين الاحتقار، وتريد نسف الماضي بما يحويه، وتنسلخ كلياً عن ماضي المدرسة وجذورها الفكرية والسلوكية، وهذه شخصية مبددة وليست مجددة، وإن كان بعض الناس المتأثرين بالمتغيرات يصفونها بأنها مجددة، وتجد مثل هذه الشخصيات الثناء عليها من الغرب ومفكريه ومن المنبهرين بالعصرنة في كل شيء.

٢- شخصية تنظر إلى الماضي بعين الإجلال والإكبار والاحترام والتقدير، ولكنها تستفيد منه وتظهره بثوب جديد يتلاءم مع المرحلة التي تعيشها، وفي الوقت ذاته فهي تدرس المرحلة الماضية بوعي وفهم، وتدرس المرحلة المعاصرة التي تحيط بالمدرسة الفكرية والسلوكية أو غيرها بإدراك وعمق، ومن خلال هذه الدراسة للماضي والحاضر، تعمل لإبراز دور المدرسة بعيداً عن الغوغائية والفوضوية والتلاعب بثوابت الإسلام، وبعيداً عن الذوبان في أيدلوجيات الآخر، وهذه الشخصيات يكتب لها البقاء ويستفاد منها، وشيخنا الحبيب أبو بكر المشهور من جملة هذه الشخصيات، يجد ذلك من يدرس ويطالع ويقرأ كتبه، ونجد ملامح التجديد في نشاطاته العلمية والتربوية من خلال الدورات الصيفية والفكرية التي تقام هنا وهناك.

ونجده يجسد هذا المفهوم في هذا النص بقوله: " والحقيقة المُعرَض عنها تشير إلى أن مدرسة التصوف لا تعارض الأخذ بالعلم الحديث وأسبابه، وإنما تعارض الانصياع الكلي إلى المدرسة الحديثة والتجرد عن المنهجية الروحية؛ استصغاراً لها واحتقاراً لبرامجها؛ واستتباعاً لدعابات أعدائها، ولهذا أو ذاك فاستعادة العمل بضوابط الطريق المشار إليه سلفاً

مسألة هامة ولازمة، ولكن مع التدرج وتحديث المخاطبة بقاموس الزمان والمكان والاهتمام الكلي بصياغة الطريق وضوابطها الفكرية بلسان الزمان مع المحافظة الكلية على القواعد والأساسات التقليدية. "[١].

ويتحدث عن القصد من هذا التحليل ونظرته التجديدية في النص السابق ومغزاه فيقول : " والقصد هنا من هذا التحليل ملاحقة العقل الحديث المخدوع بعشرات الأطروحات الفكرية المدعمة بالجوانب المؤثرة على العاطفة والعقل؛ ليقرأ قواعد المدرسة العلوية (التي هي المدرسة الحضرمية) يستوعب أبعادها العلمية والعملية من داخل ذلك الإطار الإسلامي الشامل"[٢].

ونجده يشخص الأسلوب المتبع في المعالجة والانتشار لمنهج المدرسة ويرى أن هناك أناساً ما زالوا يحملون في أفكارهم الأسلوب الضيق في معالجة الواقع ومشاكله، ويرى أن الأسلوب المتبع الضيق يقضي على نشاط المدرسة المحلي والعالمي.

ويطرح هذا بوضوح فيقول: " إن طبيعة المرحلة المعاصرة قد أفقدت مدرسة (آل البيت) في العالم وفي حضرموت مكانتها وأثرها المتحرك، وسلبت أيضاً من بقية مشايخها وتابعيها مركز الحركة والتأثير في الواقع، كما أن أسلوب المعالجة والانتشار داخل المدرسة المباركة ما زال يحمل صفة الإقليمية والاهتمام الذاتي بفرعيات المسائل والتعصب للفروع والبديهيات، وكذلك معالجة الأمور المستجدة من زاوية التشبث بالأقاويل الميتة، والتصورات المهزومة المهزوزة، وهذا وحده كافٍ لقتل الروح المتحركة في المدرسة وشل أنشطتها المحلية والعالمية لو بقيت كذلك"[٣].

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، المناصرة والمؤازرة، ص٦٥ وما بعدها، الطبعة الثانية، مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث،١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

٢- المصدر نفسه ، ص٦٦ .

٣-المشهور، أبو بكر العدني بن علي، التنصيص المثبوت لإبراز المواقف العالمية في منهج آل البيت بحضرموت، ص٥٠ وما بعدها، الطبعة الثانية، فرع الدراسات وخدمة التراث،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .

رابعاً: التصور المغلوط في البقاء على الأسلوب القديم

الركون على الأساليب القديمة في معالجة أوضاع مدرسة أو واقع دليل على العجز في الفكر والشلل في التصور والرؤية والجمود في العقل لدى الشخصية التي تسلك هذا المسلك، وينبغي أن نفرق بين "الأساليب" و"الثوابت" فالجمود على الأساليب نوع من العجز والشلل الفكري، والتمسك بالثوابت دليل على الوقوف على أرضية صلبة، وهذه نظرة التجديد الحقيقية التي سلكها العلامة أبو بكر المشهور حيث يقول: "إن القشة التي قصمت ظهر البعير هي تصورنا النجاح في استمرار دعوتنا العالمية بين الدعوات المتمرحلة بالأسلوب التقليدي المتوارث ، فالأساليب تفنى وتموت، وأما الفكرة والمدرسة فباقية ببقاء مقوماتها، وأفضل ما يساعد هذه المقومات على بقاء روحها وجوهرها إدخال بعض التجديدات في الوسائل والأساليب المتبعة في الجانب التعليمي والدعوي، وتحديث الأطر التطبيقية وتطويرها، وإعادة كتابة المنهج الروحي للمدرسة بأسلوب العصر وقاموس الحياة؛ ملاحقةً للعقل الإعلامي المبرمج واستحواذاً ملحاً لاجتذاب الجيل المدرسي من أحفاد مدرسة آل البيت ذاتها"[1].

وكل هذا التجديد في الوسائل والأساليب وتحديث الأطر التطبيقية وإعادة كتابة المنهج الروحي بأسلوب العصر، كل هذا ملاحقة للعقل الإعلامي والمحافظة على المندفعين والمفرطين من المحبين في المدرسة ، يقول في هذا: "وكبح جماح المندفعين والمفرطين من جيوش المحبين والمتعلقين السطحيين؛ كي يمارسوا مجموع علاقاتهم بالشخوص والأحداث والعادات بطريقة معتدلة تساعد الجميع على سد ثغرات الإفراط ، وتنقل المدرسة وأتباعها إلى مرحلة الضبط الواعي لمجموع العادات والتقاليد "[2].

وهذا التجديد والاستحداث لا يعتبر تهويناً لحق شيوخ المدرسة في القديم ، ولا تعدياً على فكرهم وأساليبهم في عصرهم، فلهم عصرهم ، ولنا عصرنا، يقول في هذا المضمار – وهو يزيل شبهة الاتهام –:"وهذا الاعتدال الواعي لا يعتبر نقصاً ولا تقصيراً في حقوق

١– التنصيص المثبوت ، ص٥١ وما بعدها .

٢– المصدر نفسه، ص ٥٢ .

الأحياء ولا حقوق الأموات، بل اتباعاً لشرع المصطفى ﷺ من جهة، وحفظاً لأعراض الجميع أن ينالها المغرضون من جهة أخرى"(١).

بل نجده يرى أن إعادة التربية الأبوية في العصر الحديث بالأسلوب القديم أمر مستحيل وغير مُجْدٍ يقول: "إن دعوة الأسلوب التعليمي التربوي الأبوي إلى الواقع المعاصر بنمطه التقليدي أمر مستحيل ولا شك ، ولكنا نعتقد أن التربية الأبوية بمرونتها وسعة ثوابتها قادرة على التكيف النسبي مع ظروف الحياة المعاصرة إذا وجد المعلم والأب والأم الواعي مهمة الدور المناط به"(٢).

وفي كل عصر ينبع علماء يمتلكون رؤية صائبة وناجحة في تجديد المدارس وأساليبها ولفت أنظار الأمة إليها بأساليب حديثة وممكنة، تجعل الآخر يلتفت والغافل ينتبه، ويقولون لأفراد الأمة لا تيأسوا فبالإمكان ربط الحاضر بالماضي وبرؤية متجددة، فيقابلون بأناس يريدون أن يقفلوا باب التجديد، وهم أشبه بـ"القواعد من النساء" وإن كان في هذا التعبير والتشبيه غلظة فليعذرني القارئ على ذلك، وهذا موجود على مر التاريخ، وهؤلاء لا يعرفون قدر ومكانة التجديد، فهو يحافظ على البناء من السقوط والانهيار، نجد الحبيب أبا بكر المشهور يشكو من هؤلاء الناس الجامدين فيقول: "إن مواجهة البسطاء والعوام لإعادة ترتيب الوسائل المتبعة في العادات والتقاليد هي أشد صعوبة من مواجهة مدرسة الأضداد ذاتها، ومع أن الأضداد لا يصدهم عن هجمتهم الإعلامية ترتيب أوضاع الوسائل أو تصحيح بعض إفراطاها؛ لأن برنامج المرحلة المطروح للتنفيذ اقتلاع جذري للمدرسة التقليدية من أساسها، دون الحاجة إلى الترميم أو الترقيع، ولكن هذا لا يضر مدرسة عالمية كمدرسة آل البيت؛ لأن الهادم لا يهمه من الأمر غير الهدم والدمار، وأما صاحب البناء فيعنيه أمر الاهتمام بالبناء كلما دب إلى بعض جوانبه التصدع والتشقق، ولا ينقص قدر بنائه بالترميم والترقيع ، بل يمتن ويقوى ، ومن الحزم والعزم أن لا يضيع الحق بين محب مفرِّط

١- التنصيص المثبوت ، ص٥٣ .

٢- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص٥٣، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث،١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .

ومدفوع أو منتفع مفرِط."[١].

وينبغي لأبناء المدرسة أن يعوا هذا الأمر ويأخذوه بجد، وأدعوهم ألَّا يأخذوه إلا بعد أن يدرسوه دراسة واعية، ويعرفوا واقعهم ومتطلباته، والمتغيرات العالمية والسياسات التي تفرض على الواقع والمواقع، وأن يستفيدوا من العقل والتفكير، ويعرفوا مصلحة المدرسة، ويشخصوها تشخيصاً واعياً، وألَّا يكونوا حجرَ عثرةٍ أمام الرؤية التجديدية الناضجة، لاسيما إذا جاءت من أناس تربوا تربية علمية واعية، ويعملوا على التجديد في ظل المحافظة على ثوابت المدرسة، من أمثال الحبيب أبي بكر المشهور.

ونجده يشكو من هؤلاء الذين يرفضون التجديد، وهم لا يمتلكون رؤية تبرز المدرسة بأنها قادرة على الثبات في ظل انهيار الأمة وانهيار قرارها يقول في شكواه: "والأدهى والأمر أن عدداً من أحفاد وأبناء وأتباع المدرسة الأبوية ذاتها لا يرغب أن يقرأ أو يسمع شيئاً يجدد دعوة آبائه المسندة، بل ويعتبر التجديد من وجهة نظره الحائرة خروجاً عن طريق السلف وتجاوزاً لما أرادوه فينا"[٢].

ونجده يضع هؤلاء في موقع حرج، ويطلب الإجابة عن واقعهم الذي هم فيه فيقول: "ولكن هذا العنصر ذاته عندما يعمل أو يباشر الوظائف الرسمية والدراسات العلمية وينصهر في سوق العرض والطلب، جاثياً بين مواقع الشبهة والحرام على الركب، لا يتذكر أن هذه الحالة المزرية التي هو وأشباهه عليها خروج عن طريق السلف، وتجاوز فاضح لما أرادوه، بل وما أراده نبينا الأكرم ﷺ.

فهو في النهار عامل خدماتي في مدرسة الضد والشبه والقبض والنقض، ربما لأجل اللقمة، وربما لأجل إيصال الكلمة الحسنة والحكمة، ولكنه في حياته ومناسباته يتقوقع عن كل شيء يجدد دعوة أهله وسلفه، مستكيناً إلى كتيبات معينة وأوراد وأذكار محددة، ومجموعة من الأشباه والأمثال لا يتجاوزون عدد الأصابع، يستعرضون حال السلف وحكاياتهم وأخبارهم وآثارهم، ولا يرغبون في أن يقتفوا بهم عملياً فيما كانوا عليه من إصلاحات

١-التنصيص المثبوت، ص ٥٢ وما بعدها.

٢- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص٤٠.

اجتماعية وأخلاق نبوية ونشر دعوة في الأفجاج والأصقاع الإنسانية، ولهم من الأعذار والتمحلات والتعللات ما لا مزيد عليه.

لقد صار من الواجب على شباب المدرسة الأبوية أن يولوا المسألة المعرفية اهتماماً يضارع اهتمامهم بنشر التعليم المتوارث، وينظروا في أسراب الشباب والفتيات التائهين في معركة الحيرة والغرائز والهوايات، ويفهموا بوعي أبعاد الدعوة المحمدية الأصل الذي تفرع منه كافة الدعوات، ويستلهموا من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ معالجة الأدواء الفاشية، وحاجة الأمة إلى مدرسة الآباء الصافية."[١].

ويقدر المواقف الواعية المعتدلة التجديدية والتي تحمل في فكرها الوعي وتدرك أبعاد المراحل وهجمات أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين، ويعتبر مواقفها دليلاً على اليقظة والحس لدى المسلم أياً كان موقعه وانتماؤه، وهذا ما ينبغي أن يفهمه المذهبي والصوفي وغيرهما، وأن الجمود على العادات عجز في المفاهيم وعجز في إدارة الحياة.

ولقد تكلم عن وعي المذهبي والصوفي، وأبدى أسفه على الذين يعيشون في سبات العادات ولا يعرفون مراحلهم من حولهم ولا يفهمون الإشراقة الإسلامية الصحيحة إذ يقول: " وبالمقابل فإن الأطروحة تقدر وتثمن وعي المذهبي والصوفي المعتدل الذي يدرك أبعاد هذه المرحلة وخطر هجمتها الشرسة على الإسلام كله. كما نبدي أسفنا العميق من سلوك وفهم أولئك الغارقين في سبات العادات الرافضين معرفة الإشراقة الإسلامية المتجددة"[٢].

فهو يعتبر أن الإشراقة الإسلامية دائماً في تجدد، ولكن لمن يفهم ويخرج عن قيود وسبات العادات في الممارسات والمناسبات والخطاب الفكري والثقافي والمعرفي.

١- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ، ص٤٢ وما بعدها .

٢- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، الأطروحة وجهة نظر تحليلية لمحو الأمية الدينية المطبقة على الواقع الإعلامي المعاصر، ص ١٩ وما بعدها ، الطبعة الثانية، فرع الدراسات وخدمة التراث، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

خامساً: مؤسسات التعليم في مدرسة حضرموت وبداية التجديد فيها

من يتتبع الأدوار التاريخية في مدرسة حضرموت التي مرت بها المدرسة في المجال التربوي والتعليمي يجد أنها مرت بأدوار عديدة، خضعت هذه الأدوار لمتطلبات المراحل ومتطلبات العصر، وقد بدأت مدرسة حضرموت كحلقات في المساجد وزوايا ثم أربطة، ثم مدارس مثل مدرسة النهضة، ومدرسة جمعية الحق، ومدرسة الكاف، ومدرسة جمعية الأخوة والمدرسة العيدروسية في قرى حضرموت، ومدرسة جمعية الفضائل ومدرسة الفلاح، ومدرسة مديحج وكانت تسمى (مدرسة مكارم الأخلاق) .

وهكذا نجد أن الانتقال من حلقات المساجد والزوايا إلى الأربطة أو إلى المدارس أسلوب تجديدي في التسمية والأسلوب، وهذا الأسلوب التجديدي التربوي كان سببه المؤسسات التي وضعها العدو في العالم الإسلامي بقصد سحب البساط عن المؤسسات التعليمية الأبوية التي كانت تمثلها الأربطة والزوايا، ففطن شيوخ المدرسة لمسايرة المرحلة من خلال الوسيلة، ونحن الآن نشاهد الواقع في العالم الإسلامي والخطط الاستعمارية للأفكار قبل الأوطان، وما يبنيه الغرب من وسائل في حروب مختلفة على المستوى الاقتصادي والسياسي والتربوي والاجتماعي على العالم الإسلامي يجعلنا نسأل ما دور رجال المدرسة الأبوية سواءً في مدرسة حضرموت أو في غيرها؟، ومن خلال الاستقراء لمدرسة حضرموت وواقعها ورجالها في هذه المرحلة نجد أنها اتخذت أسلوب التجديد في مدارسها التعليمية ذات الصبغة المنهجية، والمتمثل في:

١- أربطة التربية الإسلامية التي أسسها شيخنا العلامة أبو بكر المشهور، ولها أثرها الإيجابي في الواقع التربوي والتعليمي من خلال نشاطاتها في الساحة وما يقوم به " مركز الإبداع الثقافي لخدمة التراث" في كتابة التاريخ ونشر البحوثات ذات الطابع العلمي.

٢- دور الزهراء التي أنشأها شيخنا في أكثر من محافظة.

٣-المنتديات الثقافية في أكثر من محافظة، وتعمل على إيجاد رؤية ثقافية في الأجيال من خلال ندوات ومحاضرات ولقاءات فكرية وثقافية.

٤-دار المصطفى، الذي أسسه العلامة عمر بن حفيظ وله الأثر التربوي العلمي العالمي في الحياة المعاصرة وتربية الأجيال على مائدة الكتاب والسنة والتزكية والأخلاق، وما تقوم به أربطة التربية الإسلامية، وما يقوم به دار المصطفى من توظيف للأوقات في الدعوة إلى الله بالحكمة وتنشئة الأجيال عليها، وإنشاء الأربطة وتجديدها بعد أن انحسرت وتراجعت عن موقعها الصحيح في الحياة، يعد خدمة للإسلام والمسلمين وخدمة للمدرسة الأبوية في هذا العصر الحديث وتجديداً للمفهوم التربوي.

٥-رباط تريم الذي تَخَرَّجَ منه أعلامٌ في العلم والدعوة والمعرفة ويعتبر من أهم المؤسسات التعليمية والتربوية والحاملة لواء المعرفة في المدرسة الحضرمية .

٦-رباط البيضاء الذي أسسه العلامة والداعية محمد عبد الله الهدار -رحمه الله- والذي له الأثر في المحافظة على الدين، في الوقت الذي حورب فيه الدين. والبناء المؤسسي للمدرسة الأبوية هو الأصل في هذه المرحلة، وما أضعف دور المدرسة الأبوية في هذه المرحلة إلا المؤسسات التي وضعها الغرب، وقد تحدث الحبيب أبو بكر المشهور عن مدرسة حضرموت كطريقة وكمدرسة لها طابعها الفكري وأنها خدمت كطريقة ولم تخدم كفكر ومؤسسة ومدرسة متكاملة حيث يقول تحت عنوان:(مدرسة حضرموت الأبوية بين الدعوة إلى الذات ومرحلة المؤسسات): " لسنا في تحديد الكلام عن مدرسة حضرموت بالذات، وإنما نحن في سبيل النظر من خلال حاجة المرحلة إلى مدرسة حضرموت، ومدرسة حضرموت لم تُخْدَم فكرياً من هذه الحيثية كمدرسة أصلاً، ولكنها خُدِمَتْ عبر الأجيال والتقلبات من حيث الطريقة، ولهذا يتلعثم كثير من المنتمين إلى هذه الطريقة عندما يتناولون المواقف الفكرية أو ما يسمعونه من الأضداد عن تراث الطريق ورجالها، والطريقة كانت ولازالت ناجحة في اختراق الواقع والتأثير على شرائح كثيرة فيه؛ لأنها مخاطبة للروح والوجدان، و كثيرٌ من حملة الأقلام وضحايا الإعلام هم أيضاً في حاجة للطريقة، ولكنهم متوقفون عند إشكالاتها وما يسمعونه من أضدادها، والأضداد لو حصرنا هوياتهم بتمعن لوجدنا أن الأسلحة المستخدمة ضد الطريقة أو حتى ضد الطرق كلها هي أسلحة

مؤسسات لا أسلحة أفراد، وهذا هو سر نجاح الهجمة المعاصرة؛ وخاصة أن المؤسسات هي كتل وهمية تتحدث دائما باسم الكل، وتنطلق بسياسة روح الفريق الواحد، فيجد أتباع الطريقة أنهم أفراد أمام جماعات وكتل فكرية، ويجدون أن نشاط هذه المؤسسات يتغلغل بواسطة الوسائل إلى البيوت والمخادع والمدارس والمساجد ويهيئ كتلاً جديدة في الواقع ضد سلوك الأفراد"(١).

وأعتبر هذا النص تشخيصاً لمدرسة حضرموت من أنها خُدِمَتْ كطريقة ولم تُخْدَمْ كمدرسة من ناحية فكرية، وقد خدمها الحبيب أبو بكر المشهور من الناحية الفكرية بما أصدره من كتب تبرز منهج الآباء والأجداد في تربيتهم ومنهجيتهم، وهذا لا يعني أنه تركها كطريقة لم يخدمها، بل خدمها كطريقة في مجالات متعددة، ويعد النص تشخيصاً كذلك لبرنامج المؤسسات المناوئة للمدرسة الأبوية، وفي ظل التشخيص لنفس المدرسة التي ينتسب إليها شيخنا وبتشخيص المدارس المضادة ، تكون هناك المعرفة التامة بمتطلبات الواقع، وما الذي ينبغي أن يفعله الشخص المنتسب إلى مدرسة من المدارس الأبوية التي تواجه حرباً شرسة من قبل الغرب وسماسرتهم، وموقعهم من المؤسسات حيث يقول: "وقد فطن السلف إلى هذه المسألة ولم يقفوا عندها أو حذاءها مكتوفي الأيدي، بل وضعوا قواعد عمل المؤسسات، وقعدوا لها قواعد الحركة في الواقع ونجحت هذه البادرة في تحويل الطريقة إلى مدرسة تتحدث بلسان المجموعة لا بلسان الفرد الواحد ولكنها مختلفة تماماً عن مؤسسات المدارس الضدية المسيسة"(٢).

ومعرفة التجديد وأنماطه وأساليبه ومفاهيمه لا يدركها إلا أناس يحملون الهم والحرقة على مسار الأمة، ولديهم الوعي في معرفة أعمال سلفهم عبر التاريخ، ومن لا هم له ولا وعي ولا خدمة للإسلام وأهله، لا يعرف التجديد وملامحه وأساليبه في عصره فضلاً عن أن يعرفه في آبائه وأجداده ، والحبيب أبو بكر المشهور من الشخصيات التي تدرس منهج الأسلاف دراسة واعية ومدركة وتلخص ملامح المدرسة وأساليب التجديد من خلال

١- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ، ص ٩٣وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص ٩٤.

أقوالهم وأفعالهم، وهذا طمأنة للأجيال الجامدة فقط، وإلا فالتجديد أمر مطلوب ومشروع، ودعا إليه الإسلام من حيث الوسائل ومعرفة الوقت، وما يحتاجه وهذا أمر لا غبار عليه يقول الله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[إبراهيم: ٤]. بما يعرفونه ومن يجهل لسان قومه ولسان عصره، ولا يعرف خطابهم ولا يعرفون خطابه فلا يتمكن من التجديد، وتحدث عن التحولات في المدرسة وبدايته حيث يقول:" وكان بدء هذا التحول وخاصة في حضرموت قديماً جداً، ولكنه اتسع وأخذ طابع الترتيب والتنسيق مع بدء ظهور مؤسسات التعليم الحديثة، فالمدارس الحكومية في أساسها مؤسسات مسيسة رسمية وضعت لسحب البساط من التعليم الأبوي، والمشرف الأساسي لمكونات المؤسسات التعليمية في مرحلتها الجديدة آنذاك هو الاستعمار، وأما المدرسون والإدارات وموظفو العملية التعليمية فما هم إلا عمال في مؤسسته، إذن فالمستثمر الأصلي لهذه المؤسسات هو الاستعمار وليس الشعوب وإن كانت في وجهة نظر العوام والمغرورين والمخدوعين بالسياسات الغربية أنها مدارس تقدمية، ضد التخلف والجهل، والتخلف والجهل لدى الاستعمار هو الإسلام ذاته، ولدى المسلمين المخدوعين كان ما يعتقدونه من تحجر العلماء وتزمت الآباء وركاكة المناهج الأبوية، فالاستعمار كسب الجولة والمسلمون خسروا حقيقة الإسلام، وظهرت منذ تلك المرحلة سياسة المؤسسات التعليمية بديلاً عن التعليم الأبوي سواءً كان ضمن الطريق أم خارجها"(١).

ويرى أن نظام المؤسسات هو أنجح وسيلة تجديدية للحفاظ على مدرسة حضرموت أو غيرها يقول: " إن النظر الجاد إلى إعطاء مدرسة حضرموت منذ الآن موقعها المناسب من بناء المؤسسات المتعددة سيسهم إلى حد كبير في سلامة بقاء أنشطة هذه المدرسة داخلياً رغم أي تغير أو تحول لا قدر الله"(٢).

فتطرقه إلى أن سلامة المدرسة وبقاء أنشطتها يكون من خلال المؤسسات، أَعْتَبِرُ هذه نظرةً تجديديةً راقيةً في مسار المدرسة والرقي بها نحو الأفضل واستمرارية العطاء .

١- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص٩٤ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١١٢ وما بعدها.

سادساً: رائدا التجديد في مدرسة حضرموت في المرحلة المعاصرة

مدرسة حضرموت بمنهجها الدعوي والعلمي تخرج لنا أجيالاً في كل حقبة تاريخية؛ لأن رجالها محافظون على منهجها والعمل على نشره في مشارق الأرض ومغاربها واستمرار إقامة وظائفها في العلم والدعوة والذكر عبر متغيرات الحياة، وفي ظل التحولات السياسية الخطيرة التي مرت بها البلاد فهم مقيمون على منهجهم في حضرهم وسفرهم وليلهم ونهارهم وعسرهم ويسرهم في أوطانهم أو في مهجرهم فالمدرسة مستمرة ومتجددة وقد أنجبت لنا في كثير من العصور من يعمل على تجديد المنهج وحيوية الروح وتنمية العقل وصفاء الذهن وإصلاح القلب وتزكية النفس لدى شباب المدرسة والمنتسبين إليها من الداخل والخارج.

فقد أنجبت هذه المدرسة الفقيه المقدم والإمام: عبدالله بن علوي الحداد ، والإمام: عبد الله بن عمر الشاطري الذي شرق وغرب بعلمه وتخرج على يديه علماء في رباطه العامر بالعلم والذكر والتربية أكثر من أربعة عشر ألف عالم بهذه الكمية الهائلة والعلامة: عبدالرحمن السقاف والمسمى بالمقدم الثاني والإمام العلامة الحبيب: عبدالقادر بن أحمد السقاف مجدد عصره من أنجب أعلاماً مجددين لهذه المرحلة وسيستمر العطاء العلمي المتجدد عبر العصور لهذه المدرسة بإذن الله، وما زالت تنجب العلماء والدعاة والصلحاء إلى يومنا هذا، ومعروف تاريخياً أن تريم بالذات مزرعة للعلماء والأولياء، وممن أنجبتهم في مرحلتنا المعاصرة، وكان لهم التأثير في اليمن شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، بل لهم التأثير على مستوى العالم العربي والإسلامي؛ لما يحملون من فكر عالمي، وعقلية عالمية، وروح متجددة وهمة عالية، وعزيمة قوية، ومسؤولية صادقة اتجاه دينهم وأمتهم ومدرستهم وأجيالهم ومرحلتهم، ولما يستشعرون من وضع خطير تمر به أمتنا الإسلامية ومدارسنا التقليدية، فممن كان لهم الدور الأكبر في مدرسة حضرموت في إنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولهم الدور الأكبر في إعادة مدرسة حضرموت إلى الواقع المعاصر وخوض إعادة البناء الفكري

والعلمي والدعوي والتربوي والقيمي والأخلاقي للمدرسة بثوب العلم والمعرفة ولغة التجديد، العالمان الربانيان، من يحملان الرؤية الواعية، والهمة الواسعة والروح العالية ، من أعاد الله بهما شرف المدرسة الحضرمية الأبوية النبوية هما:

العلم الأول: الحبيب أبوبكر بن علي المشهور :

العلامة الرباني والداعية المتفاني في خدمة الإسلام وخدمة السلف من حمل لواء التجديد في الفكر والدعوة والتربية وأدرك احتياج المدرسة والمرحلة المعاصرة للغة التحديث والإحياء، فكتب الكتابات، وعقد اللقاءات مع طلابه وأبناء جيله ممن ينتسبون إلى مدرسته واشترك مع الحبيب عمر في أكثر من مناسبة؛ لمدارسة هموم الأمة والدعوة؛ ومناقشة ما ينبغي أن يعملا ويقوما به في هذه الظروف .

العلم الثاني: الحبيب عمر بن حفيظ :

فضيلة العلامة والداعية المربي من رضع العلم والدعوة منذ صباه على يد رجال مدرسة حضرموت متنقلاً في مساجدها وزواياها، صاحب العناية الربانية النبوية الأبوية، من امتحنه الله بفقد أبيه على يد العصابة المفسدة الفاسدة في فكرها وتصورها وسياستها، عصابة الحزب في عهد حكمه للجنوب اليمني، وقد كانت هذه المحنة منحة لشيخنا الحبيب عمر، فكان رمزاً ليس لأبيه فحسب، ولكنه أصبح رمزاً من رموز التجديد في مدرسة حضرموت، امتحنه الله بأخذ والده، فكان شيوخ حضرموت ورجال مدرستها أباءه، وكانت العناية الربانية به متواصلة، فأصبح اليوم أباً لجيله وعلما من أعلام هذه الأمة أحيا الله به منهج أبيه ومدرسته خصوصاً ومدرسة الإسلام عموماً على المستوى الجغرافي تريم اليمن وعلى المستوى العالمي.

عاش في البيضاء متتلمذاً على يد العلامة والداعية إلى الله صاحب المحبة المتفانية للإسلام والدعوة والأمة الحبيب: محمد بن عبد الله الهدار والحبيب: إبراهيم بن عمر بن عقيل والحبيب سالم الشاطري والملقب بسلطان العلماء والذي أعاد الله به دور رباط تريم في نشر العلم والتربية في المرحلة المعاصرة ، وما زال الحبيب عمر حفظه الله يأخذ على يد الحبيب سالم الشاطري ويحضر درسه إلى وفاته رغم مهامه المتعددة في التعليم والدعوة

والتربية والخروج الدعوي خارج اليمن وحضور المؤتمرات واللقاءات وإجابة الدعوات في أكثر من دولة عربية وإسلامية وأوربية.

من معالم التجديد التي قام بها الحبيب عمر بن حفيظ إنشاء دار المصطفى في تريم للبنين ودار الزهراء للبنات، وهذان الداران يؤديان دورهما في التربية والتعليم والدعوة إلى الله، وقد فتح بابهما لكل الراغبين في طلب العلم وتربية الذات من شباب اليمن والعالم العربي والإسلامي بل فتح الباب لكل راغب من أوروبا الشرقية والغربية.

ومن معالم التجديد ملتقى الدعاة والذي يعقد سنوياً ويحضره كثيرٌ من الدعاة في العالم برعاية الحبيب نفسه وإدارته وإدارة دار المصطفى ، يركز فيه على قضايا الدعوة والتربية والفكر والمعرفة ومناقشة هموم الدعوة والدعاة وإيجاد الحلول المناسبة والتعرف على قضايا الشباب وهمومهم وإيجاد جيل يحمل هم الإسلام والمسلمين بعيداً عن السياسة والتسييس والانتماءات الضيقة ، وبعيداً عن المشاركة في أزمات الواقع الفكري المضطرب والواقع السياسي المتناقض الذي يحبط الجيل ويدخله في متاهات الأزمات والمشكلات، فيجعله مادة قابلة للاشتعال والتفجير والمزايدات السياسية فيخسر دنياه وآخرته ، إن الحبيب عمر يحمل رؤية لإصلاح الإنسان وفكره وقلبه وربطه بربه ودينه.

ومن معالم التجديد التي انتهجها في حياته التعليمية إقامة الدورة السنوية التي يحضرها كثير من الشباب من داخل اليمن وخارجه ويوضع فيها منهجاً يتناسب مع عقولهم ومرحلتهم ويعيش معهم مربياً ومعلماً ومراعياً لأحوالهم وعقولهم مع كوكبة من الدعاة والعلماء الذين يوزعهم للقيام بمهام التربية والتعليم والإفادة والاستفادة.

ومن معالم التجديد التي انتهجها في إعادة بناء الجيل بناءً متوازناً في كتابته ومحاضراته التي أعاد بها تشكيل العقول لدى شباب المرحلة بأسلوب يتناسب مع مرحلتهم ولغتهم، وهذا معروف لمن يتابع محاضراته وكتابته وما يكتبه بعض طلبته عنه في لقاءاته وتوجهاته.

ومن معالم تجديده درس الإثنين في التفسير والذي يحضره كثير من شباب الأربطة والمنتديات والجامعات من تريم وخارجها بلغة تربوية متوازنة وواعية، يعالج به قضايا وتصورات لدى الشباب وإعادتهم إلى لغة القرآن الكريم؛ كونها لغة البناء والإصلاح

والتنمية بمفهومها الواسع والتي تبدأ بتنمية العقل والروح والفكر والوجدان ثم بتنمية الواقع والشعوب.

ومن معالم تجديده إيجاد إذاعة محلية تبث الدروس والمحاضرات والكلمات واللقاءات والصلوات من دار المصطفى لأهل تريم وما حولها لإيصال الخير إلى الغير، وتوظيف الوسائل في نشر العلم والمعرفة.

من معالم التجديد إنشاء مؤسسة الرأفة للتنمية التعلمية والاجتماعية والتي تؤدي دوراً اجتماعياً وتعليمياً وتثقيفياً، ولها آثارها الملموسة والمتعددة في الجوانب المختلفة .

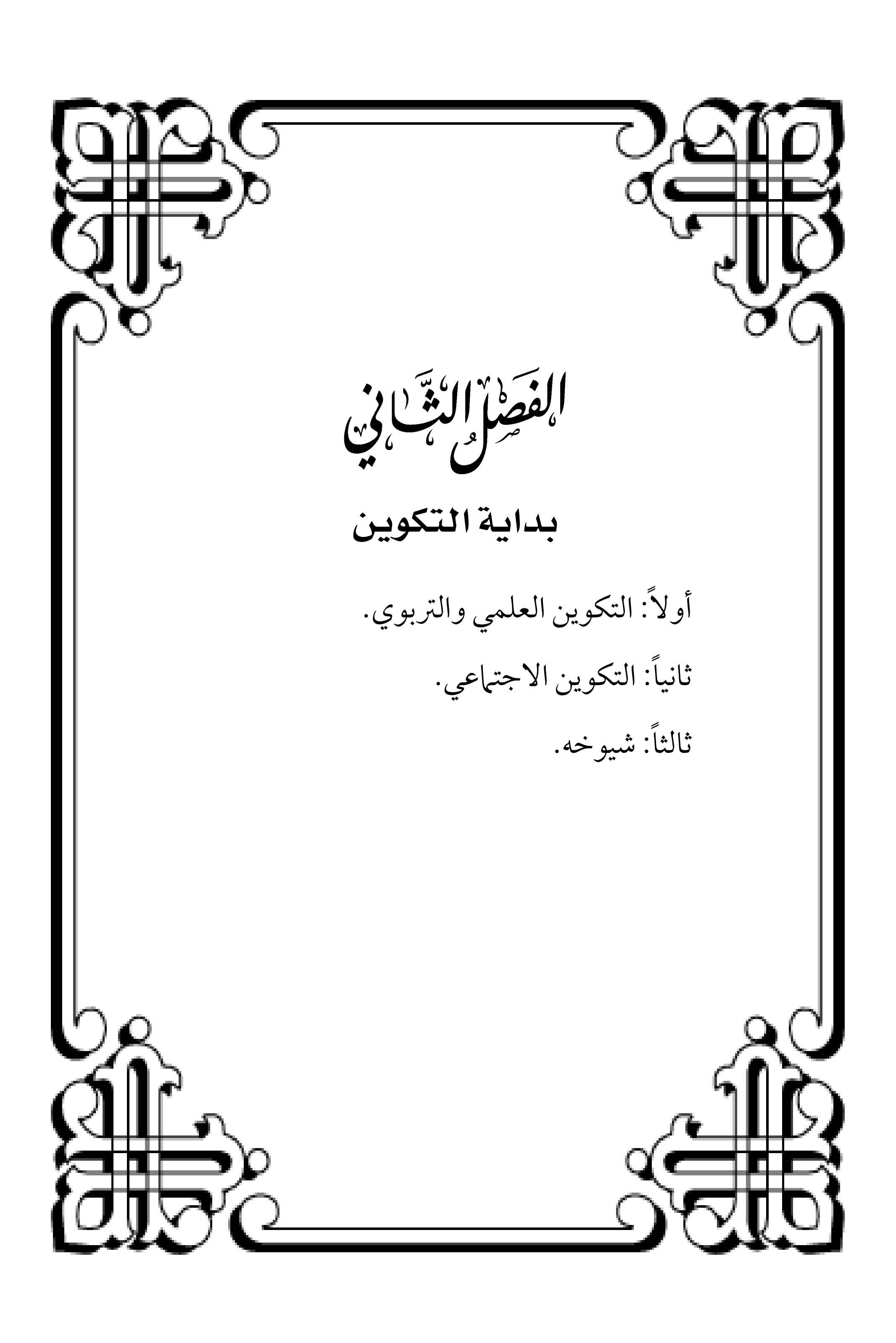
ومن معالم التجديد لديه إنشاء مراكز تعليمية ودعوية وتربوية في إفريقيا وآسيا وأروبا.

وله أسلوبٌ موهوبٌ في مخاطبة القلوب يجذب العقل والوجدان ويوقظ الفكر، فيخرجه من الغفلة والنسيان، ويعيد به توازن النفوس والأذهان ويشرح به الصدور، ويضع الإنسان أمام الحقيقة بعيدا عن القشور، ويربطه بمولاه الرحيم الغفور، ويجلي له الحقيقة النبوية؛ لإعادة التوازن إلى الإنسان الشارد والمغرور.

إن الحبيب عمر بن حفيظ – حمى الله به وبأمثاله مدرسة حضرموت ومنهجها– لمع نجمه وسطع نوره ورُفِعَ شأنه؛ لأنه أخذ منهج آبائه ورجال مدرسته بقوة وثقة وصدق توجه وصفاء سريرة ووفاء لآبائه وأجداده ورجال مدرسته وفاءً منقطع النظير.

ولست مبالغاً إن قلت إنَّ الحبيب أبا بكر والحبيب عمر رائدا وعلما التجديد في مدرسة حضرموت في المرحلة المعاصرة؛ لما قدماه من كتابات وإبداعات وإحياء المدرسة بلغة تحديثية ويكمل بعضهما بعضاً في تجديد المدرسة وخدمة الأمة، ولا نبخس غيرهما في المدرسة أو غيرها فلكل شخصية دور في الدعوة إلى الله والتعريف بدين الله وخدمة المدرسة الأبوية عموماً والحضرمية خصوصاً.





الفَصْلُ الثَّانِي

بداية التكوين

أولاً: التكوين العلمي والتربوي.

ثانياً: التكوين الاجتماعي.

ثالثاً: شيوخه.

أولاً: التكوين العلمي والتربوي

تربى شيخنا وحبيبنا على مائدة القرآن الكريم برعاية والده السيد العلامة والداعية المربي علي بن أبي بكر المشهور الذي أشرف عليه بنفسه من أول وهلة ملزماً إياه حفظ كتاب الله وعلى غاية من الملاحظة والجدية التامة.

وإذا كانت البداية لهذه الشخصية انطلقت من كتاب الله وعناية عَلَمٍ من أعلام الصلاح والاستقامة والولاية والتقوى والدعوة إلى الله ﷻ والذي أفرغ عنايته ورعايته الخاصة بأولاده ومنهم شيخنا، فإن الشجرة ستكون طيبة وناضجة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وها نحن نعيش في ظلالها ونقتطف من ثمارها كل يوم، ويتذوقها شباب عصرنا، وقد كانت محاضن التكوين العلمي لشيخنا أبي بكر العدني بن علي المشهور- حفظه الله تعالى ورعاه- أربعة محاضن:-

المحضن الأول: الأسرة :

ولا يخفى على كل مطلع وباحث عن أسرة آل المشهور فهي أسرة علم وتعليم وتقوى وصلاح وتربية وذوق ودعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد حملت لواء العلم والتعليم والدعوة إلى الله على عاتقها كقضايا أولوية في حياتها العامة والخاصة .

وآل المشهور جزء لا يتجزأ من آل باعلوي الذين شرقوا وغربوا بدعوتهم إلى الله ﷻ وتعليمهم وإرشادهم لهذه الأمة، فكيف لا تكون أولوياتهم الدعوية والتعليمية والتربوية لذويهم من أبنائهم وأحفادهم وأهليهم ؟ وقد كانت أسرة شيخنا ممثلة في أبيه الإمام والداعية إلى الله ﷻ الحبيب علي بن أبي بكر المشهور الشخصية التي فتقت عقل وفكر وبصيرة وقلب شيخنا بنور العلم والمعرفة والتربية، ولم ير في بداية حياته غير أبيه معلماً ومربياً وملاحظاً ومعتنياً وراعياً وموجهاً ومنبهاً ومعاتباً وحنوناً ومتلطفاً حيناً وقاسياً حيناً آخر، وقد أعطى جل وقته في تربية جيل من الشباب، وأعطى أولاده مهجة وقته، وممثلةً في أمه التي كانت المعين الأول للأب في تربية أولاده وتعليمهم والأخذ بأيديهم نحو المعرفة والاستقامة وتوازن السلوك وربطهم بالله ورسوله ﷺ وبالسلف الصالح ومدرسة

حضرموت ومنهجها العلمي والمعرفي والتربوي والدعوي، وقد تحدث شيخنا عن أبيه وأمه بقوله:" أبٌ متعلمٌ ومتخرجٌ من معاهد حضرموت الدينية، وداعٍ إلى الله تعالى، نذر نفسه منذ صباه لهذا الأمر ، وأم أمية نشأت في بيئة تزخر بالصفات الفطرية الكائنة والكرم والسخاء والجود وحسن الجوار والضيافة، وإبراء المعسر ، والتدخل ضد النزاعات القبلية وإخماد فتنها. وتعلقٌ بالإسلام من حيث الفطرة والميراث، ولا علاقة من حيث العلم والأبحاث، وكانت فطرتها تؤدي معادلاً هاماً في تربيتنا، إنه معادل القبول والرضا بأسلوب معالجة المعادل الآخر "[1].

ويتحدث عن رؤية أمه لأبيه وموقفها من تربيته لأولاده، فيقول:" وما كانت (أمنا) منذ الارتباط بسيدي الوالد إلا وهي ترى رجلاً ليس كمن تعهدهم في هذه البيئة الريفية، لسان لا ينطق إلا فيما ينفع ويجدي، وإما معلماً أو داعياً أو قارئاً لكتاب ربه ، أو متحدثاً بكل ما يقرب إلى الله ، وإذا تبسط في أحاديثه فشيء لا يتعدى الوقت، ومنذ المولود الأول وهي تسلم مسألة التوجيه والتربية وتركيبات العقل والنفس لمعلم القرية المعترف بصواب منهجه.. "[2]. ويتابع التحدث عن سلوك أمه مع أبيه حالة التأديب على خطأ ارتكبه الأبناء والتعامل بشدة إذا استدعى الأمر، فيقول:" منذ أن عرفت نفسي وأدركت وجودي، لم أسمع من والدتي اعتراضاً على أبي ومعالجته لشؤون تربيتنا وتعليمنا وحالات الغضب التي قد تعتريه لأمر ما. كان الصمت المطبق هو العامل الوحيد السائد في المعاملة سلباً أو إيجاباً، وربما اعترضت جدتي لأمر وتكلمت بعاطفتها، فيرد عليها بلطف يبرز المعنى القائل:

أَدِّبْ بنِيَّكَ إِذَاْ أَرَدْتَ صَلَاْحَهُمْ ... لَا خَيرَ فِيْ وَلَدٍ إِذَا لَمْ تَضْرِبِ

أَوَ مَا تَرَى الأَقْلَامَ عِندَ كِتَابِهَا ... إِنْ لَمْ تُقَصَّ رُؤُوْسُهَا لَمْ تَكْتُبِ

وكم من مرة ألهب السوط أظهرنا، والأم تسمع وترى وتشغل نفسها بالعمل الذي ألفته وعاشت عليه منذ الصبا " السفه"[3]. " والأدب من جانب واحد مع إسقاط المعادل الأخر حقه في التربية أو قل الأحقية الفطرية في الامتلاك طيٌّ سريع لمسافة الترسيخ الثابت

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، الحفر على جدران الذاكرة ، ص ١٤ وما بعدها لم يطبع بعد .

٢- المصدر نفسه ، ص ١٥ .

٣- السفة حرفة بدوية معروفة بأحور وهي صناعة الخوص .

لسلوك الأبوية المتوارثة، وامرأة على هذا الهدوء، وفي مثل هذا الأمر دلالةٌ بينةٌ على صناعة النفس للصمت، وإيداعها في القدر على التنفيذ .

وارتقى البنيان في أمن واطمئنان. لقد رأينا في ذات المحيط ومِنْ صِنْفِ البيئة المماثلة مَنْ تفرض نفسها على الرجل في حال تأديبه لبنيه مهددة متوعدة؛ مما يفتح جبهة استفزازية للأب، وإضاعةً من الأم لحلقات الربط بين التربية ومنفذيها، وإهداراً للطاقة الأدبية في البيئة، وإعلاءً للفطرة البشرية القائمة على استجابة النفس في أحقية الامتلاك، ولو كان بالوسائل المشروعة، ثم وهو الأهم إسقاط هيبة الأبوة واستهتار الناشئة بالآداب.. واستهزأ كثير من الأشباه والأمثال بآبائهم لذات السبب الآنف، ومع ذلك فالطباع البشرية هي الدافع الأوسع في حياة الرجل والمرأة إن لم تجد كابحاً من الشرع وتوجيهاً سليماً لمعدلات الفطرة، وهذا لا يعني أنَّ أمَّنا في حياتها على هذه السجية والإطلاق، فهي من نوع آخر في حقيقة التعامل الخاص مع سيدي الوالد في دائرته الخاصة، وبمقدار ما تمنحه الرضا والموافقة في تربية أبنائه وتسيير حياتهم العلمية والعملية، فهي المرأة التي تغار كل الغيرة على ذاته ومودته، وللغيرة المفرطة مآخذ وهفوات، وكان من البديهي أن يقدر والدي لهذه الظاهرة قدرها ويقابلها باللطف والهدوء؛ حتى لا يصطدم بغليانٍ يدمِّر عليه نشاطه الديني والعلمي المبارك. إنه أمرٌ ليس مثيراً للعجب فقط، وإنما هو جديرٌ بالملاحظة، فهناك في ذات الدائرة من شقيقاتها من حرصت كل الحرص على التدخل ضدَّ الأب في شؤون تربية الأبناء؛ غيرة عليهم حتى فلت الزمام من الأب ، واتسعت سلبيات السلوك فيما بين الأبوة والبنوَّة، بينما كان في المقابل استسلامٌ كلِّيٌّ في محيط التعامل الخاص بين الأب والأم، وانطراح الأم لزوجها دون اعتراض في اختباراته التي يفرضها في دائرة العلاقة بينهما وحدهما، فلا غيرة ولا سلبيه . ولعلَّ كلَ هذه المفارقات تفصح عن الحكمة الإلهية التي تفرقت في الأفراد واجتمعت في البيئة والمحيط.. "[١].

فالأم كانت العون الأساسي في إيجاد شخصية شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور حيث أدركت وظيفتها بفطرتها النفسية البعيدة عن التلوث الفكري والعاطفي

١- الحفر على جدران الذاكرة ، ص ١٦ وما بعدها .

والاجتماعي الذي أصاب الأسرة اليوم. فشيخنا عاش في مرحلته الأولى بين أب أدرك وظيفته التربوية في محيط أسرته ومجتمعه، وبين أم اعتنت به وأدركت وظيفتها نحو أبنائها، ولم تتدخل في وظيفة الأب في التربية والتعليم والتوجيه، فكانت الأم منسجمة تمام الانسجام مع الأب في شأن تربية الأولاد، فأثر هذا الانسجام تأثيراً إيجابياً على الأولاد عموماً (ذكوراً وإناثاً) وعلى شخصية شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور -حفظه الله- وهذه التربية الأبوية أفرزت شخصية علمية وتربوية فكرية حملت مشروعاً عالمياً واعياً له بصماته التربوية في اليمن وغيرها وكان له الدور التغيري الإيجابي علي وعلى أمثالي من شباب المرحلة المعاصرة بتناقضاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية، فحفظ لنا توازننا في ظل هذه المتغيرات التي أودت بكثير من الشخصيات العلمية فضلاً عن طالب العلم في أتونها وسلبياتها ومنعطفاتها الخطيرة وصراعاتها السياسية والقبلية والمذهبية والمناطقية المفضية إلى تلوث اليد بإراقة الدم وتلوث اللسان بالذم.

المحضن الثاني: المدرسة :

وقد كانت المدرسة المحضن الثاني في تكوينه العلمي والمعرفي وبإدارة والده المربي الكبير الذي كان يراقب دراسته وتعامله وتعليمه واستيعابه لدروسه وعلاقاته بمن حوله.

ولأن المسؤول الأول في المدرسة هو والده، فقد كان الكادر التعليمي الذي يعمل في المدرسة الميمونة كادراً نموذجياً ومتخصصاً، مجيداً في تخصصه، ماهراً في أدائه، مخلصاً في عمله، يحمل القدرات العلمية والتربوية والأساليب الإبداعية في توصيل المعلومات، قدوة في سلوكه كيف لا يكون هذا الكادر كذلك! ومن على رأس الهرم الإداري الإمام: علي بن أبي بكر المشهور -رحمه الله تعالى- وقد تحدث عن هذا الكادر وعن مرحلته الابتدائية وتفوقه بقوله: " وكنت في تلك المرحلة طالباً في الابتدائية، تدرجت بتفوق بين زملائي حتى السنة الرابعة، ولي ذكريات جميلة الأثر مع رتل المعلمين وكوكبة الزملاء في الصفوف فالمدرسون يباينون في المظهر والجوهر وفي التصرفات، فالشيخ العلامة محمد بن أحمد العزب أستاذ المادة الدينية ومنها الفرائض، وإذا ما غضب بعامل من عوامل الإزعاج الصبياني رمى من رآه مزعجاً بالممسحة الخشبية، وقد تصيبه وقد تخطئه، وكان مدرساً قديراً وعلى مستوى من القدوة الحسنة وغزارة المادة والإخلاص في الأداء والعطاء.

والأستاذ الإداري المبرمج: أبو بكر بن عبد الله بن سميط شخصيةٌ ذاتُ تفرد في المظهر والأسلوب والمادة والمعالجة، إنه بارع في مادة الرياضيات، وذو خطٍ جميل، ويجيد الإنشاد المدرسي، ويهابه الطلاب إلى حد الذعر، وأما صديقه الحميم الأستاذ: أحمد حسين ذيبان فهو الأديب الشاعر الناثر البشوش، وذو صدر سليم وانفعال موقوت، ومحب لمادته التي يدرسها ومنها الجغرافيا، وكم رحل بنا من "أحور" إلى بلدانٍ عديدة ونحن على مقاعدنا المدرسية ومن صحبنا له وعليه! وكم عرفنا من القصص والحكايات والتاريخ وسرعة الكتابة على السبورة ورسوماً وخرائط! والأستاذ القدير الهادئ المتزن الذي كان يحبه الطلبة ويفرحون بقدومه الأستاذ مهدي ناصر أبو بكر يبذل في التفهيم والإفهام جهداً ويؤدي مادته بحماس وله معالجة لطيفة للطلاب وابتسامة تسبق حديثه واشد منه صلابة ومعالجة الأستاذ: محمد أحمد مزاحم، إنه المدرس العلمي الدؤوب وصاحب اليد المؤدبة، وكم لذعتْ أظافرُه وعركت أناملُه شحمةَ أذناي، ولا زال بعض زملائي إلى اليوم يتذكرون ذلك، وكان أستاذنا في مواد كثيرة ومنها المادة العلمية (التجليد)، وكثيراً ما شعرت بعطف هؤلاء وغيرهم علي خصوصاً؛ لمكانتي من أبي؛ ولما يظهر غالباً من التفوق في بعض الدروس إلا الحساب"[١].

وقد ظهرت مهارات هؤلاء الأساتذة على عقلية وتفكير وسلوك ومنهجية شيخنا، فقد اكتسب الهمة والعزيمة في التربية والدعوة إلى الله ﷻ من أبيه، والإبداع والجدية والإخلاص والتفاني والمحبة لطلابه، والمنهجية التربوية والارتقاء بالعملية التعليمية من الوظيفة إلى الرسالة من خلال أساتذته ومنهجية مدرسته الأبوية النبوية

المحضن الثالث: المسجد:

فقد عاش في تربيته الأولى متنقلاً بين البيت المسؤولة عن تربية من يسكنها والمدرسة والمسجد، وقد كانت البيت والمدرسة والمسجد مسؤولية أبيه، فهو الراعي للبيت والمدير على المدرسة والمحاضر والخطيب للمسجد والمتابع لما يدور فيه من دروس وحلقات قرآن في المساء والصباح والظهيرة.

١- الحفر على جدران الذاكرة ،ص ٨ وما بعدها .

حيث كانت المدرسة والبيت والمسجد يكمل بعضهم بعضاً، ويجد الطالب الانسجام التام بين هذه المؤسسات التربوية والتعليمية، وعندما يكون الانسجام بين هذه المؤسسات تفرز الأجيال الإيجابية في تفكيرها وسلوكها وتصوراتها، وعندما يوجد التناقض فيما بينها تفرز الجيل المتناقض والمشتت والمنشطر فكرياً وسلوكياً، فالحبيب علي بن أبي بكر المشهور بمنهجيته التربوية أدرك وظيفة وأهمية البيت في المجال التربوي وأدرك وظيفة المدرسة والمسجد التكاملية في هذا المجال، وعمل على تمازج المسؤولية بين هذه المحاضن والمؤسسات التربوية والتعليمية ونجح نجاحاً حقيقياً، وأثار هذا النجاح مشاهد في أبنائه وطلابه، والنموذج لهذا النجاح يتمثل في شيخنا الحبيب: أبي بكر العدني بن علي المشهور.

وقد تحدث شيخنا عن المسجد ودوره في تكوينه العلمي والتربوي حيث يقول:" المسجد مدرستنا الأولى في أحور.نعم، لقد نبتت كثير من علاقاتنا الروحية في مساجد المدينة. أليست كانت مهمة أبي هي الدعوة إلى الله منذ أن فارق أهله ومنزل آبائه وأجداده في تريم؟! لذلك فالمسجد هو الموقع المناسب لهذه المهمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أنَّ أعيننا تفتحت في مجال الرؤية البصرية بين جدران المسجد وبين الاستعداد للذهاب إليه ليل نهار.

لما ضرب والدي خيمته؛ ليقيم في هذه البلدة، إنما بدأ صوته يظهر في المسجد، ولما أعد العدة لترتيب طلبة المدرسة الأهلية إنما كان اجتماعهم في المسجد.

ولما فتح مدرسته الأهلية؛ لتستوعب العشرات من الطلبة جعلها في خدمة المسجد وعالة عليه، فكثير من الطلاب إنما يجلسون في حلقات الفقه والتفسير والنحو في المسجد؛ ليتصدروا بعد ذلك في المدرسة، وكان الوجه المشرف في التطبيق العملي للدروس المدرسية مكانة المسجد. والتصقت ذكريات مساجد أحور في أذهاننا إلى درجة التصور الخيالي. في الأحلام.."[١] . ثم تحدث عن ذكرياته في مساجد أحور ودورها في بنائه الفكري والعلمي والروحي ودور أبيه في توظيفها، حيث يقول: " كان مسجد هاشم بالنسبة لي أحد المعاهد التربوية التعليمية التي أنشأ فيها سيدي الوالد كثيراً من مواهب، وأما نوباته الدورية التي أسهمت في تمتين بنيان هذه المواهب، فالذكريات كفيلة بحفظها. كنا نخرج من مبنى

١- الحفر على جدران الذاكرة ، ص ٣٨ وما بعدها .

المدرسة الميمونة بعد انتهاء دوام المدرسة ظهراً، كل يوم على هيئة طابورين طويلين يكون أوله قد دخل المباني القصيرة التي يتكون منها سوق أحور، وآخره ينساب من مدرجة الجناح الأمامي للمدرسة الميمونة، وحولنا المدرسون ورؤساء الصفوف والمراقبون ومتجهنا إلى مسجد هاشم لأداء صلاة الظهر هناك، ويجتمع الطلبة في هذا المسجد حتى إذا ما فرغوا من صلاتهم أشار سيدي الوالد إلى الابتداء بالقراءة لأبيات من المنظومة الفقهية " ويردد الطلبة الأبيات " ثم يقوم بعد الفراغ بتقرير بعض الأبيات.

وفي مساء كل خميس نهرع من منزلنا قبل صلاة العصر نلاحق سيدي الوالد وهو متجه إلى مسجد هاشم؛ ليلحق صلاة العصر ويقرأ المولد الشريف[1].

ويتحدث عن مسجد هاشم ودوره في تكوينه مسجد هاشم، مسجد أثري قديم له في النفس موقع وذكرى [2]. ويتحدث عن مسجد جمال الدين وأثره التربوي عليه ومكانته الروحية، فيقول: ثم مسجد "جمال الدين " المسجد القائم الذي بنته أيدٍ مباركة، وصَلَّتْ في محرابه وجوه مباركة ، متفرد في بنائه ومكانه وحتى في مصليه، وقد سبقت الإشارة إليه.

وكان مسجد جمال الدين أحد معاهدنا العلمية العملية، بل هو مدرسة تخرج منها الكثير، كان سيدي الوالد يرتاده قبل أن تعرف الطريق إليه وفيه أنشأ جيلاً، وعلم شباباً وشيوخاً، وكانت له حلقة علم فيه بعد المغرب إلى العشاء وبعد الصبح إلى الإشراق[3]. ويتحدث شيخنا عن مسجد جمال الدين وتعليمه فيه، فيقول: وقرأت في حلقة الدرس بهذا المسجد في كتب عديدة، قرأت التفسير الجلالين والصاوي وبعض الخازن، وفي الفقه السفينة والمقدمة وأبي شجاع، وقرأت مع أخي ومع بعض الطلبة البردة كل جمعة ثم مراجعة شرحها كل ذلك في المسجد بعد المغرب وبعد صلاة الصبح"[4]. وقال عنه:" مسجد جمال الدين بأحور أحد المصابيح الروحية التي أشعلت جذوة الإيمان في مرحلة الصبا (مرحلة

---

١ - الحفر على جدران الذاكرة ، ص ٣٩ .

٢- المصدر نفسه ، ص ٤٠.

٣- المصدر نفسه ، ص ٤٠.

٤- المصدر نفسه ، ص ٤٢.

التكوين)"[١].

ويتحدث شيخنا عن مسجد با هارون وأثره عليه علمياً ومعرفياً وتربوياً فيقول:"وأما مسجد با هارون فهو أيضاً أحد معاهد التكوين للفكر والاتجاه مسجد كان على قواعده التي بناها السيد: عمر بن محمد باهارون المدفون بجوار المسجد، وكان سيداً فاضلاً أسس المسجد والحضرة ، وظل المسجد مجتمعاً للمصلين حتى الموافقة على هدمه ؛ليبنى من جديد تحت نفقة الحكومة المحلية، ولما أعيدت قواعده على الكيفية الجديدة عين إماماً له السيد: عبد الله بن أحمد الحامد، وأخذ أبي يتردد على هذا المسجد في بعض الفروض ومنها صلاة المغرب والعشاء. وفي هذا المسجد المبارك كنت أجلس مع أبي في أحد جوانبه وحيناً في سطحه بعد صلاة المغرب؛ لنقرأ نصيباً من القرآن، ثم ينزل أبي؛ ليقرأ بعض الطلبة في مبادئ الفقه والتفسير ويقرؤون الراتب. وكان أبي في معطيات تفكيره البعيدة يسمح لي في هذا المسجد أن أتصدر حلقة الطلاب الصغار؛ لأدربهم مبادئ العبادات"[٢].

ويتحدث عن مسجد ثالث يسمى (بمسجد الجول) وعلاقته وأبوه بهذا المسجد، واعتبره المحطة الأخيرة لوالده، حيث يقول:" وأما مسجد الجول فهو المطاف الأخير ومحطة النزول الذي أختاره سيدي الوالد في آخر أمره يصلي فيه كل الصلوات الخمس ما عدا الجمعة"[٣].

ويتحدث عن النشاط العلمي والتربوي الذي قام به والده فيقول:" وألقى سيدي الوالد فيه عصا التسيار، وكانت المرحلة التي تعيشها البلاد تلائم ذلك الحال، فكنا نصلي فيه العصر، ونخرج منه إلى فناء المدرسة للروحة هناك ثم نرجع إليه لصلاة المغرب والعشاء، وفيه نصلي الفجر، وفيه وضع سيدي الوالد كثيراً من الترتيبات والقواعد التي تعود علينا بالنفع وعلى من معه[٤].

١- الحفر على جدران الذاكرة ، ص ٤٤.

٢- المصدر نفسه، ص٤٨.

٣- المصدر نفسه، ص٤٩.

٤- المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

المحضن الرابع: شيخ الفتح والعناية:

بعد الترويض التربوي والعلمي والفكري والسلوكي الذي روض به في البيت والمدرسة والمسجد من قبل والده وأساتذته في مراحله الأولى وخوض غمار التعليم الحكومي في المدرسة وتجربته التعليمية الأكاديمية حط رحاله لدى الإمام العلم المربي عصارة مدرسة حضرموت رجل القيم والأخلاق والمواقف والتربية الحبيب: عبد القادر بن أحمد السقاف- رحمه الله رحمة الأبرار- وقد سلمه والده إلى هذا الإمام الرباني، فهو شيخُ فتحه ورعايته وعنايته، حيث بلور فكره وعقله وروحه ووجدانه وتطوراته، ووسع له مشهده ورؤيته وإدراكاته العقلية والفكرية والوجدانية وقد كانت رغبته الالتحاق بالأزهر الشريف؛ لإكمال دراسته، ولكن والده عرض الأمر على الحبيب: عبد القادر السقاف، يقول الحبيب حول هذا الأمر:" عندما وصلت من بلاد اليمن عام (١٤٠١هـ) إلى أرض الحجاز والتقيت بسيدي الوالد: علي بن أبي بكر المشهور، الذي كان حينها يعمل إماماً وخطيباً لمسجد رمضان بالشرقية ألحت على موافقته لي بالسفر إلى مصر؛ لإتمام دراستي الشرعية في الأزهر الشريف، وكانت تلك رغبتي الجامحة منذ أن عرفت نفسي ، وأشار علي سيدي الوالد أن أتريث في القرار لما كان يعلمه من تغير أسلوب الدراسة في الأزهر وتحوله من جامع إلى جامعة وما طرأ على الدراسة من تحديث واختلاط وغير ذلك، فما كنت أعتقده وأنا أسمع والدي يتحدث عنه أنها مجرد صوارف ذاتية لبقائي في محيط وجوده، وحاولت أن أسعى لاستخلاص منحةً دراسيةً إلى الأزهر الشريف، وكدت أن أنجح، ولم يبق إلا موافقة والدي- رحمه الله - فقال لي سيدي الوالد : أرى أن نستشير في الأمر الحبيب، فرضيت بذلك، وذهبنا إليه في أحد الأيام صباحاً حيث يعقد الدرس اليومي، وكان الحاضرون لا يتجاوزون الثلاثة أو الأربعة، فبسط سيدي الوالد للحبيب ما أنا بصدده واستشف الحبيب من كلام سيدي الوالد عدم الفرح بالسفر فقال لي بعد أن حدق النظر طويلاً: إذ جاء وقت الأزهر سنرسلك، والآن هات كتاب الدعوة التامة للإمام الحداد واقرأ عندنا في الغد في المدرس وانتهت المقابلة، وخرجت لأبحث عن الكتاب المشار إليه وجئت في اليوم التالي لأقرأ، ولم استفق لما كنت بصدده إلا مع وفاة سيدي الوالد عام(١٤٠٢هـ) ، وقد تمكن في قلبي حب هذه الحضرة وما فيها، ولم أعد أفكر في غيرها حتى من مجالس جدة العديدة

والكثيرة، وكنت أنتظر اليوم التالي؛ رغبة في الحضور والمشاهدة والاستفادة ولا يطمئن خاطري ليوم لا درس فيه مع أني لا أجد تفسيراً لهذا الاندفاع إلا رغبتي في التعليم والاستزادة، ولم يَدُرْ بخلدي بادئ ذي بدئ أن هذا من سر تأثير الشيوخ على المريدين إلا بعد سنوات من المجالسة والمعايشة، وعندها عرفت سر التجاذب والنظر والمحبة والتعلق والتذوق والتشوق والارتباط ومراتب الأنس بالله، وبحب الله، وحب رسول الله ﷺ وحب آل البيت وحب الصحابة وحب التابعين وحب الصالحين في كل زمان ومكان"[١].

ويتحدث عن مكانة الحبيب عبد القادر في نفسه وتأثره وتأثيره عليه في أوراقه التي كتبها عنه الورقة الثالثة تحت عنوان " فوق مستوى الدراسة الأكاديمية " وعن تجربته التعليمية الأكاديمية وما رآه ووجده لدى الحبيب عبد القادر والتغيرات التي حصلت لديه، فيقول: "تعتبر الدراسة الأكاديمية في عصرنا الحاضر إحدى ضرورات المعرفة ومن أكبر مهماتها وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان؛ ذلك لأن الحياة في تطور دائبٍ ومستمر ولا يستطيع المرء أن يلاحق هذا التطور التاريخي إلا بالدراسة الأكاديمية المنتظمة، وكنت في بداية حياتي العلمية أشتاق إلى هذا النموذج المعرفي غاية الاشتياق، وخصوصاً أني منذ نعومة أظفاري وأنا تحت الرعاية الأبوية الخاصة والرعاية الأبوية الخاصة لم تكن مجرد تهيئة أسباب الطعام والشراب والإيواء، وإنما كانت صياغة تربوية مسؤولة، وربما كانت آنذاك بالنسبة لما عاش عليه سيدي الوالد منفتحة إلى حدٍ ما إذ ما قورنت بنشأته ونشأة أمثاله المرتبطين بتربية الآباء والمشايخ في حضرموت، ولكنني كنت أشعر أني مسجون تحت دائرة الأبوة، وأرى غيري من الأشباه والأمثال ينطلقون بين الحين والآخر نحو المدارس الحديثة؛ لإكمال دراستهم. ومع مرور الوقت والعمر والظروف تمكنت - بفضل الله تعالى وتوفيقه - من سبر غور المدرسة الأكاديمية، ونيل نصيب من معلوماتها ومخرجاتها؛ حتى منَّ الله علي بالخروج من السعيدة نحو أرض الحرمين الشريفين في ظروف حرجة للغاية، ودلفت إلى منزل شيخنا الحبيب عبد القادر - رحمه الله - بأمر الوالد وحسن نظرة؛ لأجد نفسي في واحة عجيبة من المعرفة والدراسة، عبرت عنها في عنوان مقالتي بأنها " فوق مستوى الدراسة الأكاديمية "

١- المشهور ، أبو بكر العدني بن علي ، ورقات في الحبيب عبد القادر السقاف، الورقة الثانية ، ص ٣ ، لم تطبع .

والذين يفهمون المعاني ويسبرون غور التجربة، يدركون الأبعاد التي أتناولها، وأما الذين قصرت أفهامهم عند المألوف والمعتاد، يضعون علامات الاستفهام والتعجب، وتشككهم قدراتهم الذهنية في عدالة قولي وصدق تناولي، وهم معذورون بلا شك " وكل إناء بالذي فيه ينضح " ولا بد أن أتركهم في حيرتهم لأتجه مع القارئ نحو الحقيقة الواضحة.[1] وتحدث عن الحبيب عبد القادر وعن بعض تفرداته التربوية، فيقول: فالحبيب عبد القادر يختلف كثيراً وكثيراً عمن عرفته من العلماء والمشايخ والمربين، ومن تفرداته التربوية كونه يعاملك بادئ ذي بدئ بما تحب لا بما يحبه هو فيك؛ حتى إذا ما اطمأنت النفس معجبة بما هي فيه قرعها بناقوس اللطف؛ لتدرك مرة بعد أخرى كنه ما يريد ويتمناه في مريده ومجالسه، وهذه ظاهرة لا توجد لدى من عرفتهم أو قرأت عليهم، وقد قرأت على الكثير وعرفت من العلماء الجم الغفير، ولم أجد فيهم من اخترق نياط القلب سوى هذا المربي القدير مع العلم أني لم أرتبط به إلا وقد جاوزت الثلاثين، وقد أكملت دراستي الجامعية، ونلت العديد من الشهادات والمنح والدورات في اللغة والأدب وعلم النفس وطرق التدريس وغيرها من الفنون التي تخصصت فيها، بل وكنت بها متفرداً بين أقراني وموهوباً لدى أشباهي وأمثالي، وربما كان ناتجاً عن أسلوب التربية الأولى وهي التي غرست في حب الاستفادة وقوى الإحساس بالواجب حتى تميزت - بحمد الله- في كل مراحل حياتي العلمية. منذ الأيام الأولى في الحلقة الأبوية وأنا جالس أمام سيدي عبد القادر ولم أغير مجلسي أمامه على مدى السنوات كلها، بل كنت أحرص ألَّا يسبقني أحد إلى موقعي المألوف، وإذا ما سبقني أحد لذلك لسبب أو آخر كنت أعتبر ذلك عقوبة لي على أمر ما أجراه الله أدباً ومحاسبةً؛ لسوء فعلي، وتحدث عن مراعاة الحبيب عبد القادر له وترقيته له؛ كي يجمع بين معارفه ومهاراته المكتسبة ورعايته الذاتية وتهذيب نوازعه الطبعية، فيقول:" ومنذ الأيام الأولى كما أشرت وأنا أجد التوجيه الواعي لاستخدام مهاراتي الذهنية والعلمية والعملية، وكانت مهارات متنوعة اكتسبتها على مدى حياتي الطويلة، ومنها حب الكتابة، وقرض الشعر، ودوام المنافسة، ومتابعة المراجع ، ولم أجد يوماً من أيام مجالستي له ما يثبط عزيمتي المعنوية في ما أنا بصدده، بل كان لفرط رعايته، وحسن معشره، وصدق نصحه

١- ورقات في الحبيب عبد القادر السقاف، الورقة الثالث، ص٤ .

يجعل هذه المهارات تمتع بين تحقيق رغبتي الذاتية، وتهذيب نوازعي الطبعية، وحب ما هو بصدده من المكارم والمعارف والمواهب الظاهرة فيما يناسب الظاهر، والباطنة فيما يناسب الباطن، وأنىَّ لمدرسة أو مدرس أن يجمع لمريد أو تلميذ مثل هذا؟! ولكنه والله يشهد أنه كان كذلك "[١].

ثانياً: التكوين الاجتماعي

من يعايش شيخنا الحبيب أبا بكر العدني بن علي المشهور - حفظه الله تعالى - يجد الشخصية الاجتماعية ذات العلاقات الواسعة على مستوى اليمن وغيرها، ولهذه العلاقة الواسعة منطلقاتها ، فشيخنا من أسرة لها مكانتها الاجتماعية وعلاقاتها الواسعة، اكتسبتْ هذه العلاقة من خلال حركتها الدعوية والتعليمية والإرشادية داخل الوطن وخارجه، ووالده الحبيب: علي بن أبي بكر سلك مسلك أبائه وأجداده في نشاطه الدعوي والتعليمي والإرشادي، وخرج من تريم، وسكن في أحور، وبدأت علاقاته مع الناس بغض النظر عن مكاناتهم، وغاص في فهم واقعهم الاجتماعي والفكري، وعاداتهم في مناسباتهم الإسلامية والاجتماعية، وصحح كثيراً من العادات المبنية على جهالة ، وأوجد أنشطة اجتماعية وفكرية وثقافية وقد تحدث شيخنا عن والده في هذا المجال إذ يقول:"وأما النشاط الاجتماعي، فالمجال الأوسع والأرحب في تنفيذه كان مبنى نادي الاتحاد والتعاون، وهو النادي الذي ساهم سيدي الوالد مع كبار شخصيات البلاد في إقامته وجمع أعضائه، ووضع دستوره ومادته، وكانت له ثمرة عظيمة في مجالات شتى منها:

١- إظهار الشعائر الدينية في الأعياد والمناسبات وعقد الاحتفالات لذلك.

٢- تشجيع الأدب والأدباء بإظهارهم وما يقدمونه من نتاجٍ أدبي في مناسباته.

٣- إصلاح ذات البين وتثقيف الأعضاء تثقيفًا دينيًا.

٤- المساهمة في محو أمية العدد الكبير من الراغبين في التعليم.

١- ورقات في الحبيب عبد القادر السقاف، ص٤ .

٥- تشييد مكتبةٍ ثقافيةٍ حاويةٍ يستعير منها أعضاء النادي وغيرهم.

٦- مساعدة الفقراء والمساكين ماديًا وبناء مسكن للغرباء "[1].

وشيخنا عاش مع والده يرقب سلوكه الاجتماعي والسلوكي والتعليمي والإرشادي والتربوي، وغيره من السلوكيات التي بنى بواسطتها العقل المسلم، وسد الفراغات التي تفسد الشباب، وقد رباه وكوَّنه على كثير من الأعمال التي تخدم الأمة، وتكون الناشئة، وتصلح المجتمع، وتفعله في جوانب عدة ، فعكست هذه التربية الاجتماعية وغيرها على سلوك ومنهجية شيخنا، وأظهر على يديه كثيراً من الأعمال الاجتماعية في داخل البلد وخارجها، وضبط العمل الاجتماعي بكل نماذجه وأنواعه بضوابط الشرع والقيم والأخلاق والعادات الحسنة، وغير في هذا المجال كثيراً وما زال رائداً وقائداً في المجال الفكري والدعوي والتعليمي والاجتماعي وأعماله شاهدة على ذلك.

ثالثاً: شيوخه

لقد تربى شيخنا الحبيب: أبو بكر العدني بن علي المشهور- حفظه الله تعالى- على يد شيوخ كثر من ذوي الكفاءة العلمية، والتربوية، والذوقية والسلوكية من أهله ومن شيوخ مدرسته البيتية، ومدرسته الواسعة "مدرسة حضرموت " وأحيط بعناية أبيه السيد العلامة: علي بن أبي بكر المشهور -رحمه الله - وعناية مدرسيه في مرحلة طفولته وشبابه، ولاحظوه ملاحظة عامة، ورعوه رعاية خاصة، فقد اعتنوا بعقله وقلبه وفكره وذهنه وسلوكه وصقلوا مواهبه ووجدانه، ولاحظوا مواهبه، وحدة ذكائه وبداهته العلمية والفكرية، وإذا هيأ الله للإنسان من يعتني به اعتناء تاماً، ومن يرعاه الرعاية الأبوية، فقد أنعم الله عليه نعمة عظيمة وجليلة، وشيخنا الحبيب: أبو بكر العدني بن علي المشهور - حفظه الله - ممن هيأ الله له المربي والراعي والمعتني، والملاحظ بعد الله ﷻ، بداية من أبيه، ونهاية بتسليمه من قبل أبيه إلى سيدي الإمام والمربي الحبيب: عبد القادر بن أحمد السقاف -رحمه الله- رجل الأبوة من

١- قبسات النور ، ص ٣٨٧ .

تحقق وتجسدت فيه خلق النبوة صاحب الرؤية الواسعة والمتسعة والمستوعبة لمرحلته وعصره، والذي جدد الله به مدرسة حضرموت، وأعاد به منهجها، وثوابتها، ولغتها في المرحلة المعاصرة.

ولقد برزت منهجية، ورؤية، وسعة، ولغة مدرسة الإسلام الواعية، والمنهجية التربوية الأبوية النبوية التي كان يحملها الحبيب: عبد القادر بن أحمد السقاف في شخصية شيخنا الحبيب: أبي بكر العدني بن علي المشهور –حفظه الله–.

وإذا قيل في حق الإمام مالك: لو لم يكن له إلا الإمام الشافعي لكفاه ، أقول: لو لم يكن للحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف إلا الحبيب أبو بكر العدني بن علي المشهور – حفظه الله لكفاه– ، هذه الشخصية التي غيرت العقل الجامد، وقربت الفكر المتباعد عن منهج الأبوة، والتصور الشارد عن ثوابت الإسلام، ومنهجية الأعلام من شيوخ مدرسة حضرموت ومدرسة الأبوة بعمومها، وحاورت المعاند بالحكمة، والموعظة الحسنة وأصلحت الفاسد، وبذلت حساً ومعنى لكل قاصد، وسلكت مسلك الهداة القادة الأماجد ، هذا هو الحبيب: أبو بكر المشهور ثمرة من ثمرات أبيه، وشيخنا الحبيب: عبد القادر بن أحمد السقاف، وغصناً من شجرة ﴿طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥] .

إنَّ الحبيب أبا بكر العدني بن علي المشهور– حفظه الله– صاغ عقله، وقلبه ووجدانه، وفكره، وأبرزه إلى الواقع والمرحلة بلغة تختلف على لغات كثير من العلماء في المرحلة المعاصرة الذين عاشوا حول صراع الأفكار، والمذاهب والرؤى، والسياسة، والطبقات .

لقد أبرزه إلى الواقع بلغة استيعابية عالمية، وفكر واعٍ، وسعة مشهد، ومنهج سلمي سليم ذي سلاسة للعقول، والنفوس، والقلوب، والأرواح، والأجساد قادة وأئمة في التربية، والسلوك، والرقي الفكري، والعقلي، والوجداني والروحي، ووصلوا الحاضر بالماضي، والأواخر بالأوائل، والقلب بالعقل، والوجدان بالروح، والظاهر بالباطن، والدنيا بالآخرة، والعاطفة بالوعي، والعقل بالنقل، والأصاغر بالأكابر، والغيب بالشهادة، والفرد بالأسرة والمجتمع، والعلم بالعمل، والعمل بالإخلاص، والكتاب والسنة بالأخلاق،

والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والفكر بالذكر، والثقافة المتوازنة بالوعي، والطبع بالشرع، والطلب بالأدب، وسنقف على بعض من هؤلاء الذين كان لهم الأثر والدور الأكبر في تربيته وتكوينه العام والخاص ، وتكوينه في الظاهر والباطن منهم:

١- والده العلامة السيد: علي بن أبي بكر المشهور- رحمه الله تعالى- فهو الذي وضع أسس التربية والتعليم والأدب والصياغة الأولى في جوانب عدة، ورعاه رعاية أبوية النسب، وأبوية العلم والمعرفة، وقد ذكره في أول شيوخه في منظومة السند المسماة بِـ"الثبت الوافي المعتمد".

٢- الحبيب العلامة: عبدالقادر بن أحمد السقاف .

٣- الحبيب: محمد أحمد الشاطري .

٤- الحبيب: الحسن بن عبدالله الشاطري .

٥- الحبيب: عبدالله بن محمد بن شهاب .

٦- الحبيب: أحمد بن طه مشهور الحداد .

٧- الحبيب: محمد عبدالله الهدار .

٨- الحبيب: سالم الشاطري .

وغيرهم كثر، وأكتفي بهذا القدر؛ لأن الكتاب موضوعه منهجية الحبيب وفكره، وخصائصه، ومشروعه الفكري والتربوي والمعرفي، والتحدث عن شيوخه كلهم يحتاج إلى مجلدات ، ومن أراد الوقوف على شيوخه فعليه بمنظومة الثبت الوافي المعتمد .



الفصل الثالث

الأسس المنهجية والمنطلقات الفكرية والمعرفية التي اعتمدها في كتابته وحياته الدعوية

أولاً: العالمية الإسلامية.

ثانياً: الرؤية الإنسانية.

ثالثاً: القواسم المشتركة والتعايش السلمي.

رابعاً: القراءة التجديدية والعميقة للقرآن الكريم والسنة النبوية.

خامساً: الربانية.

سادساً: الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي.

سابعاً: تحجم سياسة الإفراط والتفريط وإدانة مدارسه.

ثامناً: إحياء لغة التجديد والدعوة إلى الله وتجديد لغة المدرسة الأبوية النبوية.

تاسعاً: العمل على تمتين الوحدة الإسلامية بين المسلمين وإحياء لغة التفاهم والتعارف في العالم الإسلامي والإنساني.

عاشراً: الموضوعية وعدم الإلزام في الطرح.

أولاً: العالمية الإسلامية

لقد تجسدت العالمية الإسلامية في حياة شيخنا الحبيب: أبي بكر بن علي المشهور في حياته الدعوية، حيث كانت نظرته وتعامله وكتاباته متسمة بالعالمية مقتدياً ومهتدياً ومقتفياً بالمنهج القرآني العالمي الكتاب الأخير إلى الإنسانية، والذي يحمل الخطاب العالمي للإنسانية، حيث كانت وما زالت نداءاته للعالم بأسره على اختلاف العقول والأفكار والتصورات والرؤى والاتجاهات والتغيرات والشرائع و الميولات، فالقرآن الكريم كتاب رب العالمين في نداءاته وتوجيهاته، لم تحصره هذه الاختلافات والميولات في التوجيه العالمي، فقد نادى الإنسانية كلها بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ [النساء: ١] ،وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١] ، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ونادى الإنسان كل الإنسان بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]، ونادى أهل الكتاب بقوله:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ونادى أهل الكفر بقوله:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١] ، ونادى بني آدم على اختلاف ألوانهم وجهاتهم وديانتهم:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[الأعراف: ٢٧]، وغيرها من الآيات الدالة على العالمية القرآنية في خطابها البشري والإنساني.

وهو في منهجه العالمي أيضاً مقتدياً ومهتدياً ومقتفياً برسول الله ﷺ الرسول العالمي صاحب الرسالة الشاملة والكاملة والعالمية، فلم يكن عليه الصلاة والسلام فئوياً برسالته، ولا قومياً بمنهجه، ولا جهوياً ببلاغه وتبليغه ولا أسرياً بتعامله ودعوته ورحمته ورأفته، بل كان عالمياً في كل ما تلقاه عن مولاه وخالقه، وعالمياً في معاملته وهدايته ودلالاته وإرشاده وإصلاحه للإنسانية.

وقد تحقق شيخنا في دعوته بالعالمية؛ لارتباطه بوراث نبوة العالمين من أجداده آل البيت النبوي، وسلفه الذين حملوا رسالة ودعوة الإسلام في ذواتهم ومجتمعاتهم ونقلوها إلى العالم.

فقد تجسدت المنهجية العالمية في فكره ودعوته وتعامله وكتاباته؛ لأنه عصارة لمدرسة حضرموت خصوصاً، ومدرسة القرآن والنبوة ووراثها عموما، وإذا تحقق الداعية بعالمية الإسلام فكرياً ووجدانياً وسلوكياً، ذابت لديه الرؤى الضيقة، والمماحكات المذهبية، والأفكار الأحادية؛ لأن العالمية ترتقي بالمسلم إلى فضاء المعرفة وآفاقها المتسعة، وتتنافى مع الدونية المعرفية والفكرية والانحطاط في المفاهيم، والدوران حول الفكر القاصر والمشطور، والمذهبية الأحادية، والرؤى السياسية والحزبية الأنوية والانتماءات الفكرية والحركية بمفرداتها تمثل الشطرية الفكرية، وبمجموعها وارتباطها الحقيقي بالإسلام وبعدها عن التمحور والتبعية تقرب كثيراً من عالمية الإسلام، وتبتعد عن أنويتها وتمحورها وتقزمها وتجزئتها الفكرية والمعرفية وتناقضها العلمي.

وقد وجدت العصبة العالمية التناقض المذهبي في الأمة، فوظفته؛ لنقض وهدم العالمية الإسلامية، وضرب المسلمين بعضهم ببعض من أجل إضعاف المسلمين، وهيمنتها على الواقع العالمي بما فيه أرض الإسلام والمسلمين ، وقد تحدث عن هذه السياسة للعصبة العالمية بقوله: "ولهذا تقف العصبة العالمية المسيطرة منذ زمن بعيد على أَزَّمةِ الأمر-على مفترق الطرقات المؤدية إلى عالمية الإسلام ؛كي تجزئها إلى تناقضات وتناقضات ونزاعات يمكن بها – ودون الحاجة للتدخل المباشر ضرب المسلمين بعضهم ببعض؛ يستثمر هذا الموقف تفكك العالمية الإسلامية وإضعاف الإسلام ذاته، ومن ثم يتحقق بروز هيمنته العالمية الكافرة ووصايتها على تحريك الأمور في العالم كله"[١].

ونحن أمام عالمية الدجل وعولمته التي تريد أن تطمس عالمية الإسلام وشموليته، فإذا لم تحمل الجماعات وأتباع المذهبية الإسلامية والتصوف الإسلامي ومحبين آل البيت النبوي العالمية الإسلامية بحقيقتها الناصعة وتستوعب الواقع وتحتوي بعضها بعضاً، فإن عالمية الدجال والدجل ومن يحملون سياسة الدجال والدجل هم الذين سيقودون المرحلة بكافتها ونماذجها، وإن كانوا مسيطرين في هذه المرحلة على مفاصل الحركة من خلال إدارتهم للنظام العالمي الجديد.

١- التنصيص المثبوت ، ص٢١ وما بعدها .

إنَّ العالمية الإسلامية يوم أن تحقق بها أئمة العلم والمعرفة، انتشرت علومهم في مشارق الأرض ومغاربها، ويوم أن جسدها بعض حكام المسلمين، أعادوا حقيقة الإسلام إلى واقعهم العلمي والسياسي، وكما أننا نعيش أمام عولمة الدجل، فإننا كمسلمين وغير مسلمين نعيش عالمية الغثاء، وقد تحدث عن هذه الغثائية وقصورها وعدم وفائها بمتطلبات الحياة والإنسان في أكثر من مجالٍ، إذ يقول: "إن العالمية الغثائية اليوم هي المسيطرة على حركة المال والاقتصاد والتجارة، وما من نشاط ديني أو دنيوي إلا وهو جزء من خدمة الاستثمارات المتفاعلة في السوق العالمي الربوي، وممول له أو متمول منه بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، ولهذا فإنَّ الحقيقة المرة التي تكشف لنا كنه مفهوم الولاء والنصرة في قواعد الدعوة الإسلامية المعاصرة.

أن العالمية الغثائية قاصرة عن مستوى عالمية الإسلام الحق، وعاجزة عن تحقيق الشمول الإسلامي في البلد الواحد فضلاً عن أن تحمل راية الوحدة الإسلامية الشاملة"[١].

والمفاهيم الثقافية الجزئية المرتبطة بالفئوية والقومية والمذهبية والإقليمية والسياسية تتنافى مع العالمية الإسلامية ولا تعبر عنها يقول في هذا المضمار "ولهذا فإنَّ الإسلامية العالمية لن تجد مكاناً في هذه الثقافة الجزئية إلا بإعادة ترتيب، وإثارة إحساس، وإجراء عمليات تربوية ودعوية عديدة؛ حتى يتهيأ العقل والقلب من جديد بفهم مدلول عالمية الإسلام وعالمية الكتاب والسنة "[٢].

ويتحدث عن الإثارة السلبية التي صنعتها عقليات الخبراء الأجانب، ومنها ضيق الأفق التي تركته في عقول الأجيال، وأبعدتهم عن العالمية الإسلامية إذ يقول:" إنَّ ضيق الأفق الذي صنعته عقليات الخبراء والأجانب في جيل القوميات، قد حول الكتاب والسنة من عالميته الكبرى إلى سلاح قومي وسلاح فئوي، وسلاح سياسي، وسلاح حزبي، يستفرغ به الفرد في هذه الكتل حقده، وكيده، وتعصبه المقيت ضد المسلم والمؤمن، وقد صار من الوعي في هذه الكتل بمكان أن تفوج مطابع الإدارات التعليمية أطنان الكتب والمؤلفات،

١- التنصيص المثبوت ، ص٣٣ .

٢- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٤٩ .

ومناهج التعليم للبنين والبنات، حاملة وحامية فكر التشريك والتبديع، ومبررة سياسة التطبيع والتطويع، مستدلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ وهذا عين السقوط في تجارة المبادئ، وهذه الحالة برزت في عالمنا العربي والإسلامي بعيد سقوط قرار دولة الخلافة، ومع بدء تطبيع الواقع الإسلامي والعربي لسياسة الاستعمار، وهكذا ينزل القرآن من عالميته في إدارة شؤون الإنسانية إلى سياسة الفئة والحزب والجماعة، وقد يصل أحياناً لما دون ذلك"[١].

ونجده يعطينا المقارنة بين عالمية الإسلام، وعالمية الكفر؛ من أجل أن ندرك بأن الكفر بنماذجه، ومدارسه، وأتباعه يزاحم العالمية الإسلامية حيث يقول:" فالإسلام عالمي الرؤية شمولي المعالجة، والكفر عالمي الخدعة شمولي العدوان"[٢].

وهناك سياسة عالمية دجالية؛ لتعتيم الرؤية الإسلامية العالمية في مرحلتنا المعاصرة كشفها بقوله:" إن الذين يحرصون اليوم – كما آخرون من قبل– على تعتيم الرؤية العالمية في سنة المصطفى ﷺ حول قضية "الدجل والدجال" يحرجون أنفسهم حرجاً بيناً أمام الحق الدامغ والعالمية الإسلامية الصادقة، ولن يدفع عنا وعنهم الحرج في الدنيا والآخرة إلا إذا أعدنا ترتيب أنفسنا وأفكارنا وعلاقاتنا، الخاصة والعامة، الداخلية والخارجية على مقتضى القراءة الصحيحة لقضية "المسيح الدجال وعالميته"[٣].

ويرى أنَّ العالمية الإسلامية في خطر من قبل الدولة الراعية لعالمية الكفر وطغيانه، ولها برامجها وخططها في تدمير العالمية بعد أن افترقت جغرافية العالم الإسلامي، حيث يقول:" إن عالميتنا الإسلامية في خطر مدمر وفي سبيل استمرار الدمار المخيف، تبذل الدول الكافرة كل جهودها في الأوطان الممزقة؛ كي تظل كذلك، وكما تمزقت الأوطان الإسلامية، فقد لحقها تمزق العقائد ، والعبادات ، والاقتصاد ، والمواقف ، ومهما صرخ المصلحون، أو الحزبيون، أو العلماء المتحوصلون في هذه القواقع ، في أبواق الأنظمة ، أو في مساجدها ، أو جامعاتها، فلن يصلوا إلى أمر ذي بال ولن يخدموا في كافة أعمالهم وأنشطتهم سوى "مصالح

١– إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٤٩ .

٢– التنصيص المثبوت ، ص٧٠ .

٣– المصدر نفسه ، ص٧١ .

ذات مسمى إسلامي يخدم البرامج العالمية" ، والحق يقال إن كنا من أهله: إننا في أمس الحاجة لاختصار الوقت والجهد الضائع باسم الإسلام، وأن نلتفت إلى ما يجمعنا بوعي وثبات، ونعالج أمراضنا المتفشية بمنطق الصدق مع الله ورسوله، ومن أخلص لله فلن يعدم الوسيلة والطريق"[١].

وهو بهذا الطرح أعطى العالمية الإسلامية مفهوماً فكرياً وثقافياً، ووضعنا أمام سياسة الكفر في تحجيم العالمية الإسلامية، وهو بهذا الطرح أيضاً لم يتحدث عن العالمية كما تحدث كثير من الكتاب المعاصرين، حيث تحدثوا عنها من مفهوم الدلالة الشرعية البعيدة عن المدلولات الفكرية والسياسية.

ثانياً: الرؤية الإنسانية

من يقرأ كتبه يدرك أنه عالمي المنهج، إنساني الرؤية، وإن عالج بعض القضايا في المدرسة التي أنتجته وأفرزته وأبرزته فمن باب ترميم الداخل وتصحيح المسار ونقد الذات، وليست كتاباته عن مدرسته هي لغته الأولى والأخيرة أو البديلة عن لغة الإسلام العالمية والإنسانية.

وقد اكتسب شيخنا رؤيته الإنسانية من المنهج القرآني، فالقرآن الكريم كتاب أنزله الله؛ لمعالجة قضايا الإنسان وحياته والمنهج الرسالي، وكذلك الرسل أرسلهم الله منقذين لشعوبهم، وأرسل الله سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ منقذاً للإنسان كشعوب وأمم، ولم يأت مصلحاً ومنقذاً لفرد أو لأسرة، أو لجماعة، أو لشعب معين، أو للعرب دون العجم، بل أرسله الله لإنقاذ وإصلاح الإنسانية، واكتسب رؤيته الإنسانية من شيوخ مدرسته الذين شرقوا وغربوا في دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ إنقاذاً للإنسان بلا تميز أو انتقائية، فتعاملوا مع الإنسان بالحكمة والقيم الأخلاقية ومراعاة الحقوق وأدائها، وإن لم يلتزم بالإسلام كعقيدة ومنهج سلوك، ومن منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنهجية شيوخ مدرسته الذين جسدوا القرآن الكريم، والسنة في حياتهم السلوكية والدعوية

١- التنصيص المثبوت ، ص٧٢ وما بعدها .

والتربوية، اعتبر أن الإنسان سواء أكان مسلماً أم يهودياً أم نصرانياً أم بوذياً أم ملحداً، إنما هو ضحية من ضحايا إبليس، وبهذا المفهوم الراقي كان منطلقه الفكري والدعوي في مخاطبته الإنسان، وإعادة مفهوم الدعاة في تعاملهم وخطابهم للكافر .

ولا يحمل عداوة للإنسان مهما كان فكره وتدينه، ولكنه يحمل العداوة لمن أخبرنا الله بأنه عدوٌ لنا وهو الشيطان ومنهجه، ومن منهجيته الكفر وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه العداوة بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. ووقف بشدة في كتاباته ضد الدجال وسياسته الدجالية فهو يعتبر أن الخطورة على الإنسانية تكمن في الثلاثة الحلفاء الشيطان، والدجال، والكفر وعقيدته، وأنها مشروع الشيطان ذاته، وليست مشروع الإنسان الآدمي، وفي هذا المجال قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧].

ونجده يتحدث عن مشروع الغواية الإبليسية للإنسان، فيقول بنظرة واسعة: " يا أحبة إنَّ مشروع الغواية الإبليسية مشروع محكم التنفيذ، متعدد الأساليب، وقلَّ إنسانٌ أن يسلم من العمل فيه؛ ذاك لأنه لا يتوقف عند إدارة ولا وزارة، ولا ينقطع بانقطاع دوام عمل أو وظيفة، ولا يتوقف بتقاعد موظف أو الاستغناء عن خدماته، وإنما يخترق حياة الأسرة، والعائلة، والفرد، والجماعة، والحاكم، والعالم، ومن دونهما، وبصورة تتلاءم مع رغبات الإنسان ذاته، بل وتكاد أن تعمل على استجابة نزواته وغرائزه وتسهم في إطفاء حرارة شهوته واستفراغ مشحون عاطفته، ولكن في الحرام، ولأجل معرفة خطورة هذا المشروع الذي يعمل فيه الجُلُّ الأوسع من بني الإنسان، يجب التوقف عند آيات الله تعالى في كتابه، وخاصة عندما حذرنا عند بدء الخليقة من خطورة المشروع الأنوي الإبليسي، وأن الإنسان هو الهدف الأول في هذا المشروع بالاستحواذ عليه، ودس أنفه النارية الشيطانية طوعاً أو كرهاً، عالماً أو جاهلاً، حاكماً أو محكوماً، ولهذا ففي هذا المشروع العالمي ينطوي احتناك الجنس البشري كله مادام حياً في أتون المعركة المصيرية"(١).

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، الوثيقة، ص٥٠، الطبعة الثالثة، معين للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

ويتحدث أنَّ الكافر شخصية محتواة من الشيطان، ومغرر به منه، إذ يقول:" فالكافر آدمي مغرر به، ومخترق من كل الوجوه، ويحتاج إلى من ينقذه من المشروع الثلاثي، وما يترتب عليه في الحياتين؛ ولهذا نجد أنفسنا ملزمين من كل الوجوه أن نحذر الكافر من الكفر، ونحذر المسلمين عموماً، والمنافقين أو من كان في دائرتهم، فهؤلاء جميعاً يحققون للشيطان مقصودة في العالم الإنساني وبجدارة"[١].

إنَّ التحقق بالرؤية الإنسانية للإنسان، وأنه كيان مقدس يجب أن تحترم إنسانيته وتكرم وأن الله ما أرسل الرسل، وما أنزل الكتب، وما شرع الشرائع، وما أوجد هذا الكون إلا من أجل هذا الإنسان وتخليصه من أحقاده على أخيه الإنسان، وتخلصه من ضيق أفقه وتفكيره، وتخلصه من نظراته الدونية لأخيه الإنسان، وتجعله يتسع للإنسان كما اتسع هذا الكون له، وكما اتسعت الحياة لكل إنسان، وقد جاء القرآن متحدثاً عن أنبياء معتبراً لهم أنهم إخوةٌ لمن أرسلوا إليهم:﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ [الأحقاف: ٢١] . وقد قام الرسول الأعظم ﷺ لجنازة، فقيل له من قبل من لم تكتمل عقولهم وقلوبهم ونفوسهم، ولم تتسع فيهم روح الإنسانية:(إنها جنازة يهودي) فقالﷺ بمنطق ورسالة ومنهج الإنسانية: "أليست نفس"؟!.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه حينما كتب إلى مالك الأشتر النخعي، وكان عامله على مصر يوصيه بالناس: " لا تكن عليهم (أي على الناس) سبعاً ضارياً ؛لتأكلهم، فالناس صنفان: إما أخ لك في الدين "أي يدين بنفس ديانتك" ،أو نظير لك في الخلق (أي بشر مثلك)أيضا"[٢].

لقد تجسدت الإنسانية بهيكلها، ومعانيها، وصورها في فكر ورؤية ومنهج ونهج وسياسة سيدنا علي رضي الله عنه فكانت هذه الوصية لأحد عماله تمثل المنهج، والنهج، والسلوك لديه.

إنَّ الإسلام لم يأتِ لفئةٍ أو جماعةٍ أو جهةٍ معينةٍ، بل جاء للإنسانية كلها عربها وعجمها؛ لحمايتها ورعايتها، والعمل من أجل مصالحها الدنيوية والأخروية، وتوازنها السلوكي في حياتها العامة والخاصة، والإنسانية التي يحملها شيخنا في فكره ومنهجه لا تعني التخلي عن ثوابت الإسلام، بل المحافظة عليها وإعادة لغة العلاقة الواسعة مع الإنسانية من خلالها،

١- المشهور، أبو بكر العدني، إحياء منهجية النمط الأوسط، ص٣٧وما بعدها، الطبعة الثانية،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢- نهج البلاغة الرسائل، ص٥٣.

وقد أكد هذا بقوله:" لا يكون مفهوم النظرة الإنسانية للآخر أو الشراكة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية سبباً في التخلي عن ثوابتنا الأساسية التي ميزنا الله بها، وشرفنا بأن جعلنا أمناء عليها، وشهداء على الآخر في الدنيا بالالتزام الشرعي، وفي الآخرة بتأييد الأنبياء، وإثبات صدق رسالاتهم، وتكذيب أممهم وأتباعهم"(١).

بل نجده يعتبر الإنسان بعمومه خليفة الله في هذه الأرض، والشيطان يستهدفه من خلال مشروعه الإغوائي، حيث يقول: "والإنسان خليفة الله في الأرض، وهو مخلوق لها، وهي خلقت له، ومنها ينتقل بعد إحسان الخلافة إلى الجنة الأولى التي خرج منها آدم، وقد درج الشيطان على استغفال الإنسان ليفسد الخلافة"(٢).

ثالثاً: القواسم المشتركة والتعايش السلمي

لقد ركز في كتاباته على إحياء منهجية القواسم المشتركة والتعايش السلمي في حياة الدعاة، وحياة الجماعات والقوى السياسية والرؤى الفكرية، وفي حياة أتباع المذاهب الإسلامية والمشارب الذوقية، والقواسم المشتركة هي منهجية القرآن الكريم في خطابه لأتباع الأديان من أهل الكتب السماوية وغيرهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. « مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»(٣).

وقد غابت لغة القواسم المشتركة في حياة الدعاة، وحياة الجماعات، وأتباع المذاهب وحياة الجماعات، وأتباع المذاهب والمشارب، ولم نجد لها أثراً في المناهج التربوية في التعليم العام أو الخاص الأساسي أو المتوسط أو الجامعي حتى وجد جيل لا يعرف إلا لغة

١- المشهور، أبو بكر العدني، منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي شرح منظومة دليل الساعي إلى أفضل المساعي، ص١٤٢، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢- الوثيقة ، ص٦٦ .

٣- رواه البخاري في صحيحه برقم(٣٩١) ، الطبعة الأولى ، دار الشعب– القاهرة ، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م .

التعصب والإقصاء والإلغاء والأحادية الفكرية التي أثرت على سلوك أصحاب الانتماءات السياسية والدينية، فعملوا على تكوين الأحادية في العيش والحياة، وما عداهم يجب أن يغادر هذه الحياة إلى عالم البرزخ فليس له حق العيش والحياة؛ وهذا نتيجة التربية الأحادية والمناهج الأحادية والمربون الأحاديون فكانت ثمرة ذلك وجود الجيل الأحادي الذي لا يعرف إلا لغة البتر والقتل والإبادة لمن يختلف معه والتغيير والتبديل السلبي والنقض والقبض والتحريش والتنافس غير المحمود بل المدمر للحرث والنسل والحياة.

إن لغة القواسم لغة التقارب بين الفرقاء مع احتفاظ الكل بخصوصياته التربوية والثقافية؛ لأنها تبحث عن المشترك في العلاقات وبناء الحياة، وقد أولى القواسم المشتركة والتعايش السلمي اهتمامه في كتاباته و بحوثاته ومحاضراته؛ لأنها اللغة الجامعة إن اهتم بها أهل الاختصاص من مثقفين وسياسيين وتربويين ومفكريين وقادة علم ومعرفة وجعلوها لغتهم الأساسية في التربية والتعليم والحركة وتعتبر الأساس المتين للغة السلام الفكري والثقافي والمعرفي والسياسي إن فهمناها الفهم الحقيقي والواعي وجعلناها لغة التربويين والدعاة ومنهج سلوك وثقافة في حياتهم.

والقواسم المشتركة هي " مواطن الالتقاء في تفسير الديانة وثوابتها وهي كثيرة جداً وأما ما اخْتُلِف عليه فمسائل معينة أوردت كل صاحب رؤية بواسطة الدليل إلى التعصب على الفهم أو الاستنتاج. وهناك من المواقف ما اعتراه الهوى والتعصب ورغبة المستنبط في عدم الرضوخ للآخر ولو كان الحق على يديه، وقد أدت هذه الحالة إلى التناحر والعداء قديماً وحديثاً وربما كانت ظروف الماضي باعتبارات المسافة الزمنية بين العلماء والاستقلالية النسبية بين البلاد والأخرى قد خدمت مشروع الخلاف في الفهم والاستنباط من خلال الدليل ولكن ونحن الآن في عصر نحتاج فيه إلى معالجة جراح الماضي وإن كنا الأقل علماً وعملاً وإخلاصاً من أولئك، والمعالجة لا تتأتى بنبش الجراح ونبز الأواخر بما فهمه الأوائل وإنما نحن بصدد النظر الواعي في مفهوم القواسم المشتركة وما يترتب عليها من معالجات ونجاحات توحد الأهداف وترفع مستوى العالم قبل غيره إلى أعلى درجات مفهوم القدوة الحسنة لصاحب الملة – عليه أفضل الصلاة والسلام – وهو النبي الذي يوحى إليه ومع هذا فقد أحسن المعاملة مع حملة الكفر الصريح ثم أحسن المعاملة مع أهل النفاق الصريح وكأني

بالقواسم المشتركة التي تبرز على سلوك النبي – ﷺ – أهي الدافعة لأخلاق النبوة إذ تبرز في أصناف المعاملات مع الآخرين"[١].

وزاد مسألة القواسم المشتركة وضوحاً، حيث يقول: " والأصل في الالتقاء على القواسم المشتركة الاعتراف بالآخر ومشروعه ووجوده في الحياة أو الديانة أو الأهداف والغايات والمصالح ثم تضييق مساحة الاختلاف وما يترتب على هذا الاختلاف من انفعالاتٍ وتعصبٍ مقيتٍ وإضرارٍ بفشل نماذج العلاقة بين الناس ويعطل وظائف الأسرة والأمة والمجتمع ويحول الجهود من البناء إلى الهدم، ومن المحبة إلى العداوة، ومن الالتقاء إلى الافتراق، ومن الموافقة إلى المخالفة، ومن التعاون إلى التنافر... وهكذا"[٢]. وتعتبر القواسم المشتركة المنطلق الأساسي والقاعدة الثابتة للسلام العالمي حيث يقول:" فالقواسم المشتركة قاعدة العمل لعودة البناء العالمي لمفهوم السلام والرحمة والمحبة "[٣].

ويرى أن القواسم المشتركة مبدأ من المبادئ الإسلامية النبوية التي تعتبر من أسس العمل والالتقاء بين أبناء أمة الإسلام فيقول تحت عنوانْ" مبدأ القواسم المشتركة بين أمة الإسلام" : هناك الكثير من مسائل الائتلاف التي تتفق عليها أمة الإسلام بعمومها، وأما ما يختلف عليها فهي مسائل محددة وقليلة... وإذا افترضنا أن هذه المسائل القليلة يراها البعض أساسية وموجبة للاختلاف مع الرأي الأخر باعتبار الدليل فإن مادة " الأخلاق الإسلامية " التي كان عليها من لا ينطق عن الهوى هي أحق بالاقتداء وهي أولى بالإتباع مع المخالف؛ لأن الإسلام كله اقتداء بالمتبوع الأعظم صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى في قوله:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١] ، والاقتداء بالنبي ﷺ في هذه المسألة لا يعني قبول الرأي الآخر أو الانطواء فيه وإنما تجاوز مسببات التصادم واقتناص العلاقة العامة لخدمة مبدأ الاجتماع في الإسلام"[٤].

١- منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي ، ص١٤٠وما بعدها.

٢- المصدر نفسه ، ص١٤١.

٣- المصدر نفسه ، ص١٤٢.

٤- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص ٧٢ .

وتعتبر القواسم المشتركة اللغة المرنة والواعية مع كل الجماعات والتكتلات، ولأهمية القواسم المشتركة فقد تحدث عنها بلغةٍ متسعةٍ لإدراكه أنها لغة الخطاب الاستيعابي لكل مكونات المجتمعات المذهبية والسياسية والدينية، يقول: "والقواسم المشتركة مبدأ نهجه سيد هذه الأمة منذ أن بعثه الله تعالى لإصلاح هذا العالم، وكان يعامل به كافة أجناس البشر وليس المسلمين فقط واستطاع به أن يعامل كفار قريش ومشركي العرب وأهل الكتاب وكان لكل قوم من الأقوام معنى خاصٌ بالقواسم المشتركة التي ينطق من خلالها ﷺ ويلزم أصحابه قبول مواقفه والاقتداء به لينالوا نصيبا من الأخلاق الشرعية ويطوعوا أنفسهم على قبول الآخر ضمن أطر معينة وضوابط محددة لإبراز عالمية الإسلام وشمول نظرته للآخرين"(١).

ويعتبر القواسم المشتركة فوق فهم المجتهد للنص الشرعي إن لغة القواسم المشتركة لغة منهجية قيمية أخلاقية تعلو فوق المفاهيم البشرية والاستدلالات والإفرازات الاجتهادية يقول الحبيب في هذا المضمار: "يدعو الإسلام كافة رجال المذاهب المتناحرة الارتقاء من مستوى حضيض النفس والهوى إلى مستوى مفهوم القواسم المشتركة هذه القواسم المشتركة التي ترتقي بهم فوق فهم المجتهد للنص الشرعي المختلف عليه"(٢).

ونجده يربط بين القواسم المشتركة والسلام بمفهومه العام وأما المنطلق لإرساء السلام في حياة الأمة فإحياء القواسم المشتركة بين أمة الإسلام إماتة للانحرافات الكفرية والسلوكيات الجاهلية التي تزج بنا إلى إحياء القواسم المشتركة الكفرية قسراً فيما بيننا وبين الآخر حيث يقول:" والسلام من معانيه إحياء مبدأ القواسم المشتركة.. وفي إحيائها إماتة لبدع كفريه وجاهلية نشأت في مرحلة تسلط القرار الكافر على بعض مقدرات المسلمين الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والإعلامية وحشرهم جميعا في قواسم إجبارية ليخدموا بها هذه الهياكل الأجنبية حيثما عملوا وعلموا وتعلموا بينما تفرقت مواقفهم في دينهم وشرعتهم وكون العدو لهذه الحرب الخلافية بؤراً ومؤسسات ودولاً تأتمر

١- منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي، ص٧٣ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٧١ وما بعدها .

بأمره في شؤون وتنفذ سياسة مبادئه في شعوب الإسلام.."[١].

واجب العلماء والحكام في إعادة القواسم المشتركة بين أتباع المذاهب والجماعات، يتحدث تحت هذا المفهوم بصراحة وقوة داعياً بقدر الاستطاعة إحياء للأمانة لدى حملة القرار العلمي والسياسي بأن يعملوا على إعادة لحمة العلاقة الإيمانية بين مختلف المذاهب والجماعات على أساس ومبدأ القواسم المشتركة، حيث يقول: "فإن من واجب العلماء والعقلاء من الحكام ومنفذي قرار العلم والديانة أن يقدروا للأمانة قدرها فيعملوا ما استطاعوا على إعادة لحمة العلاقات الإيمانية بين المذاهب والجماعات على أساس من مفهوم " القواسم المشتركة ويجعلوا قدرتهم في إقامة هذا المبدأ (مواقف صاحب السنة ﷺ حيث لا يقتدى إلا به ولا يهتدي إلا بهديه "[٢].

ويعتبر أن القواسم مع التيارات المختلفة من أسس إصلاح المجتمع حيث يقول: "التعاون التام في سبيل إصلاح المجتمع مع العالمين من أفراد التيارات والجماعات الدينية ذات الاتجاهات السليمة من منطلق القواسم المشتركة في الإسلام ودون الانخراط في شيء من الخلايا أو الجماعات أو التنظيمات و المناصحة للجميع بالحكمة والموعظة الحسنة "[٣].

ويزيد الأمر وضوحا فيقول:" العمل المشترك الطوعي مع كل من يحب الإسلام ويدين به من أجل جمع كلمة المسلمين على ما تيسر من ضوابط الشريعة والدعوة العامة والخاصة"[٤].

١- منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي ، ص٧٥.

٢- المصدر نفسه ، ص٧٤.

٣-التنصيص المثبوت ،ص٣٧، .

٤- المصدر نفسه، ص ٣٧ وما بعدها .

رابعاً: القراءة التجديدية والعميقة للقرآن الكريم والسنة النبوية

أقصد بالتجديد التجديد في الوسائل لإبراز الثوابت أو تجديد معاني الدين في الأمة، وتجديد العهد الذي قطعه بنو آدم على أنفسهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] . وهذان المعنيان هما المرادان من قول رسول الله ﷺ :(إن الله يبعث لهذه الأمة على كل رأس مائة سنة من يجدد لها دينها)[١]. وليس التجديد الذي ينشده الغرب ووكلاؤه من تجديد الأحكام والمبادئ، فالأحكام الشرعية القطعية جديدة لا تبلى بالتقادم كما يفهمه بعض السطحيين، وهؤلاء حينما يتكلمون عن التجديد من هذا المنطلق ، أي "منطلق تجديد الأحكام والمبادئ" إنما يقصدون به التبديل الذي يحلم به دعاة الحداثة والمستغربين، وشيخنا حينما أصفه بالمجدد لأنه تحقق بالتجديد بالمعنى الشرعي والعلمي والفكري، فقد جدد الله به معاني الدين، والعهد الذي قطعته الأمة بينها وبين ربها من خلال سلوكه وكتاباته والتجديد في الوسائل لإبراز الثوابت الإسلامية حيث تعامل معها بوعي وعقلانية واستطاع أن يوظفها التوظيف السليم في خدمة الإسلام والمدرسة.

والثلة القليلة على مدى التاريخ الماضي والحاضر من يفهم المدلولات النبوية المرادة من قول رسول الله ﷺ والمعاني العميقة في فهم النص النبوي والاستخراج المشرق لمفاهيم السنة النبوية ودلالتها التجديدية في المجالات، لا أقول الشرعية فقط بل والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، والمعرفة الاستيعابية للزمان والمكان من خلال السنة النبوية، وهذا يدلنا على مدى المعرفة الشمولية والفهم العالمي الذي كان يتصف به سيدنا محمد ﷺ وشيخنا وحبيبنا من هذه الثلة القليلة والنادرة التي جاءت بها القدرة الربانية في هذا العصر الحديث، والتي تحمل معها العمق في فهم السنة وله انفرادات في فهمها، وقدرة علمية فائقة في دراسة

١- رواه أبو داوود برقم(٤٢٩٣)، دار الكتاب العربي - بيروت . والبيهقي في (معرفة السنن والآثار) برقم(١٠٠) ، الطبعة الأولى ، جامعة الدراسات الإسلامية - دار الوعي + دار قتيبة ،١٤١٢هـ - ١٩٩١م . والحاكم في مستدركه برقم (٨٥٩٣) ،الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

الأحداث والأزمات التي تحل بالأمة بواسطة السنة النبوية، واستخراج الحلول منها، أو تكييف الأحداث من خلال قراءته لعلامات الساعة التي أخبر بها النبي الكريم ﷺ .

لقد اعتمد في قراءته للقرآن الكريم على معالم فكرية وثقافية ومعرفية وعلمية ذات أبعاد حضارية عالمية استنبطها من تأملاته للآيات الأولى المنزلة على سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ حيث يقول:" وكادت الآيات الأولى من الكتاب المقدس "القرآن" تستوفي ثلاثي الأبعاد الحضارية العالمية التي جاءت بها الرسالة الخاتمة:

١ – القراءة باسم الرب: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

٢– عالمية القراءة بالوسائل ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٤].

٣– عالمية العلم ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥] .

وأفرزت هذه المعاني القرآنية حدود المنطلقات الزمانية للمعارف المادية والروحية اللاحقة محجمة كآفة المعارف التقليدية الميتة التي أبت التوحيد الخالص....وفاتحة باب الإطلاق الواعي لجديد التطورات والعلوم ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥].

فكانت مراحل المعرفة تتوالى في العالم الإنساني الأخير تحت هذا المبدأ الرباني الخطير ولا بديل عنه ولا تغير...."[١].

وتحدث عن الذين انحرفوا بالقراءة الحضارية باسم الرب إلى القراءة الأنوية الإبليسية المادية القاصرة والمشطورة لتأثير ثقافة الكفر الإبليسية على فكرهم وثقافتهم حيث يقول:" والكافرون من كل وجه هم أولئك الذين أحيوا مدرسة الأنوية الإبليسية فنزعوا عن القراءة الشرعية ثوابتها وسموها بغير اسمها، وجاؤوا بحضارة المادة المجردة لتحل بديلاً عن القراءة باسم الرب، وتفننوا عبر تأريخ التحولات لصرف عقول الأمم بما فيها أمة القرآن والسنة عن مراد الله في قراءة الحضارة إلى مراد الثلاثي المنحرف:" الشيطان، الكفر، الدجال".

والقرآن والسنة وهما المرقومان العالميان للقراءة الجديدة باسم الرب قد تناولا تأريخ الانحراف القديم والجديد ، وفصلاه تفصيلاً واضحاً ومتطوراً .. ووضعاه للأمة الإسلامية

١–إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص ١٠٥ .

في قمة الحياة الاجتماعية وقاعدتها أسس الطريق وثوابت العلم والعمل والحياة"[1].

إنه ينظر إلى القرآن الكريم والسنة نظرة واسعة وعميقة يدرك بها تناولهما للماضي، والحاضر، والمستقبل، وأنهما يضعان قواعد الانطلاق والتصور للحياة والمعرفة، وتحدث عن تأثير هذه القراءة الواعية بقوله: "وأثرت من هذه القراءة وتفردها التوحيدي عقيدة مدرسة الحضارة الإسلامية وتفاعلت مع مرقوم ومرسوم الحضارات الميتة وأحييت من خلالها وباستيعاب ثوابتها التجريبية (تسخير المادة)، (وطول الملاحظة)، (وانفعال الظواهر).

وتسخير الكون من قبل الله للإنسان بعمومه بغض النظر عن كونه مسلماً أو ملحداً فقد تحدث عن هذا المفهوم وهو" تسخير المادة والعطاء العلمي لهذا الإنسان بعمومه" بقوله:" سواء كان ذلك على أيدي المسلمين أنفسهم وخاصة في بداية مراحل التأسيس الحضاري، أو على أيدي العلماء من غير المسلمين حيث منح القرآن المعرفة العلمية (للإنسان) وليس المسلم وحده، ويقصد بالإنسان آدم في أول تعليمه الأسماء كلها، وتحديد هذا المعنى في رسول الله ﷺ الذي قيل له : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] .

ثم انتشار معنى الإنسان في الصنف البشري المتعمق في مدلولات القراءة بعمومها.. حتى أبلغ القرآن مسألة (التعمق الكافر) إلى درجة الإحراج عند التحدي بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

ولما يحمل من قراءة ثقافية وفكرية وتربوية للقرآن الكريم والسنة النبوية فهو يعتبر أن كمال وعي المسلم في القراءة التجديدية لكتاب الله وسنة وسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤكد أن القراءة التجديدية تكون بلسان النبوة حيث يقول:" إن كمال الوعي والإدراك هنا هو قراءة جديدة للقرآن والسنة بلسان النبوة وشرف تسلسل الأبوة المحفوظ بحفظ الله من غير إفراط ولا تفريط، ولا جنوح ولا إفك ولا استحضارات ولا استخدامات، ولا طلسمات ولا سحر، ولا تظليل ولا كبرياء .

١ - إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص١٠٦ .

ولا عجب إنها القراءة الواعية للمادة الشرعية المنزلة من عند الله لعلاج الأمة في عصرها الأخير الجديرة بقوله تعالى في كتابه: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧] . إن هذه القراءة للأصلين الشريفين بلسان النبوة ولسانها الأخلاق المحمدية العظمى المقررة عظمتها في سورة ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١ -٤] (١).

ونجده يتحدث عن القراءة السطحية التي فرطت بكل ما يحمله القرآن الكريم من أسس ومنطلقات في بناء الحياة وتنظيمها وإدارتها إذ يقول: "لكنا نحن المسلمين – قادة وعلماء – فرطنا في كل شيء جاء به القرآن الكريم وضعفت قوابلنا وقلوبنا أن نصمد بها أمام زوبعات الإعلام والأزلام والأفلام والأقلام ، وارتعدت فرائصنا بعيد الغزو الاستعماري والاستثماري أمام صور الدجال وبهرجة الدجاجلة، فاستغنينا عن القرآن في كآفة شؤون الحياة المادية، وحاصرناه وحصرناه في الشؤون التعبدية والعقائدية على صفة من صفات التزاحم والتحدي بيننا داخل خيمة الديانة والتدين"(٢).

إنه يقرر حالة ويقيم علاقة المسلمين بالقرآن فهم تأثروا بالإعلام وسياسته وقادته الذين يخدمون الدجال وأتباعه وأزلامه وانهزامهم النفسي والفكري أمام سياسة الاستعمار والاستثمار وصور الدجل وبهرجته حتى أوجدت الاستغناء عن القرآن وثقافته ومنهجيته وقراءته القراءة الواعية والعميقة فحاصرناه فكرياً وعلمياً وثقافياً، وحصرناه في الواقع حتى غدا لا يتجاوز المصائب والحفلات، وافتتاح القنوات والإذاعات، ومراكز التداوي الموجودة هنا وهناك من منطلق الارتزاق والخداع والكذب .

وتحدث عن هذا التأثر الإعلامي والانبهار بسياسة الدجل ومحاصرة وحصر القرآن الكريم على المدارس والأنظمة والأحزاب المعاصرة والمؤسسات حتى غابت عنهم عالمية القرآن وعاشوا مع ألفاظه المجردة وخدموه في هذا المجال ؛ حتى أوجدوا شخصيات

١- إحياء منهجية النمط الأوسط، ص١٧١ .

٢- المصدر نفسه ، ص١٩٦.

انفصامية تقرأ القرآن ولا تفقه منه شيئاً، وحولوا القرآن إلى أن يكون خادماً للفئات والجماعات والأحزاب يستدل به على جزئيات المسائل وأطروحات الجماعات والأحزاب والأنظمة فقزموه عن عالمية وإدارة الحياة.

يقول - حفظه الله-: "ولم تستطع المدارس الحزبية ولا الفئوية ولا مواقع القرار الحكومي ولا المؤسسات الشعبية والرسمية وشبه الرسمية أن تفقه عالمية القرآن ، وعالمية لغته التي يخاطب بها العالم الإنساني بقدر ما فهمت القرآن تلاوة وحفظاً واستدلالاً لفرعيات المسائل الشرعية ، فظل القرآن يدور في محور الإقليمية والقومية والحزبية والفئوية بدوران حملته الغارقين في دوامة التسييس العالمي"[١].

ونجده من منطلق الموضوعية التي يحملها في فكره ومنهجه وكتاباته يعذر هؤلاء مرة ويدينهم مرة أخرى وبموضوعية، حيث يقول- رعاه الله وأطال في عمره بخير وعافية ولطف-:" ولعلهم يُعْذَرُوْنَ من حيثيات معينة ومن أهمها كونهم لا يدركون من الأمر غير ما درسوه في محاضن الحياة التعليمية الممنهجة وما تلقوه من مشائخ التمرحل الفكري وشيوخ الهندسة العلمية في الواقع المؤدلج والمدبلج القهري والقسري.

أما من حيثيات أخرى فلا عذر لهم ولا حجة معهم والقرآن يهان تطبيقاً ووعياً ويتجاوز تربية ودعوة ومنهجية شرعية ويتآمر الأعداء داخل أقبية الواقع المتناقض لنقض عرى القرآن واستبداله (بالفرقان الحق المصنع) تحت سمع وبصر الأبالسة المتهالكين في الغي والمال والابتذال، المشغولين عن نصرة التنزيل وعن تربية الجيل بتحقيق مطالب رجال المال والأعمال في سوق الأسهم وبيوت القمار وغسيل الأموال "[٢].

وتحدث عن آثار هذه السياسة المعوجة والمنهج السلبي في التعامل مع القرآن الكريم واعتبر ذلك نكبة من النكبات الفكرية والثقافية والمعرفية التي منيت بها هذه الأمة والمسؤولون لا يقرؤونها ولا يثقفون الأمة بها حيث يقول:" أليست هذه نكبة في عالمنا المعاصر؟!. بلى، ولكنها لا تقرأ في مخرجات المرحلة ولا يدرك مداها خبراء الكوارث حتى

١- إحياء منهجية النمط الأوسط، ص١٩٦ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١٩٧ .

من المنسوبين للإسلام نفسه؛ لأن الإسلام قد صار غريباً بين أهله، ولم تزل طقوس من الديانة تمارس في الواقع المكدود، والقائمون اليوم على قرار الإسلام هم ممن لا يحسنون الحديث عن أنفسهم وتأريخ شعوبهم وعلمائهم وسلسلة أسانيدهم فضلاً عن حديثهم عن الإسلام ومخرجاته في الشعوب، وهم أيضاً لا يبحثون عمن يُعَرِّفُهُم ما غاب عنهم أو خفي في سراديب التحول و التمول، وإنما هم يأبون الإعادة والنظر في جذور التأريخ خشية الإفلاس وانكشاف الأوراق، فما كان في وجودهم على هرم التأثير إلا بمساعدة القارئين لتأريخ الأبوة على مراد الشيطان" (١).

ويَعْتَبِرُ أن الاهتمام بحفظ القرآن وإنشاء مدارسه ظاهرة من ظواهر المرحلة المعاصرة وليست منهج معالجة، حيث يقول: "فهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن تحفيظ القرآن والاهتمام بمدارسه أنها ظاهرة مرحلة وليست معالجة أمة آخر الزمان"(٢).

ونجده يدعو إلى فهم القرآن فهماً عميقاً وقراءته القراءة التجديدية والواعية من خلال الحوار الذي جرى بينه وبين بعض علماء المرحلة الذين اعتقدوا بأنه يشجع على فتح باب التأويل للقرآن الكريم على غير مما قرره العلماء السابقون، فلهذا رغبتهم تكمن في ألا يفتح هذا الباب بل يغلق سداً للذريعة، فكان رده عليهم بلطفٍ ووعي وعقلانية وإدراك للغة القرآن العالمية والتجديدية، حيث يقول:" وهذا يعني أن لغة القرآن هي اللغة التي كتبها السابقون على كتبهم ومؤلفاتهم ولا غير بينهما (حقيقة الأمر) أن لغة القرآن التي نحن بصددها غير لغة الاستنباط الشرعي التي توقفت عندها الأفهام ووجب علينا أمامها الالتزام؛ فالأحكام الشرعية والأصول الحكمية علم لا يجوز تسور جداره ولا خوض ثماره إلا لأهله وإن كان الزمان قد أبرز لنا من يخالف هذا الالتزام وأمره إلى الله.

وأما مسألة الفهم للمعاني باعتبار تجديد لغة الحوار ومخاطبة الوجه الآخر بما يحتمله المدلول اللغوي ولا يتجاوز التفسير الشرعي، فأمره لا يقف عند مستوى الحجز المعرفي لدى البعض ولو من بعض الوجوه، فقد ثبت أن سيدنا أبابكر الصديق سئل عن قوله تعالى:

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، نفس الصفحة .

٢- الوثيقة، ص١٢٠.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] فقال: البر هو اللسان والبحر هو القلب"[١].

ويجعلنا أمام نماذج من الأئمة الذين أعطونا نماذج في تجديد المفاهيم القرآنية ولم يعطلوا معانيه، بل وسعوا مشاهدهم ومشاهد القراء فيقول:" وفي تأريخ الأمة علماء كالإمام القشيري -رضي الله عنه- من خاض بحر المفاهيم القرآنية فاستخلص تفسيراً إشارياً لكتاب الله تعالى سماه (لطائف الإشارات) وهو بهذا لم يعطل معنى من معاني التنزيل أو أسباب نزول الآيات، بل أبرز سعة المدلول القرآني لدى أهل الذوق عند اجتماع شروط المعرفة..."[٢].

ونجده يرد على شبهة مفادها" أن فتح باب القراءة العميقة وإيجاد الجديد في معاني ودلالات الآيات سيعرض القرآن للعبث والمهانة واستدل صاحب هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١١٥]، وأن السلامة في اتباع ما قد فرغ منه الأوائل في شتى الأمور ... ولا جديد ..."[٣]. وقد أجاب عن هذه الشبهة وهذا التساؤل إجابة موضوعية مستدلاً بتأريخ الأئمة الأعلام من أئمة المذاهب وأتباعهم، حيث يقول -حفظه الله ورعاه-: "والمُعْتَقَدُ والله أعلم أن الآية تشير إلى (مخالفة النصوص وليس إلى فهم ما تشير إليه من المعاني) فالذين نسميهم المؤمنين من رجال العلم والمذاهب فقد اختلفت فهومهم، وإلا كان لزاماً على الإمام مالك ألا يخالف الإمام أبا حنيفة، والإمام الشافعي لا يخالف الإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل لا يخالف رأي الشافعي، بل لا ينبغي للإمام النووي والرافعي أن يخالفا إمام مذهبهما الشافعي في المذهب، وهذه استدلالات على اختلاف في الشريعة وليس في الفهم الذوقي للآيات "[٤].

ونجده يلاحق الشبهات التي تطرح من قبل الرافضين للغة الفهم التجديدي المنضبط فيورد شبهة ويرد عليها، حيث قال - حفظه الله ورعاه - ومد بعمره:" وإذا قيل أن هؤلاء علماء أجمعت الأمة على سلامة توجيههم وعلمهم، ونحن في عصر يختلف عن عصرهم

١-إحياء لغة الإسلام العالمية، ص ١٦٠ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١٦١ .

٣- المصدر نفسه ، ص ١٦١ بتصرف.

٤- المصدر نفسه ، ص١٦١ وما بعدها .

وزمانهم، فالإجابة العادلة أننا نؤكد في مسألة ما رفع منه من الاستدلالات في العلم الشرعي، أما في فهم كتاب الله فالباب لم ينغلق على المسلمين ما دام الفهم لا يخالف العقل ولا المفهوم اللغوي، وإنما ربما جاء بجديد معنى لم يصل إليه السابقون أو أوضح مسألة تجاوز ما أفصح عنها المتقدمون، فهذا كما نعتقد لا يخالف الديانة ولا يدخل تحت معنى سياق الآية المستدل بها على المنع والتوقيف، حيث أن الذي نحن بصدده لا يخرج القرآن عما أنزل من أجله ولا يشرع للأمة غير ما قد ثبت قوله وفعله ونقله..."[١].

هذه بعض المفاهيم التي طرحها حول إعادة قراءة القرآن والسنة النبوية بلغة تجديدية عميقة منضبطة. والحقيقة التي توصلت إليها من خلال هذه المفاهيم التي طرحها في كتبه تؤكد لي بأنه يعيش مع القرآن والسنة النبوية بعقله وفكره ووجدانه وحركته وقراءته للواقع والتغيرات، ولهذا أستطيع أن أقول لا يدرك الحقيقة القرآنية والحقيقة النبوية وأقوالها وأفعالها وقيمها الأخلاقية إلا الذين يدركون الواقع ومتغيراته، فالقرآن والسنة لا يفهمهما إلا المعايشون للواقع ومتغيراته؛ لأنهما عايشا ويعايشان المتغيرات والانتصارات والهزائم والقوة والضعف والتعامل مع هذه المتغيرات من قبل صاحب الرسالة ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وآل بيته المطهرين كان تعاملاً حقيقياً وأدركوا حقيقة القرآن والسنة النبوية فلا يدرك القرآن الجامدون في فكرهم وسلوكهم، والعائشون على هامش الحياة، والمغيبون فكرياً وثقافياً عن الواقع ومتغيراته وتحولاته، ولا يفهمه من لا يتأمله ولا يعيش مع فضائه الفكري وآفاقه المعرفية الواسعة.

قال عنه الحبيب العلامة حسين محمد عبدالله الهدار :

سَيِّدٌ عَالِمٌ مُنِيرٌ نُوَيْرٌ ... وَخَبِيرٌ فِيْ النُّوْرِ وَالتَّنْوِيْرِ
وَتَقِيٌّ وَعَابِدٌ وَحَكِيْمٌ ... وَإِمَامٌ فِيْ الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيْرِ [٢]

ومن أبرز تأملاته التجديدية وفهمه العميق للسنة النبوية:

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص١٦٢ .

٢ – الهدار ، حسين محمد عبدالله ، ديوان صدى الذكريات شعر وحكاية، ص٧٩ .

١-**اجتهاده بأن أركان الدين أربعة :** " الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والعلم بعلامات الساعة " ، ونحن في دراستنا لكتب أهل العلم والمعرفة وما تلقيناه من مشائخنا وتلقاه غيرنا كذلك أن أركان الدين إنما هي الثلاثة الأولى فقط، وهو بتأملاته العلمية وفكره الاجتهادي توصل من خلال النص النبوي أنها أربعة، وله بذلك الدليل الواضح الذي استدل به مَنْ جَعَلَ أركان الدين ثلاثة، لكنه عمل عقله وفكره وتأمله في فهم مدلول ولفظ حديث جبريل عليه السلام ومشى مع النص بتأملٍ عميقٍ ، فجبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام فأجابه، وسأله عن الإيمان فأجابه، ولم يتوقف هنا بل سأله عن الإحسان فأجابه، وسأله عن الساعة فقال له: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. فقال له أخبرني عن أماراتها " فأخبره ". وحينما غاب سأل أصحابه: أتدرون من السائل ؟! قالوا: الله ورسوله أعلم فقال لهم:" فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ [1] " .

فنص النبي ﷺ واضح فقد اعتبر" الإسلام، والإيمان، والإحسان، والعلم بعلامات الساعة كلها دين" فالنص حليفه في اجتهاده ولا غبار عليه، فقد ظهر له من خلال هذا الحوار أن أركان الدين أربعة، ولا يقال بأنه تجرأ على فهم أهل العلم السابقين وتعدى عليهم، ومن يقل بذلك فقد اعتمد الحجر العلمي وحجَّر واسعاً وجمد ما ينبغي أن يُحَرَكَ وهو "العقل ودوره في الاستنباط وتفعيل النص الشرعي".

٢-**تقسيمه للسنة وزيادته على تقسيم أهل العلم المتقدمين،** فمثلاً نجده يضيف نوعاً لم يتكلم عنه أهل العلم السابقين الذين عرّفوا السنة بأنها" ما أُضيف إلى رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقِيَّةٍ أو خُلُقِيَةٍ، فقد أضاف سنة المواقف وهي:" إبراز موقف قيمي أخلاقي يدل على وعي صاحب الموقف للواقع ومتغيراته"يقول حول هذا الموضوع:" وليس المقصود بالسنة ما أثر عنه ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو دلالةٍ فقط فهنا يحمل الحديث معنى أشمل من سنة النقل والفعل إلى سنة المواقف"، ويعلل هذا المفهوم فيقول:" حيث إنَّ الخلفاء الأربعة وهم أساس فهم مدلول الخلافة ليست لهم سنة مستقلة عن سنة رسول الله ﷺ ولكن لا شك أنَّ لهم مواقف أو طرائق اقتبسوها من السنة أو ملازمة

١- رواه مسلم في صحيحه برقم(١٠٢)، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت .

صاحبها، فصار الموقف يحمل معنى السنة أي(الطريقة أو الأسلوب) وبهذا يتسع معنى الخلافة ليشمل رجال العلم والولاية والتقى، أهل الأسانيد المرتبطة بالتسلسل والأخذ إلى النبي ﷺ"، وأعطى لسنة المواقف مثالاً فقال:" فعلى سبيل المثال نجد أنَّ الإمام الحسن بن علي – رضي الله عنهما – اتخذ في الفتنة موقفاً، حسم به مادة الصراع وقبل التنازل عن موقع الحكم، مع أن النص الشرعي والإجماع المعتبر يخول له خوض معركة الفصل بين الفريقين، وهو صاحب الحق وخليفته، فاتخذ موقفاً يُقتدى به قال فيه جده ﷺ :"﴿ إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ﴾"[١]. وفي الحديث دلالة واضحة للموقف الذاتي من الإمام الحسن رضي الله عنه"[٢].

٣-**فهمه العجيب لتفسير معنى الخلافة** في قوله ﷺ": «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»"[٣]. فهو يرى أنَّ الخلافة لا يقصد بها خلافة حكم فحسب، بل يقصد منها خلافة الرشد والهداية؛ لأن لفظ (الراشدين، والمهديين) من الرشد والهداية، وهي تشمل الحكم كذلك ويقول في هذا المضمار:" والخلفاء هنا يراد بهم في أحد المعاني للحديث حملة المنهج الأبوي في كافة المراحل حتى قيام الساعة، وليس المقصود بالخلفاء هنا خلفاء الحكم وحده، فالتسلسل الأبوي للعلم إنما يأتي من خلال الأخذ عن العلماء الوراث، والوراث للخلافة سمة العلماء الحاملين شرف السند المتصل، ومن علاماتهم الرشد والهداية (الراشدين المهديين) وهذه لا علاقة لها بخلافة الحكم وخاصة بعد بروز الملك العضوض داخل الحضيرة الإسلامية، والمؤكد لهذا المنحى قوله ﷺ: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء " فليس هناك سنة للنبي وسنة أخرى لخلفائه "[٤].

٤-**التفسير الواعي لمعنى بعض ألفاظ الأحاديث ،** تفسيراً يجعل العقل يلتفت إلى تأمل النص والنظر في معاني ألفاظ النبوة، فمثلاً نجده يفسر الحديث الصحيح :" بُعِثْتُ أَنَا

١- رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٠٣) .

٢- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص١٧ .

٣- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث العرباض بن سارية.

٤- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ، ص١٦ .

وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ [١] "يقول:" فقوله (أنا) اعتداد بالذات المسؤولة عن المدرسة الأبوية وقوله: (الساعة) إشعار بما يدور من علاماتها من نقض وقبض وتغير وتحول، فابتعاثه بالحق قائم من عصر بعثته إلى النفخ في الصور والمرافقة المقروءة في قوله: (كهاتين) رسم بياني يجب الوقوف عنده بتمعن لمعرفة المراد من الموافقة الزمانية والمكانية وتحت هذا العلم سر خطير لا يباح به لكن يشار إليه فقط "[٢] .

فهذه من جملة المفاهيم التجديدية العميقة لمدلول الألفاظ النبوية.

٥- ونجده يقف الوقفة التحليلية ذات الفهم المعرفي العميق بقوله ﷺ في حديث جبريل عن علامات الساعة: "أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ".

يقول في تفسير الأمارتين: "وقد جمعت هاتان العلامتان أساس العلامات الخطيرة بشقيها الروحي والمادي فـ(أن تلد الأمة ربتها) إشارة إلى النقض العلمي والأخلاقي والروحي وإضاعة ثوابت المدرسة الأبوية ذات السمو الأخلاقي والشرعي حين يتغير البناء الأسري داخل المنزل وتذوب مفاهيم البر للوالدين تحت الغزو الفكري المسيس وخصوصاً في شأن الأم والبنت اللتين عليهما تدور مسألة التربية الأبوية داخل المحضن الأول للأخلاق، و(أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان) إشارة إلى شمول الماديات وسقوطها في يد البداوة والجهال الذين يصابون بداء التنافس والتناحر في سبيل الامتلاك وخدمة العجل المادي المعبود "[٣].

٦-تفسيره الواسع لمفهوم الصوم الوارد في الحديث: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[٤]. إذ كثيرٌ من أهل العلم

١- رواه البخاري في صحيحه برقم(٦٥٠٤) ، ومسلم في صحيحه برقم(٧٥٩٣) .

٢- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص ٣٥ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

٤- رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٦٥) .

من يرى أن الصوم المراد به هنا الإمساك عن الأكل والشرب حتى يضعف الجسد فتكون الشهوة بذلك ضعيفة.

لكنه يرى أن المعنى للصوم في هذا الحديث أعم من هذا فيقول:" والصوم هنا يحمل معان جمة في الأدب الأبوي، فصوم عن الطعام والشراب كما هو في ظاهر الحديث ويدخل أيضاً من المعاني الصوم اللغوي: الصمت، وغض البصر، وكف السمع وغيرها من الوسائل التي تساعد على حفظ توازن الغرائز "[١].

٧- كثيراً ما نسمع في الأوساط العامة حينما يراد الرجوع إلى الاستدلال على مسألة ما إذ يقولون: الدليل هو الكتاب والسنة، ويقفون هنا.

لكننا نجد أن الحبيب أبا بكر المشهور قبل أن ينتقل إلى غير الكتاب والسنة من الأدلة كالإجماع والقياس يقول:" لا يمكن أن نغفل المعادل الثالث" الكتاب، والسنة، وشخصية الرسول الكريم صاحب السنة الشخصية الأخلاقية الكاملة المكملة " ، وهذا فهم له مدلوله النظري الواسع في معرفة شخصيته ﷺ ومنهجه السلوكي في التعامل مع الضد والمخالف والموافق.

٨- نجده يفسر قوله ﷺ : " أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ " [٢] . بأن (السلطان) هو: المرحلة. وهذا تفسير عجيب لوسعه، فهو من خلال تفسيره للسلطان بأنه المرحلة يكيف ويقيم ويفسر الواقع أو المرحلة بأنها جورٌ كلُها.

وهذه هي الشمولية في فهم النص ومعرفته وهذا الفهم يخرجنا من تناول الأشخاص والأنظمة والجماعات؛ لأن الجميع جزء من المرحلة الجائرة .

١- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ،ص ٣٢ .

٢- رواه النسائي (المجتبى من السنن) برقم(٤٢٠٩) ، الطبعة الثانية ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة . وأحمد في مسند برقم(١٨٨٥٠)، مؤسسة قرطبة - القاهرة ، تعليق شعيب الأرنؤوط .

خامساً: الربانية

لقد كانت منهجية الربانية - ولازالت- سلوكه اليومي ونهجه التربوي ومنطلقه الدعوي، وكيف لا تكون كذلك وهو الذي رضعها منذ نشأته، بل كانت العناية الربانية والأبوية ترعاه وهو جنين في بطن أمه حيث كان والده يدعو له ويسأل ربه العناية به وبإخوانه، ولأبيه وجده نياتٌ حسنة فيه وفي جميع الذرية، وخرج إلى هذه الحياة واستقبلته العناية الأبوية النبوية.

فتربى في أحضان والده العلامة والداعية المربي والسالك والمسلك علي بن أبي بكر المشهور والذي تربى على يد والده الإمام أبي بكر المشهور وهكذا كان التلقي للمنهج التربوي قولاً وسلوكاً وحالاً، وصدق فيه قول من قال:

أَبٌ يَتَلَقَّى عَنْ أَبِيْهِ وَهَكَذَا　　　فَيَا لَكَ مِنْ آبَا كِرَامٍ وَأَجْدَادِ

وأقول:

أَبٌ يَسْتَمِدُ مَنْ أَبِيْهِ وَجَدِّهِ　　　إِلَى المَنْبَعِ الصَافِيِّ وَالمَوْرِدِ الهَنِي

وقد عاش - حفظه الله - في أسرة اتخذت العلم منطلقاً، والدعوة منهجاً ومسؤولية، والتربية قضية . وقد تشبع بالتربية الأبوية في حياته الأسرية ، فأثرت على سلوكه وفكره ودعوته، وأوجدت السلوك المتوازن والفكر الناضج والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وعاش مراحل ومتغيرات مختلفة في حياته وكانت مراحل ومتغيرات صعبة وسلبية ولكنه تجاوزها بما يحمل من رصيدٍ تربويٍ ناضجٍ وثقافةٍ واعيةٍ وأصيلةٍ، فلم يتأثر بالأفكار السائدة في مرحلته مع أنها كانت أفكاراً إلحادية، وهو في مرحلة الشباب والتأثر؛ لأن دور الأب والأسرة والمدرسة والمنهجية الذوقية الحضرمية ملموس في حفظه ومراعاة مراحل نموه العمرية والفكرية وسلوكه، فلم يسقط في براثن الأفكار الانحلالية ، وقد ظهرت هذه الخطوات في كتاباته الناضجة عن المنهجية التربوية الربانية ومقالاته وشعاراته، وعلى سبيل المثال فلنتأمل مقولته في المجال التربوي :"الإنسان قبل البنيان ،والتربية قبل التعليم ، والمعلم قبل المنهج ".

إنَّ هذه المقولة تبين لنا المنطلقات والأسس لإنجاح العملية التربوية الصحيحة فالبداية الحقيقية للعملية التربوية تبدأ من الإنسان، فإذا صلح الإنسان فهو الذي سيوظف البنيان التوظيف الصحيح، والتربية تكون قبل التعليم؛ لأنها هي التي تضبط العملية السلوكية والتعليمية، وبغير التربية يتحول التعليم إلى سمسرة .

وتكوين المعلم تكويناً حقيقياً هو الذي سيحمل المنهج ويوصله إلى أذهان وعقول الأجيال ، ولن تخرج هذه المقولة من شخصيةٍ بعيدةٍ عن الممارسة التربوية ومعاصرتها وعصر أفكارها وواقعها ومتغيراتها، إنها مقولةُ مُجَرِّبٍ عانى سيرَ العملية التربوية، وأدرك العلل والخلل، وأعطى العلاج .

والعملية التربوية المعاصرة والمدعومة من الجهات الرسمية وغير الرسمية اهتمت بالبنيان والتعليم والمنهج، وتركت الإنسان والتربية والمعلم فانهارت العملية التربوية وأوجدت الانفصام في الفكر والسلوك والتصور والواقع.

والربانية تعتمد على أسس ثابتة وأولويات يرتقي بها الإنسان نحو مولاه تتمثل في:

١-العلم: فالربانية بغير علم ادعاء وجهالة ، وقد عاش -حفظه الله - منذ نعومة أظفاره متلقياً العلم عن والده وعن غيره من أهل العلم مصحوباً بالتربية والعناية الأبوية حتى تَكَوَّنَ لديه العلم المصحوب بالوعي والفكر والذوق والمسؤولية .

٢-التلقي عن العدول المُسْنَدِيْنَ المتصلين بعلمهم وحالهم إلى سيد المرسلين ﷺ، فهم الذين يُكَوِّنُوْنَ الشخصيات الربانية التربوية ويرعونها حق رعايتها؛ حتى تنضج وتؤتي ثمارها.

٣-الممارسة للعلم والقيم الأخلاقية في الواقع من خلال الأذكار ، والتعليم، والدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة.

فقد عاش ملازماً للذكر والتعليم والدعوة إلى الله ﷻ منذ نعومة أظفاره وتلقى التربية الربانية عن أهلها، ومارسها تحت نظر مربيه وعنايتهم ومراقبتهم، وقد أولى التربية الربانية عنايته في سلوكه وتسليكه، ومحاضراته ودروسه ولقاءاته، وقد قرنها بالفكر حتى إننا قبلناها وأعاد لنا الثقة بها بعد أن كنا نستحي أن نذكر التصوف على ألسنتنا لما واجه من هجمةٍ

إعلاميةٍ شرسةٍ وممونةٍ من قبل أنظمةٍ ومجموعاتٍ وجماعاتٍ وكادت أن تطمس معالمها في حياة الشعوب والأجيال، وأزال ما علق بها من إفراطات و تفريطات ونقدها نقداً علمياً بغير اتهامات أو عنفٍ، ونقده مقبول؛ لأنه أحد رجالها وأئمتها، وصاحب البيت أدرى بما فيه وما يحتاجه من إضافةٍ أو ترميمٍ، وكثيراً ما كان يركز في محاضراته ولقاءاته على رباعية البناء المعرفي والسلوكي، والذكر، والفكر، والثقافة الملتزمة، والتلقي.

ونجده يذكرنا ببعض أسس وضوابط العلاقات بين المعلم والمتعلم حيث يقول -حفظه الله-: "ومن علامات سلامة المعاملات التي يأخذ بها المتعلم أو المتلقي:

١-تنزيه الصدر من الغش للناس أو الحقد أو غيره من سيئ المعاملات المكونة للعداء أو البغض.

٢-عدم وقوع مادة العلم المقروءة تحت برنامج نفعيٍ مسيس يستخدم "الجهل أو المال أو القوة" في سبيل تطويع عقول الأمة لمفاهيمه.

٣-التزام المنهج المقروء بالأسانيد المتصلة بمشائخ العلم الإسلامي إلى رسول الله ﷺ دون حيفٍ ولا تحريف.

٤-كون المادة المقروءة أو المدروسة ألا تشتغل بالنظر في عيوب الآخرين وتحجيمها.

٥-كون مادة التعليم موافقة لمنهج سلف الأمة قبل مرحلة الغثاء والوهن.

٦- سلامة ثقافة المعلم من الانتماءات ذات العلاقة بالتعليم المسيس والمقبوض[١].

وهذه الضوابط وإن كانت صعبة في مرحلتنا المعاصرة كما ذكر إلا أن الواجب الشرعي الإفصاح والإيضاح عنها حيث يقول:"وبرغم أن هذه الدلالات والعلاقات صعبة التحقق في أزمنة الحيف والفتنة ولكنَّ ذلك لا يعني ترك الإيضاح أو الإفصاح عنها، بل ربما احتاج لنصاعتها من كان مفتوناً إذا زالت عنه آثار الفتنة أو رجع وتاب وأناب، وقد رأينا في تجربة

١- الوثيقة، ص٤١ وما بعدها .

الحياة كيف يعود الموفق، ويتوب المذنب، ويقلع المفتون عن فتنته ويصبح عنصراً هاماً وعاملاً في منهج الأبوة الشرعي، فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ،وكما يقال : من لم يؤدبه والده أدبه الزمان [١].

ويتحدث عن محاضن التربية الأساسية ويحددها بقوله:" لقد حددت أحاديث الرسالة قضية الانتماءات المستقبلية للأجيال من داخل المنزل وعلى يد المربي والمعلم والأب، مبينة تمرحل العقل والنفس والقلب وحاجة الراعي إلى ضرورة الملاحقة المستمرة للطفل في تناميه العمري ، والعقلي، والعاطفي، والاجتماعي"[٢].

ويبين أهمية قيام هؤلاء بمسؤولياتهم التربوية وآثارها في حفظ الأبناء من المدخلات الفكرية والانحدارات السلوكية، فيقول:" وبمقدار عناية هؤلاء بمسألة الوقاية والحفظ تتميز مدلولات الأخلاق النبوية فإن الناشئ والناشئة يبتعد عن خطورة الانحدار في مساقات الانتماءات ذات العلاقة بالأنفاس الأجنبية يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية والتي عبر عنها الحديث في طرحه، ووضوحه هذا فيما يتعلق بالآباء والأسرة "[٣].

ويتحدث عن بقية المحاضن التربوية وضعفها وإمكان الاستفادة منها فيقول:" ثم تعود المهمة الباقية على ما يجب أن يتم فيه التضافر الاجتماعي كالمدرسة والمسجد ومواقع الأنشطة وهذه المواطن رغم صعوبة السيطرة على توجيهها في المرحلة المعاصرة، ولكن يمكن توجيه الأبناء والناشئة إلى المساجد والمدارس والأنشطة التي يمكن فيها الاستئناس إلى الجهات المشرفة عليها أو مشاركة العلماء وأهل السلوك والخلق فيها بحيث تكون مأمونة النتائج [٤].

ويتحدث عن أهمية المنزل ومكانته في الإسلام والذي يعتبر مكاناً هاماً للتربية حيث يقول:" والمنزل في الإسلام أعظم المؤسسات المنتجة إذا كانت الزوجة والزوج على دراسة شرعية بهذا الموقع الحساس وعندهم من الوعي الديني ما يجعلهم على اهتمامٍ وحذرٍ كاملٍ

١- الوثيقة ، ص٤٢.

٢- المصدر نفسه ، ص٤٣ وما بعدها .

٣- المصدر نفسه ، ص٤٤ .

٤- المصدر نفسه ، ص ٤٤.

لحماية هذه المؤسسة التربوية التعليمية من كافة الدسائس والوساوس والمخادعات التي يبثها الشيطان وجنوده؛ لتقويض صرح هذا المكان الهام أو إفساد وظائفه وتفريغه من محتواه"[١].

وقد أعطى للمجالس الأسرية التعليمية أهمية في إحياء الربانية حيث يقول:" إن إحياء دور التعليم الأبوي الطوعي وتوسيعه والمقصود بالتعليم الأبوي الطوعي اعتناء العائلات والأسرة بإقامة مجالس العلم والتعليم ، إلى جانب مجالس السيرة النبوية، وغيرها من وسائل المدرسة المساعدة على الاجتماع"[٢].

ويُقَيِّمُ المجالس التقييم الواعي فيقول:" ولكننا نرى أن المجالس العامة المشار إليها والمتوفرة حالياً في كثير من البلاد لا تقف بالغرض التام الشامل، وإنما تسهم في حفظ الكثير من الأبناء والأحفاد [٣].

ويركز في التربية الربانية على المرأة وأن يكون لها دور فيها ونصيب منها في حياتها حيث يقول: "والشأن كل الشأن في هذه المسألة هو التركيز على الثقافة الأبوية والتعليم الأبوي من داخل المنزل، ورص المعلومات والأدب والأخلاق الشرعية الأبوية في قلب الفتاة رصاً محكماً بحيث تملأ كافة شواغرها المعرفية والعقلية والعاطفية والنفسية والروحية "بالديانة والتدين" ولن يجد الشيطان والأعوان بعد ذلك من مجالٍ ولا مكانٍ إلا ما أراد الله أن يجريه من فتنةٍ أو ابتلاءٍ أو اختبار"[٤].

ثوابت المدرسة الربانية الأبوية لديه:

ذكر ثوابت المدرسة الربانية والأبوية في حديثه عن المدرسة الأبوية، ومن يتأمل ما كتبه عنها يجد أنها تعتمد على منهجيةٍ ربانيةٍ في تربية الأجيال وإصلاح الحال والأقوال

١- الوثيقة ، ص٦٣.

٢- المصدر نفسه ، ص٧٥ وما بعدها .

٣- المصدر نفسه، ص٧٦ .

٤- المصدر نفسه، ص١٤٤.

والتصرفات، وقد وضع مبادئ وقواعد السير في طريق الربانية، نضعها بين يدي القارئ؛ لأهميتها في تحقيق جيل السلامة والربانية:

١- حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله بألا ينطلق في أمر الدعوة من خلال سوء الظن بالحق سبحانه وسوء الظن في الخليقة، بل يحبب الله إلى الناس ويحبب الناس إلى الله.

٢- أن يبدأ بنفسه فيصلحها، وصلاحها قائمٌ على أسس هامة مبدؤها التوبة النصوح من كل ذنبٍ ظاهرٍ وباطنٍ قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠]. فترك الإثم -ظاهراً وباطناً- قوة في الذات ومدده من الله في كل الحالات، وقوة في اللسان، وثبات في القلب، وتيسير السالك والداعي لأسباب القبول لدى الناس، والمقصود هنا بالترك للإثم تصفية القلب عن رعونات البشرية وإزاحة آثار الغش والغلاء والحقد والحسد وهي ما تسمى بـ(سلامة الصدر) وهو مطلبٌ عظيمٌ في التزكية الربانية والتربية الرحمانية، وفيها يقول المولى عن شرف النجاة يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]. وهذه مرتبة تربوية عالية لا تتأتى إلا بالانطواء في الشيوخ المربيين للقلوب والانطواء وقبول إماتة النفس والتزكية رغبةً في بروز سرها الباطني قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٩].

هذه التزكية أدب لازم لإماتة الشعور بالكبر والأنانية والعلو والجدارة أو الافتخار بالحسب والنسب والمال والشهادة والمستوى والأسرة والمقام الاجتماعي والسلطة والقبلية والجماعة والحزب والفئة...حيث يظل المرء عبداً لهذه الرغبات مادامت حية في نفسه وذاته وينفذ من خلالها الشيطان والهوى، فإذا ما وجد المربي يتدرج معه في إماتتها تبدأ الحياة الجديدة التي عبر عنها الحق بقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وبها تستقيم قناة المجتمع في مفكريه وعلمائه ووجهائه.

٣- أن يخلص في شؤونه لله تعالى متدرجاً في ذلك بالنية الصالحة والاعتراف لله تعالى بالخشوع والخضوع والتذلل وطلب المغفرة والصلاة والسجود والدعاء لنفسه بالعون والثبات والتسديد مرة بعد مرة فيقتبس في قلبه نور الإخلاص، وهو دفع القلب في سر العبد وتوجهه خلال عمله ودعوته وعلمه وتعلمه، وهذا المطلب لا يتأتى بمجرد التمني أو

السؤال عنه وسماع الإجابة، بل هو حصيلة المجاهدة للنفس قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذا هو الفارق الأكبر بين دعاة الحق ودعاة الباطل، فدعوة الباطل هذرٌ وكلامٌ واستعلاءٌ وغمٌ وهمٌ تجعل صاحبها كثير الشك والوهم، بعيد الفهم، ثقيل الحركة في طاعة الرب، قاسي القلب، سيء الظن، ومع هذه الأمراض يجد صاحب الباطل قدرة على إيراد الأدلة، واستنباط الأحكام، واستخراج المعاني، واستغراق الوقت في الحروف، ولكن هذا كله لا يورثه اطمئناناً ولا راحةً معنويةً بل يعيش مهموماً يوزع همه على الآخرين باسم الدين والتدين، وهذه أزمات وليست حلولاً. أما دعوة الحق فأمنٌ واطمئنانٌ ، وراحةٌ واتزانٌ ، ولمجرد النظر فصاحبها وحاملها يذكر بالله تعالى.

٤-أن يأخذ نصيباً من العلم الأبوي النافع المؤدي إلى الإحساس بالمسؤوليات والعلم الأبوي الذي هو علم القرآن، وأخذه من أهله بمعانيه العالمية وعلم السنة الشريفة وأخذها من أهلها بمعانيها الراقية، وأن يطلب من مشائخه الإذن في النصح والتعليم، والإجازة في الذكر والطلب العلمي فيجيزونه ويوجهوا قلبه وقالبه، ويدعون له بالغيب كما يزيد بعد ذلك من العلوم ما يحتاج إليه في أعمال التعبد وفي نشر العلم والدعوة ويتأتى ذلك بمطالعة الكتب النافعة وقراءتها على مسامع الشيوخ وتقييد ملاحظاتهم ، وقد يحتاج البعض إلى زيادة في طلب العلوم النظرية التطبيقية، فلا بأس بذلك لخدمة منهج دعوة الإسلام، فالإسلام يدعو المسلم إلى طلب العلم ولو بالصين كناية عن بعد المسافة أو كناية عن الحاجة إلى طلب العلوم وإن كانت معقدة المدلول واسعة المواضيع.

٥-أن يظل دأبه ذكر الله في السر والعلن والصلاة على نبيه ﷺ محافظاً على أمور دينه كالصلاة، والصوم، وصلاة الجماعة، وقيام الليل وحضور مناسبات المسلمين ومشاركتهم في جنائزهم وتشيع أمواتهم وإفشاء السلام بينهم والقيام بحقوقهم من غير إفراط ولا تفريط.

٦-أن ينشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين طوائف المسلمين على مختلف أجناسهم وطبقاتهم واختلاف مفاهيمهم ولا يخوض في مذاهب الناس أو يسفه آراء علمائهم

علناً، إلا إن كان الأمر قد وجب لإخماد فتنة أو إظهار حجة فلا بأس أن يكون ذلك بالحسنى﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥] .

٧-ألا ينتظر من السامعين شكراً ولا مديحاً ولا ثناء حسناً، بل يجعل همه رضاء ربه ونشر دعوة نبيه، بل ويجب عليه الصبر إذا سمع ما يغضبه أو يشوش عليه من عموم الناس، ولا يطلب منهم مالاً ولا مساعدة في شأن من الشؤون الدنيوية، فإن ذلك إنقاصاً لقيمة الدعوة إلى الله وخاصة مع بدء تفاعل الداعي في مهمته الربانية.

٨- أن يحافظ ما استطاع على معاني القدوة الحسنة في القول والفعل واللباس والحركة والكلام والسكون، فالناس أدعى للتأثر بالسلوك أكثر من تأثرهم بالكلام والمواعظ.

٩- أن يضع الدعوة حيث يجد بها عنصر القبول ويكون الطرح مناسبا للمناسبة ذاتها، وهذه وسائل عمل لله يمكن أن يبدأ بها الراغب في تغيير الواقع المحيط مع ما يحتاج إليه من وسائل أخرى لنشر الكتاب والشريط ومتابعة المحاضرات ومواقع الخبر في الأجهزة وفي الواقع [١] .

سادساً: الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي

الوسطية والاعتدال صفة ثابتة، وسمة بارزة، وخاصية عظيمة من خصائص الإسلام، وإذا كانت كذلك فالأصل أن يكون المسلم متصفاً بها في كل زمان ومكان، وليست خاضعة للأمزجة والأهواء والأحداث والمتغيرات والمراحل، فالتعامل مع هذا شيء، والانطلاق في التعامل مع هذه الأشياء من منطلق الوسطية والاعتدال شيءٌ ثابتٌ، ومفهوم الوسطية والاعتدال يحدده الإسلام وليست الأهواء والأغراض القاصرة والأمزجة السوداوية مرة، أو الرائقة مرة أخرى، فترفض في الأولى وتقبل في الثانية أو العكس، والإفراط والتفريط مناقضان للوسطية والاعتدال.

وأقول : إنَّ الإفراط مذمة والتفريط أشد مذمة منه، والوسطية والاعتدال التي اختارهما ربُ العزة والجلال لهذه الأمة، واللتان هما من خصائص الإسلام ينشدانها كل من في

١- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص٤٥ وما بعدها.

الساحة، حتى أعداء الإسلام ينشدونها ويدعون إليها ويتكلمون عنها في محافلهم الخاصة والعامة، والدولية والإقليمية، ومرجعية الوسطية والاعتدال الكتاب والسنة من ناحية النص، وسلوك النبي الأكرم ﷺ والتشخيص للإفراط والتفريط والوسطية والاعتدال من داخل الكتاب والسنة ومواقف صاحب السنة، بعيداً عن التشخيص المذهبي أو الفئوي أو الحزبي الضيق، وحينما نفهم الوسطية والاعتدال والإفراط والتفريط من خلال المرجعية التي أشرت إليها من قبل ستضيق الهوة بين أصحاب الرؤى المختلفة والمتناقضة في الواقع وتظهر الوسطية والاعتدال على حقيقتهما، ويظهر الإفراط والتفريط على حقيقتهما.

وقد تحدث عن الوسطية والاعتدال في أكثر من كتاب وتعتبر المنطلق الأساسي في حركته التثقيفية والدعوية والتربوية والسلوكية، وقد أعطاها مساحة في كتاباته وأدان سياسة الإفراط والتفريط والغلو والعنف كما أدان من سيس الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي واتخذها لبانة يلوكها في الوقت الذي يريد، ويلفظها في الوقت الذي يريد، كما كشف خطورة الإفراط والتفريط على العملية التربوية والتعليمية وآثارهما السلبية على الشعوب في مجالات عدة.

والوسطية الشرعية والاعتدال الواعي منهج القرآن في توجيهاته وسلوك الرسول الأعظم ﷺ في حياته وتعامله وعلاقاته بالموافق والمخالف، وقد أدرك –حفظه الله– هذه الحقيقة الإسلامية والتي غابت لدى كثير من الإسلاميين في علاقاتهم وتعاملهم ، وأصبحت لبانةً وشعارات مسيسة وتلاعبتْ بها الأنظمة والمنظمات، وصارت مفرغة المعاني والدلالات حتى فُرِّغَت سلوكياً وفكرياً وثقافياً ومنهجياً وسياسياً.

وقد استوقفنا في كتاباته أمام مفردات ومعاني ومفاهيم الوسطية، وقد عرَّفها ليس كما عرَّفها بعض الباحثين المهتمين بدلالة الألفاظ من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ولكنه وضعنا أمام منهجٍ ، حيث يقول: "أما إذا أردنا أن نُعَرِّف الوسطية الشرعية والاعتدال الشرعي من وجه نظر الإسلام نفسه، نجد أنفسنا أمام منهج عالمي وقانون سماوي يحمل مقومات العدل والسلام في أنصع صورها الإنسانية ومع كافة البشرية المتقاسمة مصالح

الماء والهواء في هذه الحياة[١].

والوسطية في فكره منهج من حيث المعنى العام، ومكسب عالمي ضد الفكر الشيطاني العالمي يقول – حفظه الله–: "فالاعتدال والوسطية في معناها العام مكسب عالمي للأمم ضد سياسة الشيطان ومدرسته، وأما من حيث معناها الإسلامي الخاص فهي معالجة شرعية ناجحة لبناء الإنسان وفق مراد الله في العالم، وهي المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]. ومن هذا المنطلق نجد أنفسنا أمام استراتيجية واضحة المعالم تقشع سحب الضبابية الفكرية وتبدد ركام الظلام الإعلامي المنتشر"[٢].

ويرى الوسطية والاعتدال مشروع الوقاية ضد الأوبئة الفكرية والثقافة المسمومة، حيث يقول: "إنّ فهمنا لمشروع الوسطية والاعتدال (الواعي) يشبه المتدرع باللباس الواقي ضد المواد الكيماوية المنتشرة في المحيط الموبوء، ومحيطنا الموبوء يقولب المفاهيم وفق الحالة إذا لم يكن الحامل يمتلك اللباس المعرفي الواقي"[٣].

والوسطية في فكره الراقي والعلمي والمعرفي يحتاج إليها العالم الإنساني والإسلامي على حدٍ سواء، حيث يقول:" فالعالم كله يحتاج إلى الوسطية والاعتدال كمبدأ فطري، كما تحتاج الأمة الإسلامية إلى الوسطية والاعتدال كمنهجٍ شرعي يوجه الفطرة ويسددها نحو مراد الله، وهذه الحاجة تقتضي الخروج الشجاع عن مفهوم الأمة المتداول حول الوسطية والاعتدال إلى مفهوم أكثر شمولاً وعالميةً وأنفع تشخيصاً ومعالجةً"[٤].

وقد احتوت المنظمات العالمية الوسطية حسب مفهومها وأرادت أن تكيفها حسب سياستها، وقد أدرك شيخنا هذه السياسة العالمية، ونَبَّهَ إلى ذلك بتحليلٍ واعي بقوله: "وقد بلغ بالعالم إلى طرح مشروع الوسطية والاعتدال للتخلص من مجموع العمليات المسؤولة عن طرفي الإفراط والتفريط بعد استثمارها غاية الاستثمار ..

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص ٢٣.

٢- المصدر نفسه ، ص٢٧.

٣- المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

٤- المصدر نفسه ، ص ٢٨.

وها نحن اليوم أمام هذا المشروع الجديد، وهو مشروع يحمل نقيضين:

١-الوسطية والاعتدال المسيس.

٢-الوسطية والاعتدال المشروع.

فالمبدأ ذاته يلزم ساسة المرحلة أن يعيدوا من جديد وجهة النظر في الشرائح والمدارس التي حاربوها وهمشوها في مسيرتي الإفراط والتفريط ؛ لأنها من منهجيتها التاريخية تمثل معنىً من معاني الوسطية والاعتدال وكيف يمكن استثمارها بديلاً عن المدارس الحاملة مبدأ الاندفاع والانتفاع المسيس، فالمستثمر لا يعنيه فشل مدرسة أو نجاح أخرى، وإنما يهمه الدفع بالمدرسة الفاشلة عند الحاجة إليها لتصعد مراقي النجاح المستفاد منه، كما يهمه لفظ المدرسة الناجحة بعد إتمامها وإعادة النظر في سلامة منطلقاتها، وتصبح الوسطية والاعتدال في هذه العملية السياسية لعبة محكمة الأطراف تعود في كل أحوالها لمصلحة العصبة الإبليسية في العالم ومالكة القرار، ومستثمرة الحرب والاستقرار "[(١)].

ونجد أن المرحلة بقادتها ومفكريها وسياسيِّها وأنظمتها ومنظماتها الإعلامية وغيرها تتحدث عن الوسطية والاعتدال كما يريد النظام العالمي الجديد(نظام العولمة)، وتصبح لغة السياسيين وتتخذ ورقة من أوراق المرحلة يقول حول هذا الموضوع: "وفي خضم هذه العلل تبرز مفاهيم الوسطية والاعتدال على لسان القادة والعلماء والمفكرين كما برزت فيها مفاهيم الصحوة والثورة، وتصبح العبارة إحدى لبنات المراحل التي تلوكها الألسنة وتحضَّر لها المصانع تحضيراً يتناسب مع حركة العرض والطلب حتى ينتهي وقتها وتسقط ورقتها وهكذا دواليك"[(٢)].

ويزيد الأمر تحليلاً عميقاً ونظرةً ثاقبةً وإدراكاً واسعاً فيقول: "إن الوسطية والاعتدال التي يُتحدث عنها في مرحلتنا المعاصرة آلية سياسية يراد بها إعادة ترتيب الصراع الاجتماعي داخل الأمة العربية والإسلامية بأسلوب يضمن ضرب المسلمين ببعضهم البعض مع عدم المساس بمصالح المؤسسات المانحة(قرار العولمة) في شتى بقاع الأرض.. وبهذا المفهوم

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٥٨ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٢.

تصبح الوسطية والاعتدال المتحدث عنها إعلامياً من وجهة نظر الإسلام إحدى معادل الهدم في جدار الأمة عبر تاريخها المنهوك"[١].

وتُعْتَبَرُ الوسطية والاعتدال من منظور التسييس إحدى معالم العولمة في ظل تطورات المرحلة وتغيراتها، ومعلماً من معالم ظواهرها وتسييس الوسطية يعني الاستفادة من توازن القوى التي عاشت خلال مرحلة "العلمنة" على مبدأ الصراع السياسي والحزبي والديني؛ لتسهم في تنمية مرحلة "العولمة" وفق المصالح المشتركة دون تغليب إحداهما على الآخر في معركة المبادئ والتوجهات الفكرية بحيث يظل فتيل الصراع خامدا حتى وقت الحاجة"[٢].

وتعتبر الوسطية من المعالم أو المظاهر التي يتم تفعيل الفتن العالمية من خلالها، ويتحدث عن مراحل السقوط لمنهج الوسطية الشرعية كسلوك سياسي، ومنهج فكري وثقافي فيقول: "إن مرحلة الوسطية والاعتدال مرت بتعثرات خطيرة في تأريخنا الإسلامي والإعلامي منها في ما بعد مرحلة الخلافة الراشدة، اتخذت شكلاً من أشكال التفريط والإفراط الذي بُعِثَ عن الانفعال الطبعي لا الشرعي في شأن القرار، ثم في مراحل أخرى اتخذت شكل الإفراط في شأن العلاقات والولاءات في قضايا آل البيت والتصوف لدى البعض مع تفريط لدى آخرين في ذات العلاقات والولاءات حكماً وعلماً وبقيت في حد الاعتدال لدى فئات أخرى.

وكان التفريط والإفراط الأول قائماً على تغلب الطبع على ثوابت الشرع فكان ما كان، أما في مرحلة الغثاء فالإفراط والتفريط انتقل إلى ما يسمى بالتسييس ، حيث صار " عدو الأمة مهندساً لأبعاد المعرفة والثقافة وبناء الشعوب" "[٣].

وصارت الوسطية لغة المرحلة بأعلامها وقاداتها وسياساتها، وورقة سياسية من جملة الأوراق المطروحة في العالم من قبل المؤثرين على المرحلة وهذا ما أكده بقوله:" الوسطية لغة المرحلة، والمتحدثون عنها يرغبون في التخلص بها من عساكرهم المدربة على البتر والإقصاء والاجتثاث في المرحلة السابقة؛ لأن لغة المرحلة السابقة قد أدت دورها بنجاح، ولم تعد

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٢٢وما بعدها.

٢- المصدر نفسه ، ص١٣٦.

٣- المصدر نفسه ، ص٢٣ وما بعدها .

صالحة للحالة القائمة، والوسطية الشرعية لا تروق لركب العمل الإبليسي على الإطلاق، ولهذا لابد من قبول الوسطية السياسية المرحلية؛ لتؤدي دورها بين المدربين على استغلال ما يتناسب فيها فقط، وقد يتخلى عنها مؤقتاً؛ لتستبدل في محك الاختبار العملي في المواجهات بين القوى بالحركية المتولدة عن السنة المصنعة، وهي قادرة على مواجهة امتداد الشيعة المقنعة في الحرب الاجتماعية المسيسة"[١].

وقد تجاذب الوسطية وادعاها لنفسه كثيرٌ من الجماعات والحركات والمذهبيين وغيرهم، واعتبروا أنفسهم قادتها وروادها وقد تساءل عن هؤلاء بقوله:" من هم المعنيون بالوسطية الشرعية والمطبقون حقيقة لها في محيطنا العربي والإسلامي والمحلي؟ وهكذا يطرح السؤال نفسه، وربما يتبرع لوضع الإجابة كثيرونَ، قادة المرحلة لديهم تفسيرٌ لمفهوم الوسطية وقادة الأحزاب والجماعات كذلك، والفئويون من كافة التكتلات لديهم فهمٌ للوسطية، والإعلاميون يتحدثون عنها بلسان رموزهم، وللجميع في دينهم الإسلامي قدوة وأسوة، ومنه يستخلصون الأدلة والبراهين والحجج التي تستقر بها المرحلة وما فيها، وهناك آخرون من حملة المنهج الأبوي التقليدي يتحدثون ويفسرون الوسطية من حيث وقفت بهم عجلة التأريخ فالفقهاء المذهبيون يصيغونها بصيغة التعصب المذهبي والسادة الصوفية يستلهمونها في تجليهم وصفائهم المعنوي، والحركيون السلفيون يستشعرونها من منطلقهم الاندفاعي الوهمي، والشيعة المتربصون يصيغونها بشعارات مستقبلهم الرقمي، وعوام الأمة من جميع الطوائف يلوكونها بألسنتهم وهم في غاية الحيرة والانزعاج مما يرون ويسمعون ويقرؤون"[٢].

وهكذا نجد الجميع يتغنى بالوسطية ويدعي أنه هو من يمثلها وهي ذاته ومنهجه وسلوكه، والواقع يشهد عكس ذلك، وادعاء الجميع لها بلا أثر في الواقع دليل على الانفصام بين القول والسلوك من قبل هؤلاء ومحورتها وتشضيها مع أنها خاصية أساسية من خصائص الرسالة الإسلامية وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، والوسطية الشرعية

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، المواجهة السافرة لإدانة طرفي الإفراط والتفريط وتسيسهما بين المصلين في المرحلة المعاصرة، ص٧٥ ، الطبعة الأولى، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٢-المواجهة السافرة لإدانة طرفي الإفراط والتفريط وتسيسهما بين المصلين في المرحلة المعاصرة ، ص٦٨ وما بعدها.

تحتاج إلى أوعية نقية تحملها وتؤمن بها وتربي نفسها وأجيالها عليها وتصلح ما أفسدته المراحل المسيسة، فالوسيلة النافعة والمجدية لحمل الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي هي التربية، وفي هذا المضمار يقول: " إن أول الشروط اللازمة لإنجاح مبدأ " الوسطية والاعتدال المشروع العمل الدؤوب على تنقية الأوعية النفسية والقلبية والذهنية من مخلفات المراحل المسيسة ذات العلاقة بالفكر الجاهلي العالمي أو ما يمكن أن يطلق عليه مرحلة الجاهلية الثانية"[١].

سابعاً: تحجيم سياسة الإفراط والتفريط وإدانة مدارسه

كما هو منهجه الثابت في العمل على إيجاد الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي من خلال كتاباته ومحاضراته وتوجيهاته وسلوكه في أجيال المرحلة لاسيما المنتسبون إلى المدارس الذوقية، فمنهجه إدانة الإفراط والتفريط عبر التأريخ سواء كان الإفراط والتفريط في المجال الفكري أو العملي أو السياسي .

والإفراط والتفريط منهج الشيطان وأعوانه ومشروعه في الأمة أفراداً وأسراً وجماعات بغض النظر عن التدين، وهذا ما عناه شيخنا في قوله : " ومن حيث استطاع الشيطان وأعوانه تزيين الإفراط أو التفريط في سلوك الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الأمة أو المرحلة، فقد كسب المرحلة لصالحه، ولو داخل "الديانة والتدين" ، ومن حيث ما استطاع الإنسان انتهاج منهج الاعتدال والتوسط في سلوكه أو سلوك غيره، وعمل الفرد والأسرة والجماعة والأمة على بسط ميراث الاعتدال والوسطية فقد خسر الشيطان المعركة ولو داخل محيط الكفر والكافر"[٢].

وقد اعتبر الإفراط والتفريط أرضيةً خصبةً ومفتوحةً لاستثمار العدو المشترك عندما تحدث عن الإفراط والتفريط في محبة آل البيت الأبوي إذ يقول:" إن المحب والمبغض المفرط

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٢٥ .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٧ .

ذراعا تسييس هالكتان يخترقهما العدو المستثمر لإطالة رحلة الغربة بين المسلمين وإسلامهم ولإضعافهم جميعاً وإشغالهم عن لب الديانة وأهداف التدين، وقد نجح هذا المشروع أي إنجاح وبرزت فاعليته في العالمين العربي والإسلامي منذ زمن بعيد واستفاد منه الشيطان أي استفادة " [١] . والغريب أن جهة الإفراط والتفريط تدعي الالتزام بالكتاب والسنة ، ومتى كان الكتاب والسنة مصدرا الإفراط والتفريط؟! .

والعدو لا يهمه من استثماره المعتدل والمفرط؛ لأن الجميع لديه عدو يقول في هذا المضمار: " ولهذا فإنَّ الساسة العالميين والوكلاء المنتفعين قد تضافروا قديماً وحديثاً على تجفيف منابع الإسلام الأبوي سواء من أتباع النمط الأوسط عموماً أو من بقية السيف خصوصاً، بل وحتى من طرفي الإفراط والتفريط، فالكل أمام المستثمر عدو واحد، فالمستثمر من مهماته أن يسخر الاختلاف وأسباب الخلاف لمصلحته في المختلفين لينهدم البناء بأيدي أهله على بعضهم البعض، وهذا هو العمل الدؤوب حتى اليوم"[٢].

ومن وسائل محاصرة الإفراط والتفريط لدى الشعوب أن تغرس فيهم نماذج ومناهج أهل النمط الأوسط لاسيما أئمة الإسلام بما فيهم أئمة آل البيت النبوي، يقول في هذا المجال:" فإثبات مواقف رجال النمط الأوسط وتذكير الشعوب به عامل هام من عوامل غرس التوازن أمام نماذج الإفراط والتفريط ودعاة التسييس لمفهوم الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في المراحل المتقلبة"[٣].

ويتحدث عن آثار الإفراط والتفريط على الأسرة والمجتمع والسياسة العالمية في استثمارهما وإدانتهما في الوقت المناسب وتبني الوسطية السياسية حيث يقول:" وتفشت هذه العلل والإفراطات في مرحلتنا المعاصرة حتى فرقت بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، وشتت الأسرة الواحدة والبيت الواحد والمجتمع الواحد، ثم ما نلبث أن نجد المدرسة المتبنية لهذا الفكر المسيس تتنصل عن أتباعها وتلامذتها وتتناول قضية الإفراط والتفريط كعلة من علل غيرها

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١٧ .

٢- المصدر نفسه ، ص١١٨ .

٣- المصدر نفسه ، ص١٤٧ وما بعدها .

في مرحلة التسييس للوسطية والاعتدال لكي تبرز رائدة له ، ومجسدة لمعانيه وتطبيقاته "[١].

واعتبر أن الإفراط والتفريط هو من جملة أسباب الفشل في الأمة الإسلامية ونجاح المدرسة الأنوية ليس بامتلاكها لشروط النجاح ولكن بحيلها وسلبياتنا فيقول:" فإننا نؤكد أنَّ فشل الأمة الإسلاّمية في مرحلتنا المعاصرة ليس عائداً إلى فشل (مادة الإسلام العلمية) " وإنما يعود إلى جنوح المسلمين عن مبدأ الإسلام الحق إلى طرفي الإفراط والتفريط استتباعاً واستحساناً لناعقي الأبواق الشيطانية، كما أنَّ نجاح (المدرسة الأنوية) وانتشارها في إرجاء المعمورة ليس عائداً لامتلاكها شروط النجاة والانتشار، وإنما هو تراكم السلبيات المفتعلة والموجهة ونسيج الأحابيل والحيل التي عمدت عصبة العمل الإبليسية امتلاك مواقع التأثير على الإنسانية حتى وُسد الأمر إلى غير أهله"[٢].

ويعتبر أن من أسباب الإفراط والتفريط لدى بعض الشيوخ ورؤوساء الجماعات ما نالوه من المكانة والجاه والأتباع والأشياع "فهم سبب الفتنة وهم مسيَّسوا الصراع في الشعوب، حيث وقعوا في الغلو والإفراط والتفريط لَمَّا شعروا بالمكانة والجاه بين أتباعهم وأشياعهم، فاستثمروا هذا الغلو والاندفاع للتحريش والأذى وترجيح آرائهم وأفكارهم على غيرهم وسخروا الأموال والإعلام والوسائل لصرف الناس عن الاعتدال والتوسط في الأمور، وعن معالجة الإشكالات بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن إلى الطباع والنفوس والاستتباع لخطوات الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس" حكامهم وزعمائهم ورؤسائهم وأحزابهم وجماعاتهم وشيوخ مناهجهم ومذاهبهم"فبانحرافهم تنحرف الأمة وتدمر الشعوب، وهذا عين ما نشهده اليوم وقبل اليوم لأنَّ هؤلاء الصدور حكموا العقول والمصالح، ولم يراعوا "ثلاثي النجاة": الكتاب، والسنة، والنبوة (الأخلاق)"[٣].

وقد كشف مدارس الإفراط والتفريط في كتاباته منذ بداية العهد النبوي، وما يمثل هذه المدارس توجهات واتجاهات فكرية وسياسية ممثلة بالخوارج ومدارسهم المتعددة ومواقفهم

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص ٦٣ .

٢- المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

٣- منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي، ص١٢٧ .

السلبية التي أدت إلى تناقضات في الواقع إثر المواقف المتخذة من قبلهم، وتحدث عن المنهجية الوسطية المقابلة لمدارس الإفراط والتفريط والتي كان يمثلها الشخصية الأولى الرسول الأعظم ﷺ وخلفاؤه من بعده، وآل البيت النبوي وأئمتهم وقد كثرت كتاباته ومحاضراته في هذا المجال لما يجده من خلط وخبط وتشويه وقراءة طبعية للأحداث التاريخية وتفسيرها وتحليلها.

ثامناً: إحياء لغة التجديد في الدعوة إلى الله وتجديد لغة المدرسة الأبوية النبوية

إنَّ من حكمة الله ﷻ في إرسال الرسل وإنزال الكتب حتى كان آخر الرسل سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وآخر الكتب القرآن هي تجديد منهج الرسالة وتجديد ربط الإنسان بمولاه وخالقه، وقد جعل الله في آخر الرسالات التي هي رسالة الإسلام، وآخر الكتب الذي هو القرآن لغة التجديد والمرونة في ظل الثبات والأصالة، والقرآن الكريم والسنة النبوية يحملان في طي نصوصهما لغة التجديد والإبداع وتطور مفاهيمهما عبر تقلبات ومتغيرات الحياة وبمنهجية عالمية ولا يمكن أن يعرف لغة القرآن والسنة النبوية التجديدية الجامدون فكرياً وسلوكياً والعائشون عيشة البداوة الفكرية، ومن خيمت على قلوبهم أمراض القلوب، وتلوث النفوس، وجمود العقول، وأسرت أفكارهم عادات ومفاهيم أبدتها العقول المحاصرة برؤية مكانية أو زمانية كانت مناسبة لهما في مرحلة ما، ولم يعد الزمان المعاصر قابلاً لها؛ لأنها أفرزتها تعليلات وتحليلات الواقع الزماني والمكاني المحصور وتتنافى مع العالمية القرآنية والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولمعايشة شيخنا للواقع ومراحله ومتغيراته ولما يحمل من فكر راق وارتقائي، فقد حمل على عاتقه تجديد لغة الدعوة إلى الله ولغة الخطاب والفكر وأدرك بتفاعله الفكري والعقلي لغة الإسلام التجديدية المبنية على الأصالة والمعاصرة والثبات والمرونة والانفتاح على الإنسانية، وأدرك بعمق فكره أن المرحلة المعاصرة بأفكارها المتعددة وتعدد الأطروحات الفكرية والثقافية المبنية على الجمود أو التفلت تحتاج إلى لغة الإسلام المتفاعلة مع هذه الأطروحات،

والإسلام يمتلك ذلك وغني بمنهجيته المستوعبة لكل الأفكار والأطروحات التي تفرزها المراحل في الجوانب كلها، فعاش مع الإسلام بعالميته وسعته وواقعيته، وأدرك أن المرحلة بحاجة إلى لغة التجديد ولن يملك أي فكر أو منهج وضعي لغةً تجديديةً ومتوازنةً إلا الإسلام، فنادى بالتجديد ودعا إليه في كتبه وكتاباته ومحاضراته وسلوكياته في المناسبات والمناهج، فلنقرأ هذا النص الداعي إلى التجديد الواعي بمتطلبات المرحلة حيث يقول:" إنَّ القشة التي قصمت ظهر البعير تصورنا النجاح في استمرار دعوتنا العالمية بين الدعوات المتمرحلة بالأسلوب التقليدي المتوارث، فالأساليب تفنى وتموت، وأما الفكرة والمدرسة فباقية ببقاء مقوماتها، وأفضل ما يساعد هذه المقومات على بقاء روحها وجوهرها إدخال بعض التجديدات في الوسائل والأساليب المتبعة في الجانب التعليمي والدعوي وتحديث الأطر التطبيقية وتطويرها وإعادة كتابة المنهج الروحي للمدرسة بأسلوب العصر وقاموس الحياة ملاحقة للعقل الإعلامي المبرمج واستحواذاً ملحاً لاجتذاب الجيل المدرسي من أحفاد مدرسة آل البيت ذاتها وكبح جماح المندفعين والمفرطين من جيوش المحبين والمتعلقين السطحيين؛ كي يمارسوا مجموع علاقاتهم بالشخوص والأحداث والعادات بطريقة معتدلة تساعد الجميع على سد ثغرات الإفراط وتنقل المدرسة وأتباعها إلى مرحلة الضبط الواعي لمجموع العادات والتقاليد"[١].

وهذا التجديد منهج اعتدالي لا ينتقص من الأحياء ولا الأموات حيث يقول:" وهذا الاعتدال الواعي لا يعتبر نقصاً ولا تقصيراً في حقوق الأحياء ولا حقوق الأموات بل اتباعا لشرع المصطفى ﷺ من جهة ، وحفظاً لأعراض الجميع أن ينالها المغرضون من جهة أخرى"[٢]. ويرى أن هناك من سيقف ضد منهجية التجديد في إعادة ترتيب المدرسة والوسائل وغيرها حيث يقول:" إنَّ مواجهة البسطاء والعوام لإعادة ترتيب الوسائل المتبعة في العادات والتقاليد هي أشد صعوبة من مواجهة مدرسة الأضداد ذاتها، ومع أن الأضداد لا يصدهم عن الهمجية الإعلامية ترتيب أوضاع الوسائل أو تصحيح بعض إفراطاتها، لأن

١- التنصيص المثبوت ، ص٥٢ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٥٣.

برامج المرحلة المطروح للتنفيذ اقتلاع جذري للمدرسة التقليدية من أساسها دون الحاجة إلى الترميم أو الترقيع"[١].

ويتحدث عن الفرق بين من يحمل مشروع الهدم ومشروع البناء فيقول:" لأنَّ الهادم لا يهمه من الأمر غير الهدم والدمار وأما صاحب البناء فيعنيه أمر الاهتمام بالبناء كلما دب إلى بعض جوانبه التصدع والتشقق ولا ينقص قدر بنائه بالترميم والترقيع بل يمتن ويقوى ومن الحزم والعزم ألَّا يضيع الحق بين محب مُفْرِط ومدفوع أو منتفع مُفَرِّط"[٢].

ويتحدث عن منهجية تحديث الوسائل والتجديد وأهمية ذلك وأن التجديد سنة الله في خلقه إذ يقول:" ولما كان التجديد سنة لله في خلقه فقد ميز الحق سبحانه مصنوعاته بالثبات والاستغناء عن التجديد فالإنسان والحيوان والجمادات والنباتات وسنن الطبيعة: ماء وهواء وغذاء متميزة بالثبات ،ووحدة النوعية التي لا تقبل الحاجة إلى التجديد ولكنها تقبل بعض التحسين والتكثير والتعديل ، بينما كل ما يضعه الإنسان يحتاج بالضرورة إلى تجديد النموذج والتصميم وربما إلى تعديل أصول الفكرة كلها لتبرز في قالب جديد مقبول"[٣].

ويركز على أهمية التجديد ويدلل على ذلك بأكثر من مفهوم حيث اعتبر أن تعدد الرسالات دليل على منهجية التجديد فيقول:" ولما بعث الله الرسل بالرسالات عَلِمَ أحوال العباد وما يطرأ على مراحل الوجود الإنساني من التقلب والتطور وآثار الاحتكاك بالوجه الآخر؛ فجعل مسألة التجديد للرؤى والأفكار واستنباط المفاهيم ممكنة المأتى على شروط تتسم بالثبات"[٤].

ويستدل أيضا على ذلك بتعدد الكتب السماوية " فالكتب السماوية وإن كانت حاوية في مجموعها على معنى واحد فيما هو مطلوب لكنها عددت الأسلوب ونوعت الرسائل في إقناع العقل البشري وإقامة الحجة وإثارة كوامن الفطرة"[٥].

١- التنصيص المثبوت ، ص٥٣.

٢- المصدر نفسه ، ص٥٣ وما بعدها .

٣- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٣٤ .

٤- المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

٥- المصدر نفسه ، ص٣٥ .

ويعتبر أن أسلوب التعبير القرآني في ألفاظه نوع من التجديد مثل إيجاد لفظ المنافق والفاسق ولم تكن معهودة "فالقرآن أحدثُ أسلوبٍ تعبيريٍ عرفته العرب يحمل جملة شروط الإعجاز، ولم يكن لها عهد بمثله في صياغة مع أنه يحمل لغة العرب في ذاتها بل وفي القرآن اقتباس من اللغات المعربة مما يشير إلى الاستفادة المناسبة من غير اللغة الأم عند الاستدلال"[١]. ويعتبر تعبير القرآن في معرض أمره بالإعداد بالقوة في قوله تعالى:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فتحٌ لباب التجديد والتحديث فمدلول القوة لا ينحصر عند العدد والعدة بل يتعداه إلى أسباب النصر في المعارك ويدخل في معانيه التعبئة العامة والتحريض ودراسة الأحوال الجغرافية والطبيعية وعلم الاستطلاع وغيرها من العلوم التي تنطوي تحت مفهوم القوة وإقامة أسبابها"[٢]. ويستدل على السلوك التجديدي في حياة الرسول ﷺ وبداية وضع الأسس الأولى لدولة الإسلام:

-بناء المؤسسة الأولى المسجد ومشاركة المسلمين في البناء.

-جمع الأوس والخزرج في وحدة ذات مسمى جديد "الأنصار".

-المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. "[٣].

ويستدل على منهجية التجديد بما تحمله الآية الكريمة التي خاطب الله فيها رسوله ﷺ بقوله:﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى: ١١] . لأنه بدءٌ لعهدٍ جديدٍ من تحديث النعم وتجديد أسبابها، فالنعم كلها من الرب سبحانه، وقد أمرنا أن نقرأ باسمه فتحديث القراءة والشرح والاستدلال في كآفة الأمور الحياتية باعتبارها نعماً إلهية أمرٌ يجدد شرف النعم ويحدث أثرها ويفعل في عقول الآدميين بما لا تفعله الوسائل التقليدية الماضية، ومثله التحديث في وسائل المعرفة الدينية ، يحرك الشرائح لعديد من أجيال المجتمعات لخدمة الدين ذاته لتفاعل الوسيلة وأثرها في استقطاب العقل الجامد والذهن المتحير أو الفرد القلق من سلسلة الماضيين والخائف من مجرد القول بشبهتها أو خطئها"[٤].

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٣٥ .

٢- المصدر نفسه ، ص٣٦.

٣- المصدر نفسه ، ص٣٥ .

٤- المصدر نفسه ، ص٣٨.

وتتضح رؤيته المتوازنة والمتوسطة والموضوعية للتجديد من خلال دعوته إلى التجديد بعيداً عن الإفراط والتفريط و التفلت أو الجمود أو الانفتاح غير المنضبط أو الانغلاق العقلي أو الفكري والثقافي، حيث يقول:" لقد برز على مساحة الحياة المعاصرة من آمن بفكرة التحديث للوسائل ولكن على منحى التفريط فاستعملها في احتضان كل جديد من المعرفة والصناعة والآلة حتى تَغَرَّب الجيلُ خلف الجديد رافضاً للقديم وموروثاته، بل ودامغاً لها ومهمشاً لدورها ومحرفاً لمفهومها التاريخي الشرعي، وبلغ التفريط غايته عندما احتضنت هذه المدرسة مفهوم التحديث حتى فيما حرم الله...كاستخدام الوسائل الإعلامية المخلة أو المساهمة فيها أو في تشييد أروقة الربا والمصارف الربوية الحرام ويقابلها في منحنى الإفراط من يأبى الاستفادة من الحداثة معتبراً إياها "مطهراً للكفر والانحلال " دون تمييز ولا تمحيص، أو أخذ من وجهة النظر القاصرة يفسر مخترعات الحضارة كاكتشاف القمر وعلوم الفضاء الكوني مجرد كذبة وصور يعرضها الكفار على عقول الناس للكسب الإعلامي والسياسي"[١].

ويقيم طرفي الإفراط والتفريط في مسألة التجديد والاستفادة من معارف وتجارب الآخر بقوله:" إن هذه المنظورات الغريبة لا علاقة لها بالديانة الشرعية كعلم ومعرفة، وإنما هي تفسر رؤية الفرد ذاته ومفاهيمه الخاصة به حينما كان من طرفي الإفراط والتفريط المذموم والسلامة والاعتدال والأخذ بمبدأ الوسطية الشرعية"[٢].

ومن هذا المنطلق الواعي للتجديد والتحديث دعا إلى أن كآفة العادات والموروثات والذكريات والمناسبات تحتاج إلى لغة تجديدية تحديثية إذ يقول:" ومن هذا المفهوم المستجد نعتقد أن كآفة الموروثات الإسلامية بما فيها الذكريات والمناسبات يجب أن ترضخ لهذا المبدأ الهام حتى لا يصيبها ما أصاب المرحلة من داء التفسير الأنوي المعبر عن الطعن والهمز واللمز في التأريخ ورجاله"[٣].

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٣٧ .

٢- المصدر نفسه ، ص٣٧.

١- المصدر نفسه ، ص٣٦ وما بعدها .

وبهذا القدر من فكره ورؤيته وتصوره عن التجديد والتحديث نرى أن منهج التجديد والتحديث بشروطهما وضوابطهما منطلقه الفكري والدعوي والسلوكي.

تاسعاً: العمل على تمتين الوحدة الإسلامية بين المسلمين وإحياء لغة التفاهم والتعارف في العالم الإسلامي والإنساني

من يتصفح كتاباته ويسمعه في لقاءاته ويقرأ مقولاته ويتابع توجيهاته يجد حرصه المطلق على تمتين الوحدة الإسلامية فيما بين المسلمين ويعمل على نزع فتيل الفرقة والشتات والصراع والنزاع والأحقاد ويرتقي بمن يسمعه ويقرأ له إلى فضاء المحبة والمودة والسعة والعالمية والاستيعاب للواقع والإنسان ، ومن حرصه على تمتين الوحدة الإسلامية بين المسلمين أن نادى ودعا وكتب حول القواسم المشتركة التي تجمع الأمة مع احتفاظ كل برؤيته الخاصة به سواء كانت مذهبية أو سياسة .

وقد عمل على إزالة الحواجز المصطنعة بين المسلمين وقادات الصراع الفكري والسياسي والحزبي والقبلي والطبقي؛ لأنه يشتت الأمة ويمزقها ويفرقها ويجعلها تتآكل وتضمحل وتسقط كما هو الحال اليوم ، وحذر من سياسة العدو في المنطقة المنطلقة من قاعدة "فرق تسد" وتناولها في كثير من كتاباته ووضعنا أمام نماذج من هذه السياسة كنموذج التشاجر القومي والقبلي الذي كان السبب في سقوط الخلافة الإسلامية وسقوط فلسطين بيد اليهود ، ودعا إلى القواسم المشتركة كما سبق من أجل المحافظة على الوحدة الفكرية في ثوابتها بين المسلمين وركز في كتاباته على التعايش السلمي والعيش المشترك من أجل المحافظة على النسيج الاجتماعي في الأمة ، وأدان التعصب الفكري والمذهبي؛ لأنه من أسباب الفرقة بين المسلمين ومن أسباب تهديد الوحدة الإسلامية والوطنية.

وهذا ما تحدث به عن أسباب الفتنة بين الشيعة والسنة، حيث يقول:" ويبدو أن أساس الفتنة بين الفريقين هي فلسفة المواقف المترتبة على التحولات، ومدى قوة التعصب لدى فريق ضد الآخر، وطغيان هذه الرؤى العمياء وتقعيد شؤونها وتأصيل تناقضاتها حتى صارت منهجاً بديلاً عن منهج التوسط الشرعي والاعتدال الأخلاقي المنصوص عليه في

المعاملة بين المسلم والمسلم، ولم يسلم من الكارثة إلا القليل حيث إن الفعل ورد الفعل قد طغى على عجلة الحركة واستحوذ عليها فصارت الأمور تتحرك من خلال أطماع حملة القرار وأقماع المتنفعين والمندفعين في زعزعة الاستقرار وضاع صوت التعقل والاتزان، وتكونت مواقف الفلسفة للقضايا، واتسع الخرق، وانقرضت العرى- كما أشرنا سلفا- وظل كل فريق يتربص بالآخر ويضيف ويحذف في صياغة التهم وشرح وقائع التعليل والتحليل للمواقف منها ما يكون بحق ومنها بباطل، والقبة الصغيرة من الباطل كفيلة بحرق الحق وما ترتب عليه عند الاشتعال... ولحقت الهزيمة بالجميع ولا منتصر في كل الأحوال غير الشيطان"[١].

ونجده يتحدث عن أثر جمع الأمة فيقول:" اجتماع هذه الأمة المحمدية على شرف دينها وقرآنها وصافي عقيدتها وملتها أمر يضمن لها الاستمرار في العطاء والانتصار والثبات ويهيئ لها فرص المكانة المتفردة التي منَّ الله بها عليها"[٢].

ويتحدث عن تفككها فيقول:" ما تفككت عرى هذه الأمة المحمدية وغزاها أعداؤها في داخل كيانها وسلب موروثاتها إلا لما رضيت في مسلك حياتها اليومية بداء الأمم، ذلك الداء الذي ينخر البنيان ويهدم العمران، ويقوض من الأمة الشخصية والملة والكيان، الداء الذي أخبر عنه رسول الصدق والهداية وإمام البداية والنهاية"[٣].

وتحدث في كثير من كتاباته أن من الأسباب التي مزقت الأمة وأدركها العدو وعمل من أجلها إسقاط القرار الواحد والموحد لهذه الأمة بسقوط الخلافة الإسلامية، ويتحدث عن آثار إسقاط القرار الواحد الموحد بقوله:" وبفقدان القرار العالمي ظلت القومية والقبلية والطائفية والعائلية تعبث بالاستقرار وتدمر أبنيته وتحرق أشجاره وأفكاره ومن خلفها الشيطان العقل الكافر الممسوخ حتى أصيب حملة قراري الحكم المجزئ والعلم المقبوض

١- المواجهة السافرة لإدانة طرفي الإفراط والتفريط ، ص١٣١ومابعدها .

٢- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، لسان المنبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص١/ ٩٩ ، الطبعة الأولى، فرع الدراسات وخدمة التراث، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م .

٣- المصدر نفسه، ص١٠١.

بداء الأمم، ومن داء الأمم فقدان الهُويات والاعتداد بالذوات والهيئات والمؤسسات والجماعات والجمعيات: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

واستأسد العدو المجتمع ونال من القرار والهُوية وامتلك عوامل الإعادة والترتيب فأعاد الصياغة الدجالية للقرار وحقق معنىً من معاني مظاهر الاستقرار وكسب جولة الاستمرار حتى تمكن من صنع قوالب الهيشات ومطموسي القرار والهُويات ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] [١].

عاشراً: الموضوعية وعدم الإلزام في الطرح

لقد كان المنطلق الأساسي لطرحه الفكري والمعرفي في كتاباته هو الموضوعية وعدم الإلزام للغير، بل كان يعتمد في ذلك عرض القضايا دون فرضها، وقد تكرر مثل هذا في أكثر من كتاب له مما يدل على ثقته بما يطرح وقابلية التساؤل والمناقشة في القضايا الفكرية والمعرفية وغيرها من القضايا التي يطرحها في كتاباته، وقد تجلت الموضوعية وعدم الإلزام بوضوح في هذا النص، حيث يقول:" إننا لا نصارع أحداً في مفاهيمه ولا نطالب صاحب رؤية أن يرجع عن رؤيته، ولكننا نبسط ما عندنا في هذه المسألة لنقرب مسافة البعد المسيس بين بعضنا ونقطع سياسة التحريش الموجه"[٢].

إنه بهذه المقولة الواعية يوضح توضيحاً لا لبس فيه بأنه بما يطرحه من فكر ليس المنطلق المصارعة الفكرية في المفاهيم ولا يطالب أحداً بالرجوع عما يحمله من أفكار وتصورات ولكنه ينطلق من المنهجية الموضوعية في الطرح وتقريب المسافات التي حددها الآخر حامل

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، دوائر الإعادة ومراتب الافادة في شرح علوم الدين وأركانه الأربعة مجتمعة لا متفرقة مع إعادة تحليل المسميات للعلوم من وجهة نظر الرباعية الشرعية ، ص٦٨ وما بعدها، الطبعة الأولى، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث،١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢- الوثيقة، ص٥٢ .

لواء التصارع والتنازع والتشاكس بين المسلمين من أجل أن يقطع سياسة التحريش التي ينهجها واضع المسافات المسيسة بين كافة المسلمين.

ونجده يختم كتابه " إحياء منهجية النمط الأوسط " بموضوعية تامة يحترم من يخالفه في الرؤية مادام يدور معه في دائرة البحث عن إصلاح ما فسد في الواقع، فيقول:" إنني أختم كتابي هذا وأمامي من التصورات المتنوعة ما لا يتسع المجال لإثباته هنا.. ولكن أقول الحقيقة من حيث عرفتها واستسمح الآخرين إن لم يؤولوا فهمي لهذه الحقيقة اعتباراً من وجهة نظري، فأنا أقدر الرأي الآخر وإن كان مخالفاً ما دام يدور معي في دائرة البحث عن إصلاح ما فسد من الواقع الخاص أو العام"[١].

ونجده يتحدث عن ثقافة بقية السيف وسادة الصلح في كتابه إحياء منهجية النمط الأوسط ويعرضها بغير إلزام فيقول:" إننا لا نلزم أحداً بثقافة بقية السيف وسادة الصلح ولا ندعو إليها من يأباها، بل نعرضها في سوق العرض والطلب كنموذج واعٍ لغرض الاستقرار النسبي والاستقرار الذي يجمع ولا يفرق ويبني ولا يهدم"[٢].

فمن يقرأ كتاباته يجد التجرد عن هوى النفس والعصبية والانتماء الأسري والمذهبي، وإن تحدث عن الانتماء الأسري والمذهبي فَتَحْتَ دائرة جزئية فقط. وبهذا نجد الموضوعية العلمية في كتاباته ومناقشاته لبعض القضايا المطروحة في الواقع وما هذه النقولات إلا دلالة على الموضوعية وعدم الإلزام لأحد فيما يراه بل له الحرية الكاملة في القبول لما يطرحه أو الرد. فهذه بعض المنطلقات الأساسية من وجهة نظري القاصر التي انطلق منها في دعوته وكتاباته ومنهجه الفكري والمعرفي والثقافي وهو يضع التصورات ويحلل الواقع ويبرز الرؤية المتوازنة والمنهج الواعي والمشروع العالمي.



١- إحياء منهجية النمط الأوسط، ص٢٤٩ .

٢- المصدر نفسه ، ص٥٠ .



الفصل الرابع

الخصائص الفكرية والسلوكية والمعرفية التي متعه الله بها

أولاً: الشجاعة في تشخيص المراحل والمتغيرات.

ثانياً: الوعي والعمق في تناول القضايا والأحداث.

ثالثاً: الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي.

رابعاً: الإبداع والتجديد.

خامساً: القراءة الواسعة.

سادساً: المصداقية في الكتابة والدعوة والسلوك والتقييم.

سابعاً: المسؤولية.

ثامناً: المحبة الأبوية والرحمة لأمته ومجتمعه وطلابه.

تاسعاً: الحرقة الشديدة على هذه الأمة.



عاشراً:التحليل العميق والواعي للأحداث والمتغيرات وقضايا المرحلة المعاصرة.

الحادي عشر: العقلانية المتوازنة.

الثاني عشر: الناقد الباني والمحب المتفاني.

الثالث عشر: المنهجية التربوية التعليمية العملية السلوكية.

الرابع عشر: المرونة الفقهية.

الخامس عشر: رجل التأريخ وتأريخ الرجولة.

السادس عشر: العمق الأدبي واللغوي والشعري.

السابع عشر: معرفته لواقعه ومرحلته.

الثامن عشر: التحليل السياسي العميق لواقع الأمة ومراحلها المفصلية.

التاسع عشر: الهمة العالية والعزيمة الرائدة في الدعوة إلى الله.



من يقرأ هذه الشخصية قراءة فكرية ويتأملها بعمق واتساع يجد أن الله قد منحها خصائص وتميزات لم أجدها في غيرها منذ أن عرفت نفسي مع أني عايشت كثيراً من الشخصيات وقرأت لكثير منها، لكني وجدت التميز في أكثر من مجال لدى هذا الرجل الموهوب من لدى علام الغيوب، فقد منحه الله التميز الفكري والذهني والمعرفي والسلوكي ووهبه الله قوة فكرية ذات عمق معرفي لم نجدها في كتابات مفكرين مرموقين وشهرتهم عالمية لاسيما عندما يحلل الأحداث العالمية والمتغيرات المعاصرة ذات المنعطفات الخطيرة ، وقد انعكست مواهب الله عليه في كتاباته ومحاضراته وحواراته مع تلاميذه وأقرانه فظهرت فيها التحليل العميق للواقع والفهم الجديد للنص والجرأة والشجاعة في الطرح والوعي في التقييم والإبداع في تصوير الواقع بأحداثه ومتغيراته والمسؤولية في العرض والمصداقية في الدعوة والدلالة والذوق والعقلانية في الإبداع والتعبير والسعة في المشهد ، نجد الجديد في كتاباته وإن كرر بعض المواضيع في بعض كتبه فهي تحمل لغة أخرى غير الأولى ونجده هذا أيضاً في المناسبات والذكريات المتكررة فهو يضعنا أمام الجديد في أكثر من مجال.

وسنقف معكم حول بعض الخصائص الفكرية والمعرفية والسلوكية التي من الله بها على هذا العلم والمعلم لمدرسة حضرموت وهناك خصائص غابت عن ذهني وستتجلى لغيري وخصوصاً لمن هو قريب منه .

أولاً: الشجاعة في تشخيص المراحل والمتغيرات

من يعش مع ما كتبه في فقه التحولات وتحليله للواقع وتشخيصه له يجد أنه يحمل الشجاعة الفكرية في تحليل الواقع والمتغيرات وتشخيص ما تمر به الأمة من منعطفات تاريخية صعبة لا مثيل لها عبر التأريخ ، وقد اعتمد تحليله وتشخيصه على مرجعية النص ودلالته وسعته وعالميته لاسيما فقه علامات الساعة والأحاديث الدالة على متغيرات الحياة ، وعلى العقلانية في تناول التحولات والتفاعل معها حيث يقول:" إنَّ التفاعل مع التحولات والمتغيرات الكائنة في محيط العالمين يجب أن يتسم بالعقل المقيد بالعلم وأن يكون المسلم على

غاية من التوازن وعدم الاندفاع ويكفي إرسالا للعواطف وتسخيرا للمواقف"[١].

ويشخص بعض ما يكتبه بعض الناس عن بعض الأفكار الشاذة في التصوف الإسلامي والمذهبية وآل البيت ودوافع ذلك بشجاعة قوية وصراحة تامة حيث يقول:" إن أعجب ما أفرزته أقلام الإفك المسيس اهتمامها الخاص بالتنقيب الدؤوب عن كل شاذ غريب في المؤلفات والكتب المنسوبة للصوفية وإضاعة أوقات الليل والنهار في هذا العهر المادي المنهار الذي جاءت كل مخرجاته إذلالاً وانحلالاً وهزيمةً وإحباطاً واستتباعاً لليهود والنصارى في كل شيء من أمور الدين والدنيا؛ لكسب الجولة في تكفير السابقين وإدانة كل شيء ينسب إلى مراحلهم، وكأنما لا شيء في التصوف غير الحكايات الغريبة والأقاصيص المربية مع أن المدارس العصرية كلها ولدت ونشأت وترعرعت وتخرج كافة أبنائها وبناتها وقادتها وعلمائها وشيوخها وحملة قرارها واستقرارها تحت مظلة الاستعمار والاستهتار والاستثمار، ومن داخل هذه المؤسسات المنفذة سياسة ومصالح العلمانية والعلمنة والعولمة يتنزى سلفيهم وسفليهم وصلفيهم وعالمهم ومتعلمهم ليدين آل البيت والصوفية والمذهبية ويلحقهم بالمشركين الكفرة الذين يخلدون في النار... ولمصلحة من كل هذا؟ ، والجواب الصحيح لمصلحة المستعمرين والمستثمرين الذين يطلق عليهم: الجهات المانحة مصالح الغذاء والدواء، حملة القرار في العالم المعاصر الذين يكيدون كل يوم وليلة للتأريخ الشرعي الأبوي ورجاله وبأيدي أبنائه وأتباعه بعد تجريدهم من الغيرة على الأبوة وإسقاطهم في مصالح الحياة والسلطان والجاه والطموح المعاصر"[٢].

ونجده يطرح مراحل التغيرات في المرحلة الأولى بشجاعة وكيفية قراءتها القراءة الواعية والمسؤولة إذ يقول:" إن قراءتنا للتاريخ من ثوابت فقه التحولات يرجع إلى أمرين: قراءة الذوات، وقراءة المراحل. فقد تكون بعض الذوات تمتلك حصانة شرعية معينة، فالقدح - إذا صحت العبارة- لا تكون على الذات، وإنما مخرجات المرحلة وعواملها وأسبابها سلباً وإيجاباً ، وحيناً تكون قراءة الذات دلالة على فساد الحامل للقراءة بوجه من

١- الوثيقة، ص ٧١ .

٢- المصدر نفسه ، ص٣١٩ وما بعدها .

الوجوه، فالمرحلة ينظر إليها من زاوية الاستقرار وما فيها من خير للأمة.

وحيناً تكون القراءة للذات وللمرحلة، فيكون الأمر أكثر تماسكاً وسلامة لما هو في عصر الشيخين -رضي الله عنهما- فمرحلة الخليفة السادس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تقرأ من خلال الذات وبهذه القراءة تميزت هذه المرحلة وخرجت عن الملك العضوض، وأما مرحلة عثمان رضي الله عنه فالذات تملك حصانة شرعية، ولكن القراءة الواعية للمرحلة وما فيها من فتن وتحول يبرز موقع التعكر والتنكر.

ومثلها مرحلة الإمام علي رضي الله عنه ومرحلة الإمام الحسن رضي الله عنه ومرحلة الإمام الحسين رضي الله عنه فكلها مراحل مضطربة، بالفتن مشتبكة، والقراءة الواعية في فقه التحولات تحمي شخوص الملة بالحصانة الشرعية، ومنهم مفتوني المرحلة بأسبابها وعواملها.

وحيناً تستوي القراءة بين الذات والمرحلة كما هو من أول مراحل الحكم العضوض؛ لبروز حجة تنازل الإمام الحسن رضي الله عنه لدى الفريق الآخر وهو الذي اكتسب بالتنازل صيغة الحق في القرار فتكون القراءة هنا لمواقع الخلل في اتخاذ القرار ومواقع الخلل في مخرجات المرحلة من جهة ثم القراءة للذات من حيث جادت النصوص وبهذا تتخذ المواقف"[١].

ثم تحدث عن من لهم سعة علمية في التاريخ ونصوص الديانة ولكن قراءتهم للتاريخ قراءة مقرونة برؤية سياسية وليست قراءة منطلقة من منطلقات النصوص الشرعية المرتبطة بفقه التحولات، حيث يقول عن هؤلاء:" ذلك لأن الكثير من رجال القراءة ينطلقون من واسع العلم المقرون بالتاريخ السياسي وليس من واقع التحولات وضابط النصوص ، وبعضهم يقرأ الإسلام كله ومواقفه الخاصة نحو الإسلام والتاريخ من واقع الأحداث ومخرجاتها، فيمسخ كل شيء في المرحلة وإن كان طيباً وإيجابياً بل ربما صنف الطيب والإيجابي جزءاً لا يتجزأ من القرار أو الذوات المنحرفة ذات الصلة بالقرار والحكم، وهذا هو عين الإشكال المؤدي إلى نماذج الإشكال في علاقة الأمة ببعضها البعض وللأسف"[٢].

ونجده يشخص المواجهة الفكرية بين السلفية والصوفية والسنة والشيعة برؤية عميقة

١- الوثيقة ، ص٢٨١ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٨٣ وما بعدها .

في إدراكها تحول الفكرة الموجودة لدى السطحيين الذين ينظرون إلى المواجهة بين المدرستين بأنها مواجهة تعتمد الكتاب والسنة إذ يقول:" إنا نرغب الإيضاح لمن أشكلت عليه قضية الحرب الضروس بين المدرستين:(السلفية والصوفية) في الظاهر أما فقه التحولات الشرعي المقتبس من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيفسر الحرب بصورة أشمل أنها المعركة بين الإسلام الشرعي والإسلام الوضعي، فلا حرب بين سلفية وصوفية ولا بين شيعة وسنة ولا غير ذلك، بل هي حرب قرار إسلامي عالمي سقط ليحل محله قرار إعلامي كافر.

وبقية المخرجات هي جزئية من جزئيات المعركة بين الإسلام المحاصر وتفكيك تركيباته الشرعية، وبين الإسلام البديل وتمتين جزئياته الوضعية ولأن هذه المعركة معركة طويلة المدى فإنا نكتفي بهذا القدر من الإيضاح والمتابعة لأن المرحلة تتجهز لمعركة جديدة ضد الثلاثي الشرعي: (آل البيت ، المذهبية ، التصوف). هذه المعركة ستتحول لغتها من هذا الصراع إلى الصراع بين السنة المصنعة والشيعة المقنعة لتحقيق هدف استعماري واستثماري جديد ومرحلة دموية طاحنة لا يعلم مدى خطرها إلا هو سبحانه"[١].

ونجده يتحدث عن التعددية السياسية برؤية واعية لدى المستثمرين وغيرهم فيقول:" فالتعددية في السياسة الاستثمارية مشروعة، ولكنها لدى العقول المسيسة من أتباع المذهبية والحزبية والتيارية وغيرها وسيلة للصراع وليست وسيلة للوحدة بين الفئات والشعوب"[٢].

ويتحدث عن منهج الإسلام الحق في الاختلاف، فيقول:" والإسلام الحق يدعو إلى الوحدة الفكرية بين الشعوب على القواسم المشتركة، فلو اختلفت المفاهيم والآراء، فالاختلاف في الآراء لا يفسد للوحدة قضية إن كان الداعون لها أهل الإسلام العالمي، أما إذا كان الداعون لها أهل الفكر العولمي، فلابد أن تؤدي دورها الانفعالي حتى حين" طوعاً أو كرهاً" وأهل الفكر العولمي هم حصيلة التخرج من مدارس القبض والنقض الاستثماري عبر المراحل ممن انقطع عن المدرسة الأبوية الشعبية ، وتلقى دراسته ومواقفه من ألِفِها إلى يائها من مؤسسات الاستيراد والتصدير الحكومي والحزبي الممنهج"[٣].

١- الوثيقة ، ص٢٧٧ وما بعدها.

٢- المصدر نفسه ، ص١٨٦ وما بعدها.

٣- المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

ونجد الشجاعة المسؤولة في تشخيص ظاهرة التطرف وبداية نشأتها حيث يقول:" إن من واجبنا الشرعي ونحن نرى ما وصلت إليه مدارس المسلمين العلمية الشرعية وما أصيب به تركيبها الهيكلي من مسميات "التطرف والتشدد" ، وهذه المسميات في أصلها ردة فعل صادرة من داخل المدارس ذاتها حيث بدأت طريقها في الواقع العملي على هذا النمط من التشدد والتطرف والاندفاع حتى تمكنت من السيطرة على المواقف وقطعت الطريق على بقية المشاركين لها مواقف العلم والفتوى والمظاهر الشرعية واصطفت لنفسها ولإتباعها مسميات السلامة والفرقة الناجية وغيرها من المسميات المنحوتة صناعياً في الواقع الغثائي ؛ وأدانت مدرسة المذهبية والصوفية وآل البيت إدانة خطيرة في شأن العقائد، وانتشرت هذه الإدانة محمولة عبر الرياح والقنوات والمؤلفات ووسائل الإعلام حتى قسمت العالم العربي والإسلامي كله إلى بؤرتين:

١-بؤرة صوفية بكافة نماذجها وأنواعها.

٢-بؤرة السلفية بكافة فروعها وأقسامها واستمرت معارك الصراع في كآفة مواقع الحياة الدينية"[١].

وتظهر شجاعته واضحة في تحليل مواقف العمل للطرفين في الحياة حيث يقول:" واستمرت معارك الصراع في كافة مواقع الحياة الدينية خلافاً للمواقع الدنيوية فقد عمل الجميع فيها بإخلاص وتفاني، كل فيما يعنيه ويناسبه في واقع الخدمات المحلي والعالمي واستمر ذلك حقبة من الزمن كان الكافر يرقبها ويوجه مقدراتها لمصالحه ورغباته كما يهيئ ويحتضن بدائل أخرى في الواقع العربي والإسلامي؛ لاستسلام أدوار مستجدة في حلبة الصراع المرتقب داخل الحضيرة الإسلامية وخارجها؛ وها هي المعركة قد اتخذت شكلاً جديداً ومحوراً متنامياً داخل بؤر المدرسة السلفية وانتهاءً بنفس المكيال الذي كالته المدرسة لغيرها، وسيرى الواقع الاجتماعي كله كيف يوجد العدو هذا الصراع لا لمصلحة الإسلام والمسلمين وإنما لمصلحته في تمزيق الإسلام والمسلمين ، كما فعل مع أصول المدرسة ذاتها كما سيرى العالم كله كيف تعاد الثقة النسبية لمدرسة التصوف ممثلة في أجنحتها المتحركة؛ لتكون

١- الوثيقة ، ص٦٧.

بديلاً وشعاراً يخفف من منطلقات الاندفاع والتطرف أو تهمة العدو للمسلمين بمسمى " الإرهاب" ولو مرحلياً؛ حتى تنقشع كافة الوسائط المبرمجة، وتسقط الأقنعة المزيفة التي يختفي خلفها الكافر، وعندها ستبدأ المواجهة السافرة بين الكفر ووكلائه والإسلام وشعوبه وعندها لا عاصم من أمر الله إلا من رحمه"[١].

ويطرح بشجاعته دور الدعوات والجماعات في فرض الآراء ومعاناة الشعوب من هذا الفرض حيث يقول حفظه الله:" لو تأملتم في كثير من الدعوات المعاصرة وغيرها من الدعوات السابقة ذات العلاقة بالواقع السياسي الحركي لرأيتم كيف تفرض الآراء على الشعوب بالمال والجاه، وكيف تعاني الشعوب من ضغوط الحركيين المتطرفين في كافة الأزمنة والعصور بسوء ارتباطهم بعرض الدنيا"[٢].

ويتحدث عن أصحاب هذه الدعوات والحركات بإنصاف وموضوعية وينقدهم بموضوعية إذ يقول:" وإذا نحن أنصفنا أصحاب الدعوات الحركية الاندفاعية فإننا سنحمد حماسهم المتقد من أجل الشرف الإسلامي كظاهرة ورغبتهم في الوصول إلى الغايات المنشودة كرؤية؛ ولكن الأساليب المتبعة ووسائل المعالجة التي يتخذونها تحرق الأخضر واليابس، وتضر القائم والجالس، ولا يجنى منها غير العار والدمار، وامتدادهما لدى الكفار، وهذا ما شهدناه وعاصرناه خلال المائة العام الماضية، بل وما قبلها من خلال استقراء الحوادث والنصوص التاريخية"[٣].

ويتحدث عن مرحلة الغثاء وبدايتها ومراحلها بشجاعة وصراحة ووضوح حيث قسم المرحلة الغثائية إلى:

١-مرحلة المؤامرة والتخطيط للاستيلاء على تركة الرجل المريض والمسماة في نص الحديث بـِ"بفتنة الأحلاس".

١- الوثيقة ، ص٦٧ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٣٦.

٣- المصدر نفسه ، ص٣٦ وما بعدها .

٢-مرحلة إسقاط قرار الخلافة وتقسيم العالمين العربي والإسلامي إلى مناطق نفوذ للدول الكبرى بـِ" مرحلة السراء".

٣-مرحلة إعادة نقض الحكم بالثورات والسياسات ، وشمول سياسة "فرق تسد" وما يسمى بـِ (مراكز النفوذ) بين كتلتي الشرق والغرب.

٤- مرحلة شمول الصراع الطبقي والاعتقادي داخل حظيرة الأمة الإسلامية من خلال الدفع السياسي والاقتصادي وإثارة النعرات الدينية والطائفية والقبلية "مرحلة الدهيماء" الصراع الطبقي والصراع الاعتقادي.

٥- مرحلة الصحوة، واستثمار سياسة المراحل السابقة وإنجاح مشاريع اليهود والنصارى في العالمين العربي والإسلامي، وهي ما سماها النبي ﷺ بـِ"الفتنة الرابعة البكماء العمياء الصمَّاء التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر"[١].

إنه العمق الفكري والسياسي ومعرفة متغيرات ومراحل الحياة لديه.

ثانياً: الوعي والعمق والعقلانية في تناول القضايا والأحداث

كتاباته لاسيما الأخيرة منها تتسم بالوعي والاستنارة والعمق الفكري والعقلانية المتوازنة والوضوح في تناول قضايا الساعة وتناول الأحداث العالمية والمتغيرات العربية والإسلامية وبكلمات مختصرة ووجيزة، لا كما تتناولها كتابات السياسيين والمحللين المرتبطين بظواهر الأحداث والمتغيرات والمتأثرين بالسياسة العالمية والبرامج السياسية والأنظمة والهزيلة، والذين يقرؤون الأحداث والمتغيرات من منظور الآخر وسياسته وبرامجه وأفكاره وتطوراته وخططه المخفية منها والمعلنة حتى أورثتنا الخيانة في التشخيص.

إنه يقرأ الأحداث بوعي عميق، وعقلانية واسعة، ومشاهد متسعة، ودخول لزوايا الأحداث وخباياها من منظور العالمية الإسلامية والقراءة الربانية في قراءة المستقبل من خلال النصوص الاستباقية والاستقرائية، ونقف معكم على بعض النماذج من كتاباته

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص١٩ ومابعدها.

المتسمة بالعقلانية والوعي والعمق في قراءة الأحداث حيث يقول عن التغير المنشود في عالمنا العربي من قبل الأجيال المعاصرة:" ويكاد جُلُّ الجيل الإسلامي المندفع للتغيير أن يكون مع قادة التغيير الإسلاميين والإعلاميين ، وينطلقون في اندفاعهم المشبوب واكتساحهم من واقع الظلم السياسي القائم على قاعدة الفعل ورد الفعل ، والفعل ورد الفعل في أساسه سياسة المستثمر والمستهتر والمستعمر" محرك عواطف الضحايا، ومحرك أسلحة الحكام الظالمين ومن شايعهم للضرب فيما بينهم والتضحية بهم جميعاً في معارك التبرير والتحرير والتغيير، ومع كل نهاية معركة يبدأ المستثمرون في حك مؤامرة المستقبل الجديد من داخل عناصر الثورة وبمجموعات العمل الضدي وفق الاحتياجات الطبيعية للمجموعات وتشكيلاتهم الحزبية أو القبلية والمناطقية أو الطائفية أو غير ذلك من عوامل التناقضات والنواقض المدروسة، فالمفاصل العملية المؤثرة في حركة التغيير لا يملكها الأحرار المقاتلون، وإنما يملكها الممولون الأشرار القابعون خلف كواليس المراحل يشعلون الفتن أو يستثمرون إخمادها"[١].

ويبين الموقف الواعي أمام هذه التحولات والمتغيرات بقوله:" وعزتنا نحن المسلمون لا تكمن في مساندة أقماع الفتن ولا في تهيئة ظروف استقرار المستثمرين، وأما غالب الإسلاميين والمستسلمين و المؤسلمين، فلا يعنيهم مثل هذه العزة التي تشير إليها النصوص، وإنما تعنيهم كلمة "الحرية والديمقراطية وتحقيق مصالح الإنسان وحقوقه" باعتبارها برنامج المرحلة الغثائية بصرف النظر عن الممول والمنفذ والمستثمر"[٢].

ويتحدث عن أن الأنظمة الملكية كانت مستهدفة من قبل المعنيين بالتغير الثوري؛ لأنها كانت أنظمة استبدادية كما هو معروف لديهم، ودخل العالم العربي في مرحلة تغيرية ثورية ضد الأنظمة الملكية، وتحولت كثير من العواصم العربية ضمن هذا المخطط والتغيير، فيقف حول هذه المرحلة التغييرية بتحليل عميق وواعي فيقول:"وبمرور الزمان على طريق البرمجة الموجهة جاء الربيع العربي كما أطلق عليه صناعه ومستثمروه وبإخراج غريب وعجيب ومن

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، المرصد النبوي تقارير واستقراءات ودراسات من واقع القراءة النصية لفقه التحولات، ص ١/ ٥٣ وما بعدها ، الطبعة الأولى، دار المعين للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م .

٢- المرصد النبوي ، ١/ ٥٤ .

أعجب ما فيه أن تصبح بعض الأنظمة الجمهورية التي قامت على الديمقراطية والحرية مدعومة بقرار الإفك العالمي في مرحلة ما هي الهدف الأول للتغيير ومنطلق التفكيك والتغيير، بينما تصبح بعض الأنظمة الملكية الموصوفة سابقاً بالاستبداد هي الملجأ والمرجع ومصدر التمويل للثورات، وأوراق المبادرات، والسؤال يقول: من الذي غير المقاييس وعبث بالأوراق؟ وما هي الجهة المحركة لكلا الفريقين؟ ولصالح من يعمل كل منهما على مدى تأريخنا الاستعماري القريب؟ والإجابة عن هذا السؤال كامنة في خفايا أوراق العلم بعلامات الساعة، أما تقارير الخبراء وملفات الوزراء وتعليقات القادة والأمراء ومجريات الحوادث وفق ما تفرزه المرحلة من " فعل ورد فعل" شعوب تثور، وأنظمة تتهرأ وتتساقط، والتاريخ شاهد -كما يقولون - وعجلة التغيير لا ترجع إلى الوراء"[١].

ويضعنا أمام تحليل واعٍ لما يجري في المنطقة في المرحلة المعاصرة من تطرف سني وشيعي وآثاره على الأمة، فيقول:" هناك شيعة أبرار وهناك شيعة ثوار، كما أن في عالم أهل السنة ما يشبه ذلك أهل السنة الأساسية وأهل السنة السياسية".

وهذان الطرفان في أهل السنة وفي أهل التشيع هما طرفا الإفراط والتفريط، وهما يعملان بعلم وبغير علم لدمار منهج التوسط والاعتدال في الأمة منذ الزمن القديم وهما أي:" هذان الطرفان" موقع الحركة للشيطان وأعوانه لإفساد واقع السلامة بين الشعوب والجماعات والدول، والمنظمات والكتل، والأحزاب والفئات، وهما أيضاً موقع الاصطدام المستقبلي المعد سلفاً لإنجاح الفشل المرتقب في الواقع الغثائي للأمة، وهما الصوت المدمر لسلامة شعوب الوحي القرآني في كل زمان"[٢].

وتحدث عن الجهات المتبنية لأطراف الغلو والتطرف لدى السنة والشيعة بعمق وشفافية، فقال:" ويتبنى هذا الموقف المتطرف ثلاثة أنماط من الأمة المنهوكة: "سياسي متآمر، وعالم متعصب، ومنتمٍ مستغفل" وبهؤلاء الثلاثة تنجح الخروقات والاختراقات

١- المرصد النبوي ، ١/ ٥٤ وما بعدها .

٢- إحياء منهجية النمط الأوسط، ص٩٠وما بعدها.

وتتجرع الأديان والشعوب غصص التحريف والانحراف والانهيارات ، وأساس الفتنة في هذه الأطراف الثلاثة امتلاك القرار أو المشاركة فيه سياسياً أو علمياً أو شعبياً"[١].

ويشخص مرحلة التحولات للعصر الحديث وما تلاها من تغيرات قومية محلياً وعالمياً، فيقول:" ولعل هذه المرحلة في بدايتها من حيث مشروعيتها السياسية في القاموس الإنساني مرحلة لابد منها للخروج من ظلام التخلف والجهل والنظام الفردي الاستبدادي كما يطلق عليه، أو هي عمل في مرحلة أخرى مسلح لطرد المستعمرين الغاصبين عن الأوطان العربية والإسلامية... أوهي أيضاً في مرحلتها الأخيرة مرحلة ارتباط وثيق بالصناعة واكتشاف الآلة واستخراج الثروات ومخرجاتها المتنوعة ، ولكنها في القاموس الأبوي الشرعي مرحلة غثاء تعكس انحدار الأمة نحو مسيرة "جحر الضب" أو هي مرحلة المؤامرات المحققة رغبة الشيطان بيد الإنسان سواء كان هذا الإنسان مسلماً أو كافراً.."[٢].

ويتحدث عن وسائل إنجاح هذه العمليات فيقول:" كما يجب أيضاً أن يستفاد في إنجاح هذه العمليات من الدين والديانة كعامل مساعد في تبرير المنطلقات السياسية والاجتماعية الجديدة أمام الشعوب الملتزمة بعقيدة الديانة والتدين حتى لا يفلت زمام الشعوب ضد السياسات التحريرية المبرمجة"[٣].

ويعلق في الحاشية على هذا الكلام فيقول:" هذا في شأن الاستراتيجية العامة مع الموروثات الشرعية في الأوطان المستعمرة ضمن هذه المرحلة أما عن الإسلام ذاته فكان لابد أيضاً من طرح الإسلام البديل القادر على خدمة الاستراتيجية العالمية وتوسيع دائرة التناقض الاعتقادي والتعدد داخل الجسم الإسلامي المهتوك فجاء لذلك دعم البرنامج السياسي الديني الجديد القائم على "نقض العرى وترسيخ مبدأي النقض والقبض" في العالم الإسلامي كمرافق ديني يوازي الاكتساح السياسي"[٤].

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٩١.

٢- الوثيقة، ص١٤٩وما بعدها.

٣- المصدر نفسه ، ص١٥٠ وما بعدها .

٤- المصدر نفسه، ص١٥١.

وتحدث عن المؤثرين في المرحلة بقوله: " فالمتحركون في مسيرة التحول والقابضون على زمام القافلة لا بد وأن يكونوا من سماسرة العمل النفعي لتنفيذ هذه المهمة... إنها مهمة تفعيل الصراع بين أهل الديانة والتدين لتنجر الشعوب خلف هذا التفعيل وتسهم في إشعال أوراقه حينا بالإعلام وحيناً في برامج الثقافة والتربية وبناء الأجيال وحيناً في الدفع بهذه الكتل المنفعلة للصراع على امتلاك القرار والسيطرة عليه بالحروب أو ما شاكلها من وسائل الهتك والفتك وبذل المال والرشوات وتسويق الإفك والحرام، وهذا ما نشاهده بأم أعيننا في ساحات العمل المعاصر في الرافدين وفلسطين وغيرها.." [١].

وهذا ما كان يشاهده في البلدين أما الآن فقد عمت الفوضى الخلاقة في أكثر من بلد عربي وإسلامي تحت مبررات مختلفة والهدف والغاية واحدة؛ ويدرك أن كثيراً من الكتاب يتناولون القضايا والأحداث بلغة مشطورة لتأثرهم بالثقافة المجزئة التي تلقوها في دراستهم الأولى في بلدانهم المجزئة أو في بلدان غيرهم التي منهجتهم وربتهم التربية التي تخدم سياستها الاستعمارية والتشطيرية فيقول:" لقد فات على كثير من الباحثين وحملة الأقلام تناول القضايا من المنظور الشرعي العلمي في الإسلام؛ ذلك لأنهم ولدوا وتعلموا وتثقفوا وتخرجوا وعملوا ضمن بؤر عربية وإسلامية مجزأة القرار في الحكم والعلم والأرض، بل ربما أكملوا دراستهم من ذات المناهج الاستعمارية والاستثمارية سواء داخل أوطانهم المجزأة أو من خلال البعثات العلمية إلى البلاد الأوروبية شرقية أو غربية .

والمستثمر لهذا الوعي المجزأ صانع قراره، وراسم خريطة استقراره وليس لديهم في واقع الوعي المركب أي موقع لعالمية الإسلام ووحدة قراره في العلم والحكم والأرض إلا من خلال الاستدلال بعالميته كحجة على الخصم ولا غير ، ولذلك فهم ينفذون سياسة التجزؤ ويعالجون قضايا المذاهب والجماعات والفرق بهذا الأسلوب الاستعماري المقيت، وهذا الأسلوب الاستعماري يسهم في تفجير المواقف ويضع منهم سادة قرار ورعاة مراحله ومرجعيات رؤية، أو فكرة ذات أبعاد.."[٢].

١- الوثيقة ، ص١٥١ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

ثالثاً: الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي

لقد انتهج الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في فكره وسلوكه وتعامله لأنه رضعها وعاشها كنموذج حي في أبيه وجده ومشائخه ورجال مدرسته، فلا غرابة أن تكون من خصائصه الفكرية والسلوكية والمعرفية ، وقد أنزلها إلى واقعه التربوي والسلوكي في تعامله مع أسرته وطلابه ومجتمعه ومتغيرات حياته وواقعه وتعامل بها مع من يحمل لغة الإفراط والتفريط من أبناء مدرسة التصوف الإسلامي وغيرهم من مدارس الإفراط والتفريط في قضايا السلوك والفكر والدعوة والمعاملة .

وتجاربه الواقعية والمشاهدة في هذا المجال كثيرة ومن هذه التجارب أنه كان ذات مرة في محافظة البيضاء، ونسق له طلابه ومحبوه محاضرة في مسجد من مساجدها وتم الإعلان عنها من خلال الملصقات الجدرانية واللوحات القماشية، فعلم بذلك بعض الإخوة السلفيين فحضر مع أتباعه إلى المسجد وهم يحملون السلاح، وتوزعوا إلى المسجد وفي الصف الأول وصعد بعضهم إلى المنبر وهو يحمل السلاح.

فحدث تحاور بين الحبيب والشخصية السلفية التي جاءت لتلقي محاضرة وكان تحاوراً اعتمد اللطف والوعي والعقلانية والمسؤولية والوسطية كمنهج سلوك فعرض عليه المحاضرة والإمامة فأبى وأجابه: بل تقدم أنت. ثم قام الحبيب وحاضر وأتاح الفرصة لغيره، فقام وتحدث.

يقول:" لم يخرج عما تحدثت به إلا أنه تغيرت الألفاظ فقط وإلا فالفكرة واحدة" . وبهذا السلوك الوسطي نزع فتيل المشكلة والفتنة التي كان يحملها هؤلاء؛ لأنهم جاؤوا يحملون السلاح.

وبعض المحبين للحبيب بحكم طبيعة البيضاء يحملون السلاح، وبعد ذلك قال أحد المحبين للحبيب: يا حبيب، بسلوكك هذا استحيت، وخزيت لحملي السلاح. فالوسطية من خصائصه الفكرية والسلوكية ومن منطلقاته الدعوية.

رابعاً: الإبداع والتجديد

لقد منحه الله عقلاً واسعاً وفكراً ناضجاً ورؤية شاملة للحياة وأدرك متطلبات حياته وأسرته ومدرسته وواقعه ومستقبل أمته، فعمل على إيجاد الجديد لما يتمتع به من لغة إبداعية ذات مدلولات واسعة، وإذا كان التجديد والتحديث من منطلقاته الفكرية كما سبق.

فالإبداع والتجديد والتحديث من خصائصه الفكرية والعلمية والمعرفية والسلوكية، وهذا ما نلمسه في كتاباته ولقاءاته وتقييم الأفكار والواقع والمتغيرات والأحداث والمفاصل التاريخية ونجد الإبداع فيما وهبه الله من مواهب شعرية وأدبية وفنية تشكيلية وغيرها.

خامساً: القراءة الواسعة

هذه الخاصية نجدها لديه في كتاباته التجديدية واستيعابه لثقافة المراحل والمتغيرات واطلاعه على أطروحات فكرية مختلفة وبلورتها في بعض كتبه، ونجدها في قراءته لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومواقف السلف الصالح من مدرسة آل البيت وغيرهم .

ونشهدها قراءة الأفكار والمراحل والمذاهب والتطورات لاسيما في ما يتعلق بالمفاصل التاريخية والتغيرات السياسية، وما يترتب عليها من مفاهيم ومواقف وأطروحات وتكتلات وفتن ومصائب ونراها في قراءة النصوص الشرعية والمواقف لأهل المواقف المرعية بسعة وتوسع، فالقراءة الواسعة والمتسعة كما هي منطلقه الفكري والعلمي والمعرفي فهي من خصائصه الذاتية والفكرية والعلمية، ونجدها فيما كتبه ويكتبه وفيما يحاور به طلابه وزائريه، فهو صاحب قراءة واسعة واطلاع واسع لما جرى ويجري ويحدث على الواقع.

سادساً: المصداقية في الكتابة والدعوة والسلوك والتقييم

من يعش مع كتبه وتحليلاته ومفاهيمه التي يطرحها ويعش معه في سفره وحضره ويتابع محاضراته ويتأمل سلوكه اليومي في بيته ومع طلابه ومحبيه وزائريه ، يجد المصداقية والواقعية والذوقية والقيمية والأخلاقية. لا يعرف الخداع الفكري والسياسي والمعرفي والسلوكي لا ذهنياً ولا سلوكياً؛ لأنه لم يترب على ذلك ولم يجد ذلك في آبائه وأجداده ومشائخه ورجال مدرسته عبر التأريخ إلى رسول الله ﷺ فلهذا عاش منذ بداية حياته على ثقافة الصدق والمصداقية والمراقبة لله في القول والكتابة والسلوك في البيت والأسرة والمجتمع ، والمصداقية صفة أساسية في حياة الدعاة والمصلحين والمجددين الحاملين هَمَّ الأمة المدركين لقضاياها والعائشين معها ومع تحولاتها والذين يحملون الإنقاذ لأمتهم، والعاملين على استقلالها فكرياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً وتربوياً وعلمياً.

فمن يحمل هذه المعاني في فكره ويعمل على إيجاد جيلٍ يحمل عنه هذا المشروع، لابد وأن يتصف بالصدق والمصداقية والشفافية والمراقبة وإلا فهو من جملة الكاتبين الذين يكتبون لمراحلهم من منطلق الاستهلاك وتمرير الواقع والمراحل وتبرير الأحداث والسقوط والسلبية والتزلف وتحسين الصورة القائمة والدوران فذلك الغير وسياسته وخططه وبرامجه.

سابعاً: المسؤولية

الإنسان مسؤول عن أقواله وأفعاله ومواقفه بين يدي مولاه وخالقه ، قال الله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]. ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٨]. ويعتبر شيخنا من الذين استرعاهم الله فكرياً وعلمياً وتربوياً على هذه الأمة، وقد تربى على المسؤولية نحو ذاته وأسرته وأمته، ولأنه تربى على ذلك فقد جسد المسؤولية في فكره وكتاباته وتربيته لذاته وخاصة بالمفهوم الخاص والعام لاسيما عند المتغيرات العالمية والإقليمية والمحلية، فلم يتخذ المواقف في أي شأن داخلي أو محلي من منطلق المراوغة والمخادعة والبيع والشراء والمساومة والتكتيكات السياسية كما هو معروف لدى معظم

السياسيين في مرحلتنا المعاصرة، بل كان يتخذ المواقف التي يمليها عليه الدين والقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية والمسؤولية فعلاً أو تركاً، ولم يكتب بقلمه شيئاً لم يؤمن ويقتنع به؛ لأنَّ تصرفاته وآراءه ومواقفه مسؤول عنها يوم لقاء مولاه وهو حريصٌ على ذاته من المستقبل الأخروي، وحريص على طلابه وذويه ومجتمعه، وحريص على مواقف منهج ورؤية مدرسته ذات التجارب المسؤولة في متغيرات الحياة عبر تأريخها وتأريخ رجالها الأمناء على الديانة والتدين والأمة .

وقد تعددت مسؤولياته في حياته وأثبت الجدارة في تحمله لها، فقد استشعر مسؤوليته عن الدعوة إلى الله فعمل على بلاغ رسالة الإسلام والدعوة إليها بقوله وفعله وحاله وكتاباته، واستشعر أنه مسؤول عن كشف التحريف والتزييف والمغالطات وسياسة القبض والنقض والتحريش والصراع والنزاع والفوضى فكتب في ذلك كتابات ، واستشعر أنه مسؤول عن النهوض بمدرسة حضرموت فعمل على ذلك وكتب كتابات وأنشأ أربطة متعددة، واستشعر أنه مسؤول عن كشف هوية المتغيرات والتحولات فكتب عن فقه التحولات وهويات المتغيرات لاسيما منها السياسية والإعلامية .

واستشعر أنه مسؤول عن ما يجري في واقعه وما يجري في مدارس التصوف وغيرها من الإفراط والتفريط فكتب وخطب وحاضر مبيناً خطورة الإفراط والتفريط على مدرسة التصوف على اختلاف طرقها وشيوخها ونماذجها وخطورته على الإسلام وعلى سماحته ويسره ورحابته وسعته وعالميته ومرونته ، واستشعر دور الإعلام وأثره في تكوين ثقافة الأجيال فأنشأ مجلة الجذوة والجذيوة والخويصة، واستشعر دور المؤسسات فأنشأ دور الزهراء ومركز الإبداع الثقافي ودار الغرباء ودار الحديث وكلية الوسطية الشرعية .

واستشعر المسؤولية التصحيحية والتجديدية نحو الذكريات والمناسبات وتأريخ الرجال فأعاد هذه الذكريات والمناسبات بلغة واعية تتناسب مع لغة العصر والمرحلة

وأبعدها عن ممارسة أهل الإفراط والتفريط، واستشعر المسؤولية الملقاة على عاتقه في خطر المتغيرات والتحولات التي حدثت في الوطن العربي والتي سميت بالربيع العربي فكان موقفه موقف المسؤول عن أمته وطلابه ومدرسته وقد نادى أهل اليمن في خضم هذه الأحداث، فقال:" يا أبناء اليمن، حكاماً وأحزاباً ومحكومين ورعاياً.. نحن أمة لا نتخذ قرارتنا ومواقفنا تبعاً للأحداث والتحولات، وإنما نتخذها بما توجهنا إليه الآيات والنصوص النبويات، ومن لا مرجع له في الأحداث من ديانته فلا أمل له في حفظه لأمانته، وقد صارت الأحداث في عصرنا ديناً وملة يقوم عليها الولاء والبراء والشهادة، مثلنا مثل الأمم التي خالفت كتبها السماوية وخالفت سنن أنبيائها الشرعية واحتكمت في صراعها واختلافاتها إلى السلاح أو التشاحن والصياح"[1].

ونجد المسؤولية لديه في دعوته لكافة الشرائح الاجتماعية والسياسية والجماعات إلى الخروج من دائرة التسييس، فيقول:" إن مسؤوليتنا الشرعية كأمة إسلامية تلزمنا أن ندعو الإسلاميين أولاً - كما يطلق عليهم اليوم- من كافة الأحزاب والجماعات والفئات والتيارات والتوجهات للخروج من دائرة البوتقة المسيسة والمبرمجة والمخندقة ضمن مسميات السياسية أو الديانة "قديمة أو حديثه" لتظل المسميات مجرد عناوين تعريضيه لا تكليفية، تعود معاً بإسلاميتنا العالمية ومصادرها الثابتة "الكتاب والسنة " لأحداث التثوير الشرعي بالعلم والقراءة الواعية لموروثنا الرباني غير منفصلين عن العلوم الشرعية الأخرى ومتفرعاتها، بل آخذين بها كمادة تأصيل علمي شرعي ومراجع معرفية ذات قيمة علمية وعملية تخدم الإطار الإسلامي الخاص في المذاهب والجماعات والفئات، ولا تكون حجة لأحد ضد أحد وإنما تنظم علاقات التعبد والأحكام الفرعية فقط"[2].

١- المرصد النبوي ، ١/ ١٠٣ .

٢- المصدر نفسه ، ١/ ١٨٠ وما بعدها .

ثامناً: المحبة والأبوة والرحمة لأمته ومجتمعه وأهله وطلابه

اتسم بالمحبة والأبوة لهذه الأمة بعمومها ولأهله وطلابه بالخصوص بل تعدت محبته للإنسانية كلها، ويتألم لما يحدث لها وما يصيبها من آلام ومتاعب ومصائب فهو يعيش مع قضايا الأمة والإنسانية ويحمل في فكره ودعوته ودعائه الخير لها ،وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية يحمل الشفقة والمحبة للإنسانية؛ لأنه منقذ لها مجسد خلق ومنهج النبي الأعظم ﷺ في دعوته فقد وصفه الله بأنه رحيمٌ وحريصٌ:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨] .

ويقول الله –جل شأنه– :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩] . ويقول الله عن رسالة سيدنا محمد ﷺ :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. ويقول رسول الله عن نفسه:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ "(١).

ومن منطلق الرحمة العالمية فقد حمل المحبة العالمية للإنسانية، وما كانت حركته الدعوية وكتاباته وأنشطته العلمية وإحياء المناسبات الإسلامية وذكريات التأريخ إلا محبة لهذه الأمة وتعريفاً لها بدينها وتأريخها ممتثلاً قول رسول الله ﷺ: « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »(٢).

إن قلبه النابض مملوء بالرحمة لعباد الله، المحب والمبغض والموافق والمخالف، والقريب والبعيد، والصالح والطالح، والصغير والكبير ،والرجل والمرأة، والأبيض والأسود، والغني والفقير، والمسلم وغير المسلم ؛لأنه يحب لهم الهداية والخيرية، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، وهذا هو خلق النبوة وخلق صاحب الرسالة ﷺ وهذه الرحمة تمثلت في قوله

---

١ – رواه الحاكم في مستدركه برقم (١٠٠) .

٢– رواه أبو داوود في سننه برقم(٤٩٤١) . والترمذي في سننه برقم(١٩٢٤)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

مناجياً ربه في قصيدته المسماة "دعاء المضطر للواحد الأبر" حيث يقول فيها:

وَأَعْظِـمْ ثَـوَابِي مَـا حَيِيـتُ مُضَـاعِفاً وَأَهْـلِي وَأَوْلَادِيْ وَمَـنْ حَـبَّ أَوْ شَـنِي

إنها الرحمة النبوية تَجَسَّدَها في فكره وحركته ، ونجدها في رعايته وعنايته الحسية والمعنوية لطلابه ومحبيه ومريديه، إن حضر أو غاب يسأل عنهم وعن أحوالهم لاسيما في مراحل المتغيرات والتحولات العامة والخاصة وأنا واحد منهم، فما وجدت في حياتي رعاية من قريب أو بعيد كرعايته لي وعنايته بي وسؤاله وبحثه عني - حفظه الله- لهذه الأمة بعمومها وخصوصها بمنه وجوده وكرمه... آمين.

إنه يحمل عقلاً بسعة العالم، وفكراً بسعة الكون، وقلباً بسعة الأرض يسع الموافق والمخالف، لم أجد شخصية ذات أبعاد فكريةٍ وعلميةٍ وتربويةٍ وتجديديةٍ كشخصية شيخنا الحبيب أبي بكر بن علي المشهور-حفظه الله- . إنَّ الولاية حبٌ ومودةٌ وشفقةٌ بالخلق في كل زمان ومكان، وقد تجسدت المحبة والسلامة والرحمة والأبوة في ذات شيخنا ودعوته وحركته وخطاباته وحواراته، ودعا إليها أمته ومجتمعه وأبناء جيله.

فالحبيب أبو بكر المشهور إذا أردنا أن نُعَرِّفَهُ التعريف العام والخاص إنه العقل الواسع، والقلب المحب، والروح النقية، والسلوك المتوازن، والفكر المتجدد، والرؤية الواعية والناضجة، والوجدان المملوء بالعاطفة الجياشة والمحبة الواسعة والمتسعة بسعة هذا الكون للإنسان، والصوفي الراقي في الجوهر والمظهر . إنَّ المسلم فضلاً عن الداعية إذا تحقق بالمودة والرحمة والشفقة والأبوة والأخوة تسقط في فكره وسلوكه المناطقية والحزبية والطائفية والتصورات التمحورية حول رؤى ضيقة، هذا ما جسده شيخنا الحبيب: أبوبكر المشهور في دعوته ومقالاته وكتاباته ومحاضراته ومراحل حياته الدعوية والتربوية، انظر إلى ما يقوله في كتاب الوثيقة تحت عنوان: "الحب والسلام والرحمة رسالة مدرستنا": يا أحبة، إنكم تنتمون إلى طريقة ومدرسة رسالتها الحب والسلام والرحمة ، كانت هذه الأسس هي عين الوجهة الصحيحة التي انطلقت بها هذه المدرسة، حيث إنها لا تنزع إلى الأطماع والرئاسات ولا تعمل من أجلها ولا تساوم أحداً في سبيلها، بل تنظر إلى الحطام ومظاهر الحياة الدنيا بمنظار نظر العاقل إلى وسائله التي يحتاج إليها، ثم يضعها حيث يجب أن توضع، وبهذا تمكنت

مدرستكم المباركة من الانتشار في أصقاع المعمورة دون الحاجة لاستخدام السلاح أو الضغط السياسي أو الاجتماعي أو الفكري أو الاقتصادي"[١].

تاسعاً: الحرقة الشديدة على هذه الأمة

لقد كانت منطلقاته في الدعوة إلى الله وكتاباته المتعددة وإعادة دور الأربطة وتأهيل الزوايا وعقد اللقاءات الدعوية والتعليمية والمؤتمرات العالمية التي دعا إليها وسفرياته إلى سريلانكا وماليزيا وإندونيسيا وإنشاء الدورات الصيفية في أكثر من محافظة وقرية في اليمن وإعادة حوليات الصالحين بلغة تجديدية واعية ، منطلقات حبه لهذا الدين ومحبته لهذه الرسالة وحرقته الشديدة على مصير هذه الأمة وبعدها عن رسالة الإسلام وهدي خير الأنام ﷺ ؛ وما يراه من عبث بالعقل الإنساني والفكر الإنساني والروح الإنسانية بواسطة التعليم المفرغ عن حقيقته والمتطور في مناهجه وما يوجد من انفصام بين المناهج التعليمية والحاملين لها مما أفرزته مؤسسات التعليم المعاصر وما تقوم به المؤسسات الإعلامية من تدمير للإنسان وما تخطط له دول الاستكبار العالمي والطغيان الأممي والاستعمار الشيطاني الإبليسي الأنوي وينفذه في الواقع التعليمي والسياسي والاقتصادي والفكري والثقافي لإيجاد جيل مدمر في ذاته فكراً وقلباً وروحاً ومدمراً لواقعه أخلاقياً وسياسياً ومعرفياً.

وكان من خطته "إنقاذ ما يمكن إنقاذه" في مجال التعليم والتربية والفكر والثقافة وإعادة مفهوم رباعية الأركان المتمثلة في: الإسلام كشريعة ،والإيمان كعقيدة، والإحسان كسلوك، والعلم بعلامات الساعة كمتغيرات. من أجل إيجاد التوازن بين الثوابت والمتغيرات، واكتمال الحقيقة الإسلامية والشرعية التي جاء بها سيد البرية ﷺ ،كل هذا؛ لأنَّ قلبه مملوءٌ بالمحبة وحرقته الشديدة على هذه الأمة . ونقف حول تألمه على أمته، حيث يقول:" فالأمة في خطر محدق ،والديانة والتدين في شتات وتمزق، والجميع يحفزون بوعي وبغير وعي نحو مسارات جحر الضب في الاتجاه الإجباري طوعاً وكرهاً"[٢].

١- الوثيقة، ص٣٦ .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٢.

إنه يحمل هم الأمة والإنسانية بجدارة ووعي وعقلانية وليس بعاطفة وسذاجة وسطحية، ومن منطلق " صفة الشرعية الإسلامية الثابتة في النصوص " وليس بيانات ومواقف وأجندات الجماعات المتناحرة في البنيان الاجتماعي غير المرصوص، ولنا معه في المرحلة المعاصرة قواسم مشتركة في السكون والحركة وضابط العلاقة ساعة الخوف أو ساعة الأمان، فالقواسم المشتركة قاعدة من قواعد الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي مع كل الأطياف المتحركة والساكنة والقوى الحاكمة والمحكومة في المجتمع الواحد والأمل الواعد، فأمر المسلمين من وجهة نظر الإسلام "شرف الديانة" وهي قاسمنا المشترك في المراحل المتحولة مع كل الأطياف والأمم، وهي أيضاً قاعدة وسطيتنا الشرعية واعتدالنا الواعي ، وهي أيضاً ورقتنا العلمية والعملية التي نراها تحل المشكلة القائمة بين "القوى المتعارضة" ولا نرى غيرها حلاً جذرياً ولا أملاً حقيقياً يبلغ بنا وبهم بر السلامة والأمان"[١].

إنَّ هم الأمة والإنسانية بكليتها على اختلاف مذاهبها ومشاربها وتصوراتها وميولاتها السياسية والحزبية والمذهبية أصل من أصول عمله الدعوي، ومنطلق هام في سلوكه العملي والحركي والتعليمي ونشاطه الثقافي والفكري.

عاشراً: التحليل العميق والواعي للأحداث والمتغيرات وقضايا المرحلة المعاصرة

لقد وهبه الله العقل المستوعب لمجريات التاريخ ومتغيرات المراحل وفقه هذه المجريات والمتغيرات فقهاً عميقاً وواعياً، واستطاع أن يدرك خفاياها لاسيما المعاصرة منها وإن كان بعيداً عن مواقع السياسة ودورها ومؤسساتها المحلية والعالمية والإقليمية، لكنه يعيش معها ومع فصولها بعقله الواعي، وفكره الثاقب، وقلبه المحب، والنابض بمحبته للأمة، ووجدانه المستنير، ونور بصيرته الكاشف لحقيقة ما يجري، ورؤيته التجديدية الممنوحة له من قبل مولاه وخالقه، وإحساسه العميق بقضايا أمته، وإدراكه لخطط أعداء الإسلام وبرامجهم

١-المرصد النبوي ، ١/ ١٥٣ وما بعدها.

وسياستهم وأساليبهم المتعددة والمختلفة والماكرة المعتمدة على "فرق تسد" المتمثلة في سياسة التحريش والكبر والعنجهية والغطرسة والسيطرة المنطلقة من ثقافة الأطماع وسياسة التوسع والاتساع .

ونقف بكم مع رؤيةٍ تحليليةٍ عميقةٍ من تحليلاته للمرحلة ومتغيراتها، حيث يقول:" إنَّ الجهل والسطحية والسذاجة في مسألة "المواقف الإسلامية" قد كلفتنا - نحن المسلمين- ضرائبَ ومدفوعاتٍ معنويةً وماديةً كبيرةً ، ولم يتهيأ لعدونا العالمي تركيع عقولنا وأدواتنا لخدمته ثم تركيع شرفنا وديننا لبرامجه إلا أننا في كافة المراحل المتقلبة والأوضاع المتحولة نعالج الأمور بمنظور قاصر أساسه السطحية والتواكل؛ والسطحية والتواكل تركة روضت عليها الأمة الإسلامية خلال مراحل الحكم العضوض؛ المسيطر على مقدرات الإنسان المسلم، ثم استثمرتها القوى العالمية استثماراً استراتيجياً شمل نماذج الحياة كلها"[(١)].

ويحلل سياسة العدو في إعادة تركيبه للعقلية المسلمة من خلال التناقضات واختيار الرموز المنفذة لسياسته، حيث يقول:" إنَّ العدو المتربص قد أبدع في إعادة تركيب الإنسان المسلم؛ ليصبح مصدر قلق لنفسه ولغيره من خلال دراسة التناقضات والمتناقضات كما أبدع في السيطرة الفوقية داخل الواقع الإسلامي باختيار الرموز الممسوخة عن لب الشريعة الإسلامية المنفذة برنامج السيادة الأجنبية مقابل السلطة والمال والشعبية الغوغائية"[(٢)].

ويتحدث عن التغيرات والتحولات بقراءة عميقة وتأثر الأجيال بها وتضحيتهم في سبيلها وأثارها في اجتثاث جماعات وفئات وتنظيمات وأنظمة فيقول:" لقد انتحر العشرات من منسوبي الوطن الإسلامي في سبيل الثورات والانتفاضات والانقلابات والتحولات، ويتبنى برامج الديمقراطية والاشتراكية وغيرها من المسميات الإعلامية؛ لتحقيق المجتمع المنشود والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي الموعود.

واقتلعت هذه القوى الحركية من أرض الواقع المحلي والعالمي "وجماعات وفئات ودويلات" كانت تمثل وجهاً من أوجه الفساد وصورة من صور التخلف والتحجر

١-التنصيص المثبوت ، ص٤٤ .

٢- المصدر نفسه ، ص٤٤، وما بعدها .

والانطواء كما يقولون ،ونشأ بين المراحل والتقلبات سلوكٌ فريدٌ وقاموسٌ اجتماعيٌ جديدٌ ومصطلحاتٌ فكريةٌ ودينيةٌ جديدةٌ كلها تصب في قالب السياسة العالمية "فرق تسد" وتجيشت الفئات المنظمة في سبيل محاربة المسلم لأخيه المسلم واجتثاثه من خريطة الوجود الفكري والاجتماعي وحيناً من الوجود البشري كله. نعم... هناك عدوٌ ماكرٌ مخادعٌ يستغل كل أسباب الحضارة في سبيل خدمة الكفر والانحراف، وهنا مسلمٌ جاهلٌ سطحيٌ متواكلٌ لا يعي حتى مصلحة نفسه وولده فضلاً عن مصالح الحياة الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والثقافية والسياسية"[١].

ويتحدث عن الأنظمة الغثائية وسياسة إبراز وإيجاد الإسلام الذي يتناسب مع الغثائية بحيث يكون هذا المسلم ملتزماً بما تقوله أنظمة الغثائية فقد تهيأ في واقع الأنظمة الغثائية برنامج إسلامٍ غثائي متدهورٍ متناقضٍ. أكبر ما يدركه مسلمُ النظامِ أنه عنصرٌ في مجتمعٍ معينٍ يلزمه القانونُ من أجل أن يعيش في سلام: أن يكون دينه وعقيدته دينَ وعقيدةَ النظام، وحلالُه وحرامُه حلالَ وحرامَ النظام، وشرفُه وعزتُه شرفَ وعزةَ النظام، وحاضُره ومستقبلُه حاضرَ ومستقبلَ النظام.

ومع هذا وذاك فالغالبية المتأثرة بهذه الأنظمة والعاملة فيها لا تعرف كيف نشأ هذا النظام أو ذاك ولا تعلم على أي قاعدة فكرية يرتكز الاتجاه والهدف للنظام.

بل ويرى السواد الأعظم في شعوب الأنظمة أن المتعرض لهذه المسألة بالتحليل والتفصيل قد تجاوز الحدود المشروعة وتدخل فيما لا يعنيه؛ ولهذا فمن البديهي قطعاً أن يلغي ما لا يرضيه"[٢].

ويتحدث عن العقول الإعلامية المروضة والمريضة والمستسلمة التي تبرر لمراحل التذويب والتعليل والقبول لبرامج الآخر فيقول:" إنَّ هذه العقول الإعلامية المستسلمة بعد أن روضها "البرنامج العالمي" عبر المراحل صارت منعدمةَ الشخصيةِ، ممسوخةَ الهويةِ، ولهذا تمكن المبرمجون الأذكياء من مواصلة الزحف الحرام وعقول أهل الإسلام مرة بعد

١- التنصيص المثبوت ، ص٤٥.

٢- المصدر نفسه ، ص٤٦.

أخرى حتى تهيأت أجيالٌ معاصرةٌ تحملُ الهمَ الكبيرَ، وتقوم بخدمة "البرامج العالمية" وهي لا تعلم حقيقة السياسة الخفية الماكرة، بل قد يكون هذا العقل السطحي المستخدم على حال من الاستقامة الدينية والنزاهة العلمية والعملية، ولكن قد انفصم عنه الوعي وبعد الإدراك، وقصر في ذهنه التصور العالمي للإسلام ومواقفه واختلط عليه فهم المعنى العام من إشارات القرآن" خطر موالاة الكفار أو تنفيذ براجمهم"[١].

ونجده يحلل المتغيرات المعاصرة والتحولات السريعة في المنطقة العربية والمسماة بثورات الربيع العربي على الأنظمة العربية ودساتير الحكم فما "شهدناه من ثورة الشعوب على قوانين الحكم في بعض الأنظمة العربية المعاصرة مع دساتير أجمعت الشعوب ذاتها في مرحلة ما على سلامتها وثباتها وجدارتها وأدت دورها المرحلي في خدمة الديمقراطية المزعومة "الإله الوهم" وتخلى المتطرفون العالميون أنفسهم عنها ساعة سقوط قيمها واعتباراتها متخذين من "فقه المبررات والمغالطة" ملهاة للشعوب الهادرة والعقول الحائرة، ولا بد أن يجتمع المهندسون والعقلاء المرحليون لاتخاذ إصلاحات وإضافات ومحذوفات تتناسب مع الزخم الجديد والإصرار الأكيد ويبارك الزعماء العالميون إرادة الشعوب ويدينون عملاءهم المرحليين رغبةً في احتواء المرحلة المستجدة لإنجاب عملاءَ من نموذجٍ جديدٍ لاستثمار مفيد"[٢].

ويزيد الأمر وضوحاً وتوضيحاً بلا انتقاص لمطالب الشعوب فيقول:" وهذا لا يعني استنقاص ثورة الشعوب ومواقفهم وإنما هو تقرير الآلية التي تفرضها الظروف عليهم بحيث تفشل أنظمتهم الوضعية في تلبية الحاجات الملحة فيبحثون عن الحل دونما خطط تشخيصية شرعية مما يؤدي بالضرورة إلى عودة المشكلة مرة أخرى بعيد انتهاء صفة الحماس المرحلية لتعود الكرة إلى ملعب المستثمرين النفعيين مرة أخرى وأخرى، وأخرى إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً"[٣]. ولأنَّه يقرأ الواقع ويحلله تحليلاً عميقاً وواقعيا فهو يرى أنَّ

١- التنصيص المثبوت ، ص٤٦ وما بعدها.

٢- المرصد النبوي ، ١/ ١١٣ .

٣- المصدر نفسه ، ١/ ١١٣.

مثل هذا التحليل يرفضه دعاة التغيير المنفعل فيقول:" إنني أعلم يقيناً أنَّ مثل هذا التحليل لا يروق لدعاة التغيير، بل ربما حملوا ثائرة التصنيف على حامل الفكرة ومروجها، ووصفوه في زاوية من زوايا التهم المألوفة"[١].

وأرى أنَّ مثل هؤلاء الذين يضعون المحللين الذين لا تعجبهم تحليلاتهم للواقع ويريدون أن تكون التحليلات خادمةً لفكرهم وميولاتهم، أنهم سطحيون في فكرهم، وإلا لما وضعوا من يخالفهم في زوايا لهم.

ويتحدث بمنهجية موضوعية حول حماس الشعوب وأنَّه ينبغي أن يدرس هذا الحماس فيقول:" إنَّ حماس التغيير لدى الشعوب أمرٌ جديرٌ بالدراسة والاهتمام، ولكن لا ينبغي أن يَسْتَثْمِرَ هذا الحماسَ مستثمرو المراحل ومسيسو الفصائل مرة بعد أخرى؛ لنصبح مع كل مفصل تاريخي نندفع إلى هدم ما بنيناه بأيدينا والبدء مرة أخرى من نقطة الصفر الأولى"[٢].

ويسأل سؤالاً هاماً حول الفوضى الخلاقة، وهل نحن نعيشها ؟ وما دور العرب والمسلمون فيما يجري ؟ وهل لهم مشاركة فعالة ومؤثرة في الواقع ؟ وهل خططوا لما يجري اليوم ؟. فيقول:" إنني أضع هنا سؤالاً هاماً وسأجيب عليه: كم سمعنا وقرأنا عن "برنامج الفوضى الخلاقة" الذي تبنته القوى الدولية خلال مرحلة العولمة، فهل ما تشهده البلاد العربية اليوم وغداً هو جزء من هذا المشروع؟، أم هو مشروعٌ شعبيٌ خالصٌ لا علاقة له بالمشروع المشار إليه؛ متى خطط العرب والمسلمون أمراً ونفذوه وصار جزءاً من هويتهم التاريخية ومواقفهم الوطنية ؟. كلنا يعلم أنَّنَا منذ سقوط قرارنا الإسلامي العالمي في تركيا الخلافة لم يعد لنا تخطيط ولا تنفيذ، لا حكوماتٍ ولا شعوباً ولا منظماتٍ ولا أحزاباً"[٣].

ويشخص مرحلة الصراع الدموي في المنطقة فيقول:" وكل ما نجتمع عليه هو دموية الصراع الحدودي والطائفي والحزبي والطبقي والسياسي كما شهدناه على مدى المراحل السابقة والمراحل المعاصرة؛ لأنه جزءٌ من استراتيجية السياسة الدولية المبرمجة، وإذما ارتقى

١- المرصد النبوي ، ١/ ١١٣وما بعدها.

٢- المصدر نفسه ، ١/ ١١٤ .

٣- المصدر نفسه ، ١/ ١١٧،

العقلاء منا في المدركات المرحلية ربما رفعوا أصوات القومية العربية وتنادوا من أجلها منفصلة عن اللحمة الإسلامية العالمية، وهي الدعوة التي تبناها الأحرار القوميون فيما بعد تقسيم تركة الرجل المريض وتجزئة الوطن العربي والإسلامي الواحد"[١].

ويتابع أسئلته الصريحة حول ما يجري في المنطقة من حماس للتغيير فيقول:"إذاً والحالة كذلك..فماذا ننتظر من "حماس التغيير وآلية التفكير.."؟.

هلْ هُنَاْكَ آليةٌ عربيةٌ إسلاميةٌ ؟.

هلْ هُنَاْكَ آليةٌ قوميةٌ إقليميةٌ ؟.

هلْ هُنَاْكَ آليةٌ شعبيةٌ محليةٌ ؟.

هلْ هُنَاْكَ هدفٌ استراتيجيٌ وغايةٌ وقاسمٌ عالميٌ مشتركٌ ؟.

وإذا لم تكن هناك إجابة: فالإجابة في فقه التحولات وما أشارت إليه أحاديث علامات الساعة من تداعي الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها ، ونحن قد صرنا رغم كثرتنا في الساحات والاعتصامات والمظاهرات وفي أروقة الجامعات والجمعيات والأندية والملاعب والجماعات "غثاءً كغثاءِ السيل"[٢].

ونجده يحلل المرحلة التي نحن الآن فيها من خلال الأحداث والمتغيرات (الربيع العربي) بدقةٍ وعمقٍ، فيقول:" لقد ارتفعت أصوات الانفعال والجدال والتحدي بين الأمة في كل مجال، ولم يبق للشيطان سوى ترتيب مراحل التصادم والقتال ، وترتيب هذه المراحل يسير حثيثاً وفق خطوات الشيطان في الفتنة بين المصلين في جزيرة العرب وخارجها والمتحمسون لمعارك الانتصار الربيعي في مصر ومالي، وما سبقها من المسرحيات في اليمن والصومال والعراق وتونس وغيرها، وما يعيشه الشام من الهتك والفتك والموت الجماعي الموعود به في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ نقول لهم : إنما هي أقنعةٌ ملونةٌ على وجوه الضحايا المخدوعة لا يتعدى حماسُها التربعَ على كراسي الحكم الدوار، ووضع اليد على

١- المرصد النبوي ، ١/ ١١٧.

٢- المصدر نفسه ، ١/ ١١٧ وما بعدها.

مفاصل القرار دون القدرة على صنع عوامل الاستقرار استتباعاً لمشروع الفشل المتكرر جيلاً بعدَ جيلٍ دون عمقِ نظرٍ وحسنِ قراءةٍ لهذا التكرار"[١].

الحادي عشر: العقلانية المتوازنة

لقد أعطى مساحةً واسعةً للعقلِ والعقلانيةِ في كتاباته، كما أنه أعطى مساحةً كبيرةً للروح وتزكيتها فيما كتب وفيما خاطب به الأمة وذويه من طلابه ومحبيه، فهو يدرك قيمة العقل والتعقل والعقلانية فيما يطرح، ويدرك أهمية ذلك في جوانب متعددة سواءً منها الجانب الشرعي أو الجانب الدنيوي والسياسي الوضعي في إدارة الحياة وتقييم المتغيرات وإدراك ما وراء الأحداث والتحولات وقضايا الفكر والعقيدة ، وقد منحه الله عقلاً ندرك نحن من خلاله التعقل في المواقف، والعقلانية في الطرح والتحليل، وهذا ما وجدناه فيما يطرحه فهو بين رؤيتين في هذا المجال: بين الرؤية التي ألغت العقل ودوره ولم تنشطه فيما تقرأ من أحداث ونصوص وفيما تتخذه من مواقف، والرؤية التي أعملت العقل في كل شيءٍ وأغفلت نصوص الشريعة في سلوكها و حياتها، وقيمت الأحداث والقضايا والمتغيرات من منظور العقل فقط مهملة النص ودوره؛ لكنه وَقَفَ بين هاتين الرؤيتين الموقف الإسلامي لأنه يتمتع بالعقلانية المتوازنة، والعقل الواعي، والتعقل السليم والمسؤول ورؤيته هذه مستقاة من المنهجية الإسلامية، يقول:" فالإسلامُ دينُ إعمالِ العقلِ كما أنَّه دينُ سلامةِ القلبِ وهو دينُ التعرضِ للأسباب والأخذ بها كما أَنَّهُ دينُ التوكلِ والاعتمادِ على الله، وقد تداخل مفهوم هذه الثوابت لدى المسلمين اليوم حتى صاروا يفسرون الأمور على غير حقائقها.

صاروا يعتقدون أنَّ كلَّ شيءٍ سيتم في هذا الوجود دون أن يكون للإنسان دورٌ فيما أمره به ودعا إليه "الزمان وواجباته" والحقيقةُ أنَّ أمرَ الله ماضٍ في الوجود ، وله الأمرُ مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ ، ولَهُ الأمرُ كلُّه:﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ ﴾ [هود: ١٢٣]. ولكنَّ نمطَ التوكلِ المحمودِ أن يستفرغ الإنسانُ الجهدَ ما استطاع؛ لأَنَّه جزءٌ من أمرِ الله وقضائه وقدره،

١-المرصد النبوي، ١/ ١٩٥ وما بعدها .

وهو أيضاً تحريكٌ للأسباب وأخذٌ بها بشاهد قوله ﷺ للأعرابي:"اعقلها وتوكل"[١] . والذين يأبون الأخذ بالأسباب يفتحون باباً واسعاً لتدخل الشيطان وحصد النتائج لمصلحة المدرسة الأنوية، بل إنَّهم قد يتحدثون عن الأمور وفق منظور العقل القاصر ولا يحللون نشأة الأمور ودوافعها، ومن وراء العقل والحركة المستحبة شرعاً"[٢].

ويتحدث عن دور العقل في التفاعل مع الأحداث والمتغيرات والرموز وأنَّه لا ينبغي أن يتأثر الإنسان بالمتغيرات والأحداث والرموز، بل لابد من دراسةٍ عقلانيةٍ واعيةٍ، فيقول:" إنَّ التفاعل مع التحولات والتغيرات الكائنة في محيط العالمين يجب أن تتسم بالعقل المقيد بالعلم، وأن يكون المسلم على غاية من التوازن وعدم الاندفاع ، ويكفي إرسالاً للعواطف وتسخيراً للمواقف ، وإذا لم ندرك ما وراء الحركة فإنَّ علينا ألَّا نشارك في ظواهرها وإشعال أوراقها لأنَّ التثبت من صفات المؤمنين:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[إبراهيم: ٢٧]"[٣].

ويتحدث عن العاطفة البعيدة عن العقل فيقول:" نَعَمْ، إنَّ العاطفة الجياشة بطبعها تجعل المسلم في مثل هذه المرحلة ينحاز أو يشجع رمزاً قومياً أو حزبياً أو حاكماً لما قد يراه فيه من الرجولة والشهامة والمواقف ذات العلاقة بموقعه المؤثر فلا غبار على هذا الإعجاب ولا خطر في ضرب المثال باعتباره نموذجاً متميزاً في مرحلة الاغتراب، ولكن لا يتعدى ذلك إلى المراهنة باسم الإسلام أو بوضع الرمز أملاً إسلامياً منقذاً أو علامةً من علامات الانفراج المنتظر في الموعودات الشرعية"[٤].

ويرد على الذين يعتقدون أنَّ الإسلام لا يعترف بالعقل الإنساني بأصرح عبارة فيقول متحدثاً عن المدرسة الأنوية في قراءة التاريخ وتفسير العقل الإنساني للظواهر:" وحتى لا يعتقد الكثير من الناس أنَّ الإسلام لا يعترف بالعقل الإنساني وتفسيره نؤكد هنا أنَّ

١- رواه الترمذي في سننه برقم(٢٥١٧) . وفي المستدرك بلفظ (قيدها وتوكل).

٢- الوثيقة، ص ٦٩ وما بعدها .

٣- المصدر نفسه ، ص٧١ .

٤- المصدر نفسه ، ص٧١ وما بعدها .

الإسلام يعتبر تفسير العقل الإنساني للظواهر وتعليلها أحد فروع علوم الديانة وشرطاً من شروط المعرفة فيها، ولكن ليس بديلاً عنها، بل إنَّ الآيات الكثيرة في القرآن إنما تخاطب العقل الإنساني كي يستقرئ الظواهر ، ويفسر الحوادثَ ، ويلاحظ الآياتِ كجزءٍ من وظيفة العقل البشري والحياة للنظر في خلق الله"[١].

ولكنه يتحدث مستدركاً بحديثه عن العقلانية المجردة من الانضباط بالوحي وأنها عقلانية أنوية انحرفت بالإنسان وجعلته إنساناً مدمراً فيقول:" فالعقلانية المجردة سياسة المدرسة الأنوية الإبليسية في العالم وهي المسؤولة عن الانحراف التاريخي منذ عهد تحول "قابيل" عن المنهج "الأبوي الشرعي" إلى "المنهج الأنوي الإبليسي" وبها انتقلت المعركة من إبليس وآدم إلى الآدمية ذاتها تحت رعاية "الوسواس الخناس" رائد المدرسة الأنوية العالمية وتسلسل النشاط الأنوي الإبليسي على أيدي الكفرة الجاحدين عبر القرون ومن أصيب بدائهم وعلتهم ولو كان مسلماً"[٢].

ويتحدث عن دور الإسلام في تهذيب وتشذيب العقل ومهمته وتجرد العقل من منهجية الإسلام وتفاعل الطباع فيقول:" فالإسلامُ تهذيبٌ للطباع ،والعقلانية تثير الطباع، وإذا ما مُزِجَ الإسلامُ بضابط العقل الواعي وضبط العقل بتهذيب الإسلام المشروع، برزت القيم والأخلاق واشتمت الشعوب الألفة من ألسنة العلماء والدعاة لعظمة الأهداف التي يعملون معاً من أجلها ولكن الصنف الإسلامي الواعي قليلٌ من قليلٍ وغالب التركيبات الهيكلية فيه يحركها المتنفذون في حياة الشعوب، يبدو أنها تعارضت لانتكاسة معينة أخرجت أَزِّمَةَ الإسلام الشرعية عن موقعها الريادي، وأحلت محلها نماذج الطبيعة الوضعية المصنعة، وتحول الإسلام بهم من هدفٍ سام لعلاج الشعوب إلى برنامج عمل في تفريقها وإشعال أحقادها وإثارة خلافها و إختلافها"[٣].

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص١٤١ .

٢- المصدر نفسه ، ص١٥١ .

٣- المرصد النبوي ، ١/ ١٨٩ وما بعدها .

الثاني عشر: الناقد الباني والمحب المتفاني

إنَّ النقد في فكر الحبيب أبي بكر بن علي المشهور- حفظه الله- يتسم بالموضوعية العلمية أولاً، وبالحكمة ثانياً، وبالشفقة والمحبة ثالثاً، فليس التشهي ولا التعالي ولا الحقد ولا الأنانية ولا الاستنقاص ولا الظهور منطلقاته في نقده، إنَّ المُعْلَمَ الأساسيَّ في نقده هو تصحيحُ المسارِ للفرد والجماعة والمجتمعات والفئات والتنظيمات والأنظمة والشعوب الإنسانية وترميم الخلل الموجود في واقع الأمة عموماً وواقع المدارس التقليدية والطرق الصوفية والجماعات والحركات الإسلامية خصوصاً ، وكثيراً ما يتسم نقده بالعموميات دون التناول للجماعات وغيرها بالأسماء، ويتناول الأخطاء والسلوكيات مع التصحيح المطلوب شرعاً وعقلاً و لا يحب المهاترات النقدية، وإذا نقد فكرةً أو تصوراً لبعض الشخصيات فلا يتناولها بالاسم وهذا كثير، وله كتابات في هذا المجال فهو بحقٍ ناقدٌ بناءٌ ومحبٌ متفانٍ، فنجده يعترف بوجود أَزْمَةٍ لدى المنتسبين إلى المذاهب الإسلامية وينتقدهم فيقول:" إنَّ أَزْمَةَ المذهبية بدأت مع بداية ظهور المدرسة الحديثة، مدرسة المنهج الحكومي الانتقائي، المدرسة التي لا ترضخ إلا للسلطة وبرامجها وقد ظهرت هذه المدرسة مع ظهور الاستعمار الغربي في العالم الإسلامي"[1].

والاعتراف بالخطأ بدايةٌ صحيحةٌ لتصحيحه ويتحدث عن الشذوذ لدى بعض المذهبين بنقدٍ واعٍ، فيقول:" وأمَّا الناظرون إلى الشذوذ فسيجدون من هؤلاء المذهبيين مَنْ يتعصبُ لرؤيته وقوله وتقريره حتى يجعل طريق الجنة من باب مذهبه. وهؤلاء لا يمثلون عالمية الإسلام، وإنما يمثلون ضيقَ مفاهيمهم وحرج صدورهم :﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٥]"[2].

ويعترف بوجود سلبيات لدى المتصوفة والاعتراف يتضمن النقد فيقول:" والصوفيون

١- الأطروحة ، ص٢٧ .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٩.

عليهم مآخذُ وعللٌ كما لهم محاسنُ ومناقبُ"[١].

ويتحدث عن سبب الصراع لدى الصوفية مع غيرهم وبصراحة قوية لتشخيص المرض فيقول:" وعلة الصراع حول التصوف قديماً وحديثاً ناتج عن بؤرة التعصب للأهواء في الصوفي ومعارضيه"[٢].

وبقراءته التاريخية العلمية للتصوف الإسلامي يتحدث عما أصابه من ضعفٍ وانحدارٍ، حيث يقول:" والحق يقال إنَّ مدرسة التصوف الإسلامي اليوم انحدرت وضعفت كثيراً عمَّا عليه السلف الصالح منهم، بل دخل على كثيرٍ من طرق الصوفية إفراطاتٌ وتفريطاتٌ تشوه المنهج الصوفي كلَّه، وزاد الطين بلةً سياسةٌ الغربِ والشرقِ في العالم الإسلامي، فهي المسؤولة عن تمزق وحدة الإسلام الفكرية كلها عبر القرن الماضي والحالي، وهي أيضاً راعيةُ الصراع العقائدي المباشر بين شيوخ المؤسسات الفكرية المناهضة للصوفية والمذهبية، وهي المستثمرة الفعلية لثمرات هذا الصراع والنزاع حيث لا يعود على الإسلام بشيء غير خدمة العدو المتربص بالجميع"[٣].

وبمنهجيةٍ موضوعيةٍ يرى أنَّ هناك إفراطاتٍ ولكنها ليستْ حجةً على المنهج، والممارسون لها ليسوا حجة عليه أيضاً، يقول:" وليس التصوف في منهجه المستقيم مسؤولاً عن إفراطاتهم أو إفراطات أتباعهم، بل لا يعدون في منهج الأخلاق الإسلامية قدوة يقتدى بهم فيما ثبت عنهم من شذوذٍ قوليٍ وفعليٍ؛ لأنَّ العلاقة بالمنهج لا تفسده أعمالُ الشواذ فيه"[٤]. وينتقدُ الحزبيةَ بلطفٍ ومنهجيةٍ عقليةٍ متوازنةٍ فيعتبرها إبصارَ ضيقٍ حيث يقول:" والحزبية كلها إبصارُ ضيقٍ في حياة المسلم وهو من وجهة نظرنا قيدٌ ضدَ عالميةِ المسلمين وشمولِ دعوتهم"[٥].

١- الأطروحة ، ص٣٠ .

٢- المصدر نفسه، ص٣٠ وما بعدها .

٣-المصدر نفسه ، ص٣٣ .

٤- المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

٥- المصدر نفسه، ص٣٨.

ويتحدث عن سلبية الحزبية وإيجابيتها وانطواء الإسلاميين فيها حيث يقول:" وكان من ثمراتها الإيجابية ترسيخُ المفهوم الحركي في الإسلام، لكن نتج عنها معالجةُ الأمور السياسية بالعنف والإرهاب، واحتدام الصراع بين الجماعات والفئات المتحزبة بما لم يسبق له مثيلٌ في التأريخ ، بل انفجرت صراعاتٌ داميةٌ بين الحزبيين كشكلٍ حركيٍ متطورٍ، وبين أصنافِ الحكمِ التقليدي في العالم الإسلامي والعربي ، وجاء نظام الثورات والانقلابات والاغتيالات وزعزعة الاستقرار"[١].

ويتحدث بموضوعية واضحة في هذا المضمار يقول:" لا نغفل قيمة الحزبية من حيث كونها تجيشاً مرحلياً يسهم في لفت نظر المسلمين إلى الإسلام، ولكنها لا تمثل الحل ولا تحمل أسبابه، بل هي برنامج فكري وسياسي له علاته ونواقضه ونواقصه ،وله من الإيجابيات نمط محدود معين يمكن لنا من خلاله التعرف على أفراده ورجاله ضمن الحزب أو الفئة، أن نعمل في إبصار القواسم المشتركة بالحكمة والموعظة الحسنة والخدمة الخاصة والعامة لأمة الإسلام وفق ضوابط الإسلام الشاملة"[٢].

ففي هذا المقطع تعامل بموضوعية تامة حيث اعترف للحزبية بإيجابيات كما نقدها ولها علات ونواقض ، كما أنه بالإمكان أن نلتقي مع أفرادها على قواسم مشتركة وبهذا يكون النقد بناءً لا هداماً.

ونجده ينتقد الفكر السلفي بلا تشريك ولا تبديع ولا أحكام مسبقة لتأثرهم بالأسلوب الانفعالي والإعلامي واهتمامهم بأسلوب النقض وتأثرهم بالفكر الأحادي "فمن علاماتهم من لا يقبل العلم ولا الفتوى إلا من شيوخ يعدون بأصابع الكف الواحدة، ولا يثقون في عالم إسلامي مهما كان علمه ومقامه وزهده وتقواه، ولهم مقولاتٌ وتخرصاتٌ وتحرشاتٌ في الواقع الإسلامي المعاصر يهدمون الأبنية الفكرية المتوارثة ويعالجون انحراف المجتمعات والأنظمة بأساليب انفعالية وقرارات قتالية"[٣].

١- الأطروحة ، ص٣٧ .

٢- المصدر نفسه ، ص٣٩.

٣- المصدر نفسه ، ص٤١.

وينتقد الحكام بمنهجية واعية ليست انفعالية تكفيرية دموية، فهو يرى مناصحتهم وعدم مشاركتهم في ظلم أو تعدي أو طغيان ولا يرى الخروج عليهم ما لم ير منهم كفراً بواحاً، فعند ذلك يتخذ الموقف المناسب ولكنه يرى أنَّ الحكم وسيلةلإ وثغرة لتدخل الآخر في شؤون الأمة، وطريق ينفذ منها لتنفيذ سياسته، يقول:" لقد كانت ثغرة الحكم والحاكمية هي أوسع منفذٍ سلبيٍ دخلتْ منه بؤرةُ التفرقِ والانقسام في العالم الإسلامي كلِّه وهذه الثغرة هي المسؤولة الأولى عند المحاسبة"[١].

ونجد نقده الواضح لنظرتين تمثلان الإفراط والتفريط في قضية آل البيت :فهناك نظرة تقول أنَّ لهم منزلة لا يبلغها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ وأنهم نورٌ وليسوا بشراً، انحدر نورهم من سيد البشر ﷺ .

وهناك نظرةٌ لا ترى لآل البيت أيَّ فضيلةٍ ولا خصوصيةٍ ولا مكانةٍ وأنَّ ما يرد هو من قبيل الأساطير فهو يعتبر النظرتين نتيجة ركام ثقافي وفكري سلبي، فيقول:" وهذه هي ثمرات الركام السلبي للصراع الفكري في قضية الولاء والبراء، وهذه أيضاً مادة التفجير المعد لمعركة الطائفية باسم آل البيت"[٢].

ونجده يدعو إلى التعايش السلمي بين الجماعات وأصحاب المذاهب وينقد الجميع، ويسأل سؤالاً عقلانياً: لماذا يُدْعَىْ إلى التعايش مع العدو المشترك "العدو الصهيوني" ولا نقبل أن نتعايش مع بعضنا بعضاً؟ فيقول بجراءة:" والذي نحن بصدده محاولةٌ لإعادة الأمر إلى أصوله من الديانة الشرعية لمن كان يرغب في الالتزام بالديانة أما من لا يرغب في ربط الولاء بالديانة فَرَبَطَ الأمرَ بالمصلحة الاجتماعية المشتركة، فالجميع لهم حق المواطنة وكما اتسعت المرحلة سياسياً واقتصادياً وإعلامياً لكافة القوى الإنسانية وما يسمى بالدول الصديقة وصار للأمة المعاصرة معها قواسم مشتركة، قائمةً على المصالح وتبادل المنافع، فمن الضرورة بمكان أن تتسع لما هو في دائرتها الإسلامية والدينية والشرعية، ولو من بعض الوجوه"[٣].

١- الأطروحة ، ص٤٦ وما بعدها .

٢- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٤١.

٣- المصدر نفسه ، ص١٣٦ .

ويسأل: لماذا نضع التنازلات للعدو المشترك ولا يتنازل بعضنا لبعض؟ "وقد لا حضنا في الآونة الأخيرة اتساع الحوار السياسي وطرح التنازلات لإرضاء العدو المشترك (العدو الصهيوني الغاصب المحتل) كي نحقق معه بهذه التنازلات قاسماً مشتركاً في العيش بسلام ضمن ضوابط وأطر وضعية وقوانين توليفية؛ لاستثمار المرحلة وسلامة التعايش فيها، ولم يعد الأمر في هذا التنازل سراً ولا خيانة ولا مخالفة للديانة والتدين من وجهة نظر الجميع وخاصة رموز القرارات، فلماذا لا تتسع صدورنا كمسلمين لبعضنا البعض؟.

ولماذا لا تتسع قواميسنا الأدبية لمن نختلف معهم في الفكر أو الرؤية أو المذهب ومن داخل أدب الإسلام نفسه بحيث لا نحتاج إلى تنازلات ولا إلى خيانة ولا مجرد تعميه أبصار وبصائر لكسب الوقت، بل إلى شجاعة في الالتزام الشرعي لقواسم الديانة المشتركة"[١].

ويتابع نقده الصريح بقوله:" ربما احتاج الأمر إلى صراحة أكثر وإلى بيان أوسع حتى نكشف العلة ونبدأ في معالجتها ولكن من الذي يتقبل الصراحة ومن الذي يرتاح إلى البيان؟.

إنَّ مشكلة البُغْضِ المركب لدى ضحايا المرحلة ضد أتباع المدرسة الأبوية خاصة ممن ينتسبون إلى آل البيت، ويعد كونه جهلاً بالحقائق وخصوصاً فيما يخص النمط الأوسط من دعاة الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، فالإشكال ليس بعمقٍ ولا موجباً للعداوة بين شرائح المجتمع الواحد فالجميع في حاجة إلى قراءة الحياة الإسلامية وعلاقات المسلمين فيها من الواقع الشرعي، لا من تراكمات المراحل وحوادث التحولات، كما أنَّ من مهماتنا ونحن نرتبط معاً بالكتاب والسنة أن نزيل الكثير من الإفراط والتفريط المؤدي إلى شبهات الفساد والإفساد في الديانة والتدين لإكمال الصورة وإيضاحها"[٢].

ودعا رجال مدرسة النمط الأوسط إلى المراجعة وإعادة النظر في علاقاتهم مع الشعوب وتصحيح المفاهيم والأخطاء حيث يقول:" فالنمط الأوسط كمدرسة وكأتباع يلزمهم إعادة النظر في علاقاتهم بالشعوب وشرائحهم الاجتماعية، وعلاقتهم بجملة المفاهيم التي أثارت الإشكال في الواقع الاجتماعي وتصحيح الخطأ الذي تنفذ منه القوى المضادة للمنهج

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١٣٦وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١٣٧ .

الأبوي الشرعي؛ فالخطأ هو الخطأ ومن لم يسع إلى تصحيح أخطائه وإعادة سلامة علاقته بغيره على الوجه السليم، فلن يستطيع أن يضع التفاؤل في حياته ولا في حياة غيره، وكما ذكرنا سلفاً أنَّ مدرسة النمط الأوسط تعرضت للتراكم السلبي عبر المراحل ولم نجد فيها من يبث روح التجديد وسلامة الإعادة، بل وَجَدَتْ من افتعل الصراع بينها وبين المتربصين بها اليوم"[١].

ومرت مرحلة انقطع فيها بعضُ آل البيت من أهل الصلاح والعلم ومن أهل التصوف الإسلامي عن المساجد؛ لأنهم كانوا يجدون من أئمة المساجد وخطبائها كلاماً عليهم وعلى أسلافهم حتى وصل إلى التبديع والتشريك والذم والتهم؛ ممَّا جعلهم ينقطعون عن حضور الجماعات في المساجد، لكنَّه لم يقبل هذا العذر، ووجه نقده المشفق والمحب والمسؤول إلى هؤلاء وأولئك الذين وظفوا هذه الظاهرة، فقال:" والحقيقة أنَّ هذه الظاهرة وإن كانت مستشريةً في العديد من البلاد إلا إنه لا تعتبر عذراً شرعياً لترك الجماعات أو التأخر عنها من الجميع، بَلْ إنَّ المسنَ والعاجزَ وذا الوجاهة والعالم إذا استطاع أن يواظب على الجماعة مع تحمل الأذى فإنَّه يعكس الصورة الإيجابية لأخلاق صاحب الرسالة ﷺ ؛ لأنَّ في انقطاع هؤلاء انقطاع أبنائهم وإخوانهم وتلاميذهم وكثيرٍ من المقتدين بهم حتى صارتْ ظاهرةُ الانقطاعِ عنِ الجماعاتِ عادةً متفشيةً في مدرسة آل البيت كما هي الآن في بعض العواصم والمدن التي فيها وجود للعائلات المنتسبة لآل البيت .

وقد لوحظ أنَّ أولئك المتسببين في ترك آل البيت للمساجد والجماعات قد جعلوا من هذه الظاهرة تعمیهاً على عقول العوام و المغرر بهم في المجتمع وسبباً في مواصلة الغمز واللمز والهمز في الصالحين والعلماء وأبنائهم وتبعهم في تصديق هذه التهم الغالبية العظمى من الناس الذين لا يميزون بين الأشياء ومسبباتها.

فآل البيت قد أوذوا في وجاهتهم ومظاهرهم حتى صارت مباشرتهم للصلاة في المساجد جزءاً من الإحراج والاحتكاك بالمغرضين فذهب العشرات منهم للبحث عن مساجد مناسبة لهدوء قلوبهم، وبعضهم ترك الصلاة في المساجد واكتفى بالصلاة في المنزل،

١-إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١٣٨ .

فاستغلت هذه الألسنة المغرضة هذه الظاهرة التي كانوا هم ومن سبقهم سبباً فيها، فأشاعوها كعلةٍ قادحةٍ في سلامة الانتماء الشرعي للرسول ﷺ بغرض التشفي والأذى والعيش على حساب الآخر"[١].

وينقد حملةَ منهجِ السلامةِ الذين وقعوا في دائرة الصراع، حيث يقول:" فالكثير من حملة لواء منهج السلامة يقعون في الصراع والملامة ويوسعون دوائر النزاع بين المصلين؛ لعدم مراجعتهم ثوابت فقه التحولات سواء من حيث دراسته كركن من أركان الدين أو النظر في التزام السلف بتطبيقه في معاملتهم مع الموافق والمعارض درءاً للمنازعة في أمور الدين"[٢].

ويوجه نقده الصريح والواضح لمدرسة القبض والنقض في عدم قبولها للمراجعة لذاتها وسلوكها ومنهجها، وإذا طلب منها الآخرون استجابت فيقول:" لقد أصرت مدرسة النقض والقبض ألَّا تقبل مناقشة مسلم يطلب منها مراجعة الاندفاع والانتفاع، ولكنها رغم أنفها تلتزم المراجعة إذا كانت من وجهة نظر المستثمرين؛ لأنَّ المستثمرين يملكون قرار بقائها أو إزالتها من واقع الحركة، والواقع المشاهد خيرُ دليلٍ على ما قلناه ونقوله وما سنتناوله غداً وبعدَ غدٍ.."[٣].

ويوجه نقده الشديد إلى الصوفية فيقول:" إنَّ الصوفية لن تخسر شيئاً لو قررت قوى الاستثمار إزالتها من باقي الحركة المخنوقة؛ لأنها مجرد ورقة في مهب الريح على مدى تأريخ القرارات المتحولة، وربما استخدمها بعض حملة القرار يوماً ما للضرورة القصوى منديلاً يجفف به العرق، أو ما يشبه خلال معركة التوازن المحرجة ولكنَّ النهاية والمصير زبالة المراحل، وهذه حقيقة برغم صعوبة استيعابها"[٤].

وينقد العلماء المعاصرين الذين لم يدركوا حقيقة واقعهم وحقيقة ما يحملونه من علم فحولوه إلى وسيلة خدمية ولم يحافظوا عليه كأمانةٍ شرعيةٍ فيقول: "فالأمناء بالعموم جواهرُ

١- الوثيقة، ص٩٠ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٣٢٤.

٣- المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .

٤- المصدر نفسه، ص٢٧٤ وما بعدها .

نادرةٌ في آخر الزمان، وأمناءُ العلمِ أشدُّ ندرةً ووجوداً ، وأما الموجود في ساحات الحركة والانطلاق فعلماء الخدمات ووكلاء المؤسسات ومنفذو السياسات إلا من رحم الله.

وقد يكون علم الفقه والحديث والتفسير والسيرة وهلم جرا... إحدى مواد الإنجاح في فقه المرحلة لسياسة الاستعمار أو الاستهتار أو الاستثمار يتأقلم العلماء أنفسهم وتمحورهم داخل الأنظمة والمؤسسات وعزل حقيقة العلم وأمانته عن قضايا الأمة المصيرية". فهناك حفاظ الحديث.. وقد لقينا منهم عدداً لا يستهان به، ولكنهم أُسُوْدُ علمٍ في أقفاصِ أنظمةٍ ملتزمون كلَّ الالتزامِ لِمُرَوِّضِ المواقف داخل مكاتب الوزارات وغرف الإدارات، وليس لهم حولٌ ولا قوةٌ في شأن وظيفة العلم في تقسيم استراتيجيات هذه الوزارات والإدارات وفق الكتاب والسنة، أو حتى وفق أدبيات المذهب السائد في الدولة والنظام"[١].

بهذه الفقرات نعرف مدى سعته في المعرفة والتعرف على مواطن الخلل في الجماعات والمناهج والأحزاب والمدارس المعاصرة ذات النقض والقبض والسلوكيات والولاءات الضيقة المعتمدة على الإفراط والتفريط والعقلانية المجردة والطبع البعيد عن الشرع ومنهجيته الأدبية والذوقية والمسؤولة في النقد .

الثالث عشر: المنهجية التربوية التعليمية العملية والسلوكية

من يعش معه ويرافقه في سفره وحضره وأربطته أو في بيته، يجدْ أنَّه يعتمد على المنهجية التربوية التعليمية العملية وبجدية وأقول "العملية" بعيداً عن التنظيرات الخيالية والخالية عن الواقع العملي والسلوكي اليومي، وكيف لا تكون هذه منهجيته التربوية والتعليمية والعملية وهو الذي رضعها منذ صباه من أهلها في أسرته الكبيرة وبيته، وتلقاها عن رجال مدرسته في أحور وتريم والحرمين الشريفين كما سبق معنا، وهم الذين حملوها كقضية أساسية في حياتهم العامة والخاصة، وسلكوا مسالك متعددة، ووسائل مختلفة في تحقيقها في

١- الوثيقة ، ص٢٤٩ وما بعدها .

الواقع العملي الحياتي لدى أبنائهم وأبناء مجتمعهم، وكيف لا يكون كذلك ومدرسته الحضرمية قائمةٌ على أساس التربية القيمية الأخلاقية السلوكية ومنطلقة من ثوابتها الأربعة المعروفة والمقررة لدى رجالها وهي :العلم، العمل، الإخلاص، والورع . غير ملتفة إلى سياسة الحكم ودهاليز السياسة، وقد وضع بعض الأسس للعمل في المرحلة المعاصرة ومنها تكريس الجهد الذاتي والعام من كل منتم لآل البيت النبوي في سبيل دعوة الناس للتوبة والالتزام بالواجبات الشرعية المفروضة على المسلم وكثرة الذكر لله في السراء والضراء والصلاة على نبيه محمد ﷺ "[١].

فكيف سيكون هذا أساسٌ ثابتٌ من أسس الدعوة لدى مدرسة آل البيت ولا يلتزمون به، والالتزام بالواجبات الشرعية المفروضة وكثرة الذكر لله والصلاة على النبي ﷺ منهجٌ تربويٌ، تعليميٌ، عمليٌ، سلوكيٌ، ويتمثل البرنامج التربوي السلوكي التعليمي لديه من خلال كتابه "دليل الطاعة قدر الاستطاعة" وضع فيه برنامجاً عملياً وسلوكياً يقوم على المحافظة على الأوراد والأذكار الصباحية والمسائية حيث يبدأبـ"وقت السحر، ثم ما قبل صلاة الفجر من الدعاء، ثم ما بعد صلاة الفجر الورد اللطيفَ وسورة يس، ثم صلاة الضحى، ثم ما بعد صلاة العصر قراءة سورة الواقعة والدعاء، أما بعد صلاة المغرب فيشغله بقراءة القرآن وراتب الإمام الحداد -رحمه الله- أو إحياء مجالس العلم ، وما بعد صلاة العشاء صلاة الوتر وقراءة سورة الملك، ويختمها بقيام الليل والدعاء.

ورد يوم الجمعة والمتمثل في قراءة سورة الكهف والصلاة على رسول الله ﷺ وحضور السيرة النبوية حضور مجلس البردة، والتعرض لنفحات الله من خلال الاستغفار والأدعية وزيارة الصالحين أحياءً وأمواتاً.

وقد وجه جملة من التوجيهات لطالب العلم تخص حياته السلوكية في تزكية النفس وتدعوه إلى توظيف وقته والمحافظة على عقله وقلبه حيث وجه طالب العلم للالتزام بالآتي:

١- فاجتهد في طلب الآخرة بالعلم والعمل واجعل الدنيا خلفك، ولا تعرها اهتماماً البتة وإذا ألزمك الأخذ منها لحاجتك فاجعل ما يدخل منها في يدك لا في قلبك وهنا تبدأ

١-انظر التنصيص المثبوت ، ص٣٦ .

حقيقة الإرادة.

٢- واعلم أن زمنك زمن أخبر الرسول ﷺ عن انتكاس أهله وشمول الغفلة فيه، فكن خير من يستقيم على الطاعة، وخير من يسعى مجاهداً لله بها، واصبر نفسك عليها لتطعم لذة الإقبال فيها، وتصل إلى سلم القبول ومراتب اليقين من داخلها.

٣- واعلم أنك لن تبلغ الغاية إلا بالبداية، فصحح مقام البداية تضمن سلامة النهاية، ولا بداية إلا بعد مجاهدة وبشيخٍ يوجهك إلى طريق السلامة ،ولا نهاية إلا باستمرارك على السلوك وصدق وعزم في معاملتك لملك الملوك.

٤- العلم وسيلةٌ، وغايتنا أن تعرف حقوق الله تعالى بوسائل العلم، ومن عرف كيف يستخدم الوسائل نال بغيته وحسن حاله وصار من الربانيين.

٥- رتب أوقاتك ترتيباً يعود على يومك ويحلو بالفائدة، فوقتٌ للعبادة بحسب أوقاتها، ووقتٌ لطلب العلم، ووقت للأوراد والأذكار، ولا تجعل وقتاً من الأوقات يأخذ وظيفة الوقت الآخر.

٦- أكثر من ذكر الله، ومن الصلاة على رسول الله في السر والجهر والليل والنهار، ففي الذكر سرٌ عجيبٌ، وحفظٌ من كل سوءٍ ظاهرٍ أو باطنٍ.

٧- لا قيمة للمريد في أمر دينه ودنياه إلا بالعلم، فاطلُبْ من العلم ما ينفعك ، ولا يكن همك من طلب العلم الجدال ومنازلة أهل التحذلق في الأقوال، واجعل همتك في طلب رضاء ربك سبحانه وتعالى والاستفادة فيما ينفعك.

٨- احذر كل الحذر إنْ أردت السلامة في دينك ودنياك من الدخول في التيارات والأحزاب وعامل الجميع بالمعاملة الحسنة، واعط كل ذي حق حقه ولا تنتقد على أحد منهم، بل اصرف وجهك إلى النصيحة، وتعليم الناس بالحكمة والموعظة الحسنة إن كنت من أهلها، وإلا فاغتنم السكوت.

٩- لا تترك قيام الليل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ولو بالقليل من الوقت فهو وقت الاستجابة وساعة القبول ورتب في قيامك وظائف العبادة.

١٠-تعود تعظيم شعائر الله واحترامها.

١١-لا تكن من المترددين على أماكن اللهو والأسواق بل تجنب ذلك واصرف نظرك عن الشهوات إذا دخلت لحاجة.

١٢-تصدق على نفسك بالتزام السكوت في كل حال ولا تتحدث إلا فيما ينفعك أو ينتفع به غيرك فكثرة الكلام تسبب الزلل والخطأ.

١٣-احذر من إضاعة أوقاتك في متابعة ما تبثه برامج التلفاز من مسلسلات خليعة وغيرها فهي بلاء على القلب وإفساد للجوارح وإضاعة للأوقات وشتات للذهن واستنزاف للهمة والإرادة.

١٤-عود نفسك الصفح عن المسيء في حقك واركن إلى حسن المعاملة مع المسيء والمحسن.

١٥-لا تتهاون في السنن النبوية وحافظ عليها فهي حصن الواجبات والأركان ومن لم يحافظ على السنن عوقب بحرمان الفرائض"[١].

فهذه التوجيهات تعتبر برنامج عمل لطالب العلم في حياته ولها أثار إيجابية تربوية سلوكية إن التزم بها طالب العلم في حياته اليومية.

ويتحدث عن وسائل التربية في المدرسة الأبوية والتي تعبر عن منهجية تربوية تعليمية سلوكية تسلكها المدرسة في تربية الناشئة حيث أجملها في النقاط التالية:

١-تكثيف المواد التعليمية وخاصة مواد الحفظ كحفظ سور القرآن، ومتون الأحاديث ومتون الفقه، والنحو، والفرائض وغيرها.

٢-ترتيب أوقات الناشئ بحيث لا يذهب وقت على حساب آخر وخاصة أوقات الصلاة ، أوقات التعليم ، وأوقات النوم.

٣-عزل الناشئ عن الأضداد.

١-المشهور، أبو بكر العدني بن علي، دليل الطاعة قدر الاستطاعة، ص١٦٥ وما بعدها بتصرف، الطبعة السادسة، دار المعين للنشر والتوزيع ، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥ م.

٤- عزل الناشئة عن الأسواق والأماكن العامة.

٥- إسدال الستار تماماً أمام الناشئ عن الجنس الآخر وما يدور من علاقات أو مميزات بحيث لا يدرك الناشئ عن هذا الأمر شيئاً غير ما تمليه غريزته.

٦- تعظيم شأن الشيوخ والعلماء والمآثر في عين الناشئ، وهذه من أهم قواعد بناء المواقف وقوة العزائم لدى الناشئة.

٧- إدخال الناشئة على العلماء والصلحاء وطلب الدعاء لهم وتحنيك الأطفال وإلباسهم.

٨- ربط الناشئة بمناسبات الإسلام وعاداته النافعة وكذلك بالمناسبات المحلية ذات العلاقة بالمدرسة الأبوية"[١].

ولا مانع من التجديد في بعض الوسائل في التربية حيث يقول:" إن عودة الأسلوب التعليمي التربوي الأبوي إلى الواقع المعاصر بنمطه التقليدي أمر مستحيل لاشك ولكنا نعتقد أن التربية الأبوية بمرونتها وسعة ثوابتها قادرة على التكيف النسبي مع ظروف الحياة المعاصرة إذا وجد المعلم الواعي مهمة الدور المناط به"[٢].

الرابع عشر: المرونة الفقهية

من يتعرف ويعرف شيخنا أبا بكر المشهور ويسمع خطاباته ومحاضراته ويقرأ له يظن أنه شخصيةُ وعظٍ وكاتب فحسب، وحتى كتاباته لا تعالج قضايا فقهية، فيتبادر إلى ذهن الإنسان أنه يخلو من الفقه وقضايا الفقه، ولكن من يجالسه يجد أنَّ له باعاً في المجال الفقهي، فقد زرته في منزله في جدة عام ١٤٢٣هـ ، وخرجت معه في سيارته لحضور الروحة لدى شيخنا الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، وكان هو السائق لها، وفي أثناء السير معه بادرني بالسؤال التالي:(ما رأيك في تعدد العمرة ؟) ـ وهذا من تواضعه ـ فأجبته : لا مانع من تكرارها، وهي عبادة والمتعبد أمير نفسه، ولم يرد نهي عن التكرار. فقال: "هذا مذهب

١- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص٥٠ وما بعدها بتصرف .

٢- المصدر نفسه، ص٥٣.

الشافعي ومن وافقه ". وقلت له: إني أستغرب للفتاوى التي تصدر من قبل علماء نجد في هذا الأمر وشدة التنكير على من كرر العمرة. فقال لي: يأخذون بقول مالك- رحمه الله-.

ثم دار بيني وبينه نقاشٌ واسعٌ حول ميقات الحج والعمرة المكاني، وحكم من أحرم من جدة أو مطارها، وبعد أخذ ورد في المسألة، قال:" إنَّ أعمال الحج المنصوص عليها مَبْنِيَّةٌ على التيسير، فما بالك بالتي لم تكن منصوصاً عليها الأصل أن تكون كذلك " بعد أن نقلت له رأي العلماء المتأخرين بأنَّه يجوز الإحرام من مطار جدة لمن أتى جواً، ولا يعتبر أنه تعدى الميقات، ولا يلزمه دم، وأعطانا قاعدة جليلة في التعامل مع الحج والعمرة في ظل التطور في الحياة، وكثرة الوافدين إلى الأماكن المقدسة من العالم كله، حتى إنَّه يبلغ عدد الحجاج ثلاثة ملايين وأكثر، وبهذه القاعدة تستطيع أن تستوعب تطورات الحياة وكثرة الوافدين في مثل هذه الأشياء، وهذا الفهم ليس فهماً بعيداً عن النصوص الشرعية، بل هو روح النصوص الشرعية، ويندرج تحت عموميات النصوص التي تدعو إلى التيسير : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥]. وقوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقول النبي ﷺ في يوم عرفة حينما كان يُسأل: « افعل ولا حرج ». بل نجد الواصف له في ذلك اليوم يقول: إنَّه ما سُئل عن شيءٍ في ذلك اليوم قدم ولا أخر، إلا قال: «افعل ولا حرج». وقطعت المناقشة في سيارته، ووصلنا إلى منزل الحبيب عبد القادر السقاف- رحمه الله- وأعاد علينا من بركاته وبركات شيوخه وتلامذته.

وله اهتمام بالفقه الإسلامي، وفقه الحديث النبوي، وفقه الواقع والمتغيرات ونضوجه الفقهي، فقد أضاف لنا نوعاً جديداً من أنواع الفقه يتعلق بفقه المتغيرات والأحداث وأزمات الحياة، إنَّه فقه التحولات، وقعد وأصل له وارتقى بالفكر والعقل من الدنو الفكري الذي يعيشه كثيرٌ من العلماء، وتعيشه الحركات الإسلامية ذات التوجه العصبي السياسي والانفعالي حول قضايا هامشية، ومسائل فرعية تعود عليهم، وعلى أمتهم بالسلبية والتقوقع والصراع والنزاع الفكري .

نظرته إلى الاجتهاد:

قبل أن أنقل رأي الحبيب أبي بكر المشهور حول الاجتهاد والدعوة إليه لا بد أن يكون لي كلمة حول هذا الموضوع الهام:

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية بابه مفتوحٌ وله ضوابطه الشرعية، ويسير وفق منهج يضبطه، وليس عشوائياً يمتطي إليه كل ناعق لا يفهم شيئاً عن هذا المنهج، وله أهله، وأهله هم كل من له معرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وله معرفة بالإجماع، وللاجتهاد شروط ذكرها أهل العلم، ولست معنياً بذكرها تفصيلاً، ولكن من باب التبيين فقط، وأُحيل القارئ إلى كتب الأصول، ولكنَّ الدعوة إلى الاجتهاد مسألةٌ تحتاج إلى رؤيةٍ ثاقبةٍ ومعرفةٍ تامةٍ وإلى التفريق بين الذي ينادي بالاجتهاد من أهل الغرب وسماسرته في العالم الإسلامي، وبين من يتكلم عنه من أهل العلم المعروفين بالصدق والإخلاص والصلة بالله والغيرة على دينه، ويفرق بين من يدعو إلى الاجتهاد بضوابطه وأسسه، وبين من يدعو إليه بغير ضوابط وأسس، بل يدعو إليه من منطلق (الروح الإسلامية الطليقة) كما يقال، ويبدو لي من لفظة (الطليقة) أنها طليقة عن أي ضابطٍ من ضوابط الاجتهاد المعروفة لدى أهله، بل المسبوقة بالهوى . لقد انطلقت بعض الأفكار بالدعوة إلى الاجتهاد، ولكنها في الوقت ذاته تنظر إليه كمصطلح إسلامي، وتنظر إلى الحضارة الغربية المنبهرة بها كحلٍ حتميٍ، وتريد من خلال هاتين النظرتين التوفيق بينهما، وتُخْضِع النصوص الشرعية لمقتضيات الحضارة الغربية، وتريد بهذه الأفكار أن تعبث بالشريعة من خلال ما تدعو إليه من الاجتهاد، وهذا كيدٌ للإسلام من داخله، وهؤلاء لا يلتزمون بأي مقومات وقواعد الاجتهاد، وينسفون كل ما أجمع عليه العلماء من شروط الاجتهاد، ويجعلون ذلك كبش فداء لسياسة الغرب وكيده، يقول العلامة الشهيد البوطي -رحمه الله تعالى-: "ومع ذلك فإنَّ هؤلاء الذين لا يفتؤون يهتفون باسم الاجتهاد لا مانع لديهم من أن يضحوا بتراثهم اللغوي وكل ما يتضمن من قواعد وأحكام إذا علموا أنَّ ذلك قد يكون توطئةً وتمهيداً للعبث بقواعد الشريعة وأحكامها باسم النظر والاجتهاد، لاسيما وقد عرفوا أنَّ كثيراً من أحكام الشريعة المأخوذة

من نصوصها محفوظةٌ في وقاية من حصن القواعد العربية وأحكامها، فإذا تهشمت هذه القواعد العربية وأمكن تغييرها أمكن العبث بتلك الأحكام "[١].

وحينما يتكلم عن الاجتهاد يرى أنَّه لابد من النظر إلى أوضاع المسلمين وما هم عليه من ضياع وتبعية، والمناداة بالاجتهاد في مثل هذه الظروف نوع من التبعية، يقول:" ثانياً- يجب ألَّا ننسى ونحن نناقش في أمر الاجتهاد في هذا العصر أنَّ ذاتية المسلمين اليوم ضائعةٌ، وأنَّ معالم كينونتهم الحضارية مبددةٌ ومنسية لا يملك أن يجادل في هذه الحقيقة أحد، في هذا الجو يتنادى هؤلاء الناس ويتداعون إلى الاجتهاد وطرح قيود التبعية والتقليد، بل إنَّنا جميعاً لنعلم أنَّ كثيراً من هذه الأصوات المرتفعة إنما تعبر عن واقع تبعية أصحابها للحضارة الغربية أكثر من أن تعبر بذلك عن رغبة صافية في الاجتهاد الذي يبصر بأحكام الله ﷻ، فماذا عسى أن يكون للاجتهاد من معنى في هذا الحال؟ سوى أن يكون دعماً ودفعاً جديدين لتيار هذه التبعية وتذويباً لبقايا المعالم التي تشدنا إلى ذاتيتنا وأصالتنا "[٢].

وينبغي أن يفهم ويفرق بين الاجتهاد هذا والاجتهاد في المستجدات والأوضاع الحالية، والتي تتطلب جهود أهل العلم في بيان حكم الله في المستجدات، وهذا العمل من أفضل ما يتقرب به أهل العلم في هذا العصر. يقول البوطي رحمه الله تعالى في مثل هذا الاجتهاد:" وإذا أُريد بالاجتهاد الذي نُدعى اليوم إليه هذا النوع من الاجتهاد فإنه لواجب حثيث ما ينبغي أن يتقاعس عنه أصحاب الدراية والاختصاص من المسلمين، غير أنا نعتقد أن هذا الواجب غير مهمل في هذا العصر، والعلماء العاكفون على هذا النوع من الدراسات الاجتهادية كثير، وأن الجامعات لتفيض ببحوثهم وإنتاجهم في هذا المجال، ومع ذلك فإنا نرى ضرورة سير هذه الاجتهادات الواجبة؛ لكي تنتهي بنا إلى الغاية المرجوة جنباً إلى جنب مع النهوض بواجب آخر ألا وهو الاهتمام الشديد على كل المستويات بتحقيق ذاتيتنا الإسلامية، بدءً من ترسيخ العقيدة الصافية عن عكر الزيغ والأهواء إلى العناية بالأحكام

١- البوطي، محمد سعيد رمضان، حوار حول مشكلات حضارية، ص ١٧٦، الطبعة الثانية، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢- حوار حول مشكلات حضارية ، ص ١٧٦ وما بعدها .

الإسلامية السلوكية المتمثلة في أنواع النسك والعبادات وسائر الالتزامات الفردية والاجتماعية على الصعيد الفردي والاجتماعي.

وإنما يبرز هذا التيار ويقوى شأنه إذا انعكس وجوده على المجتمع عن طريق أجهزة الإعلام واستخدام الصحافة ووسائل النشر دون تناقض أو ازدواج في التوجيه في ظل النهوض، بهذا الواجب الأساسي الأول يمكن بل يجب إنشاء مؤسسات أو مجامع فقهية تضم خيرة علماء المسلمين علماً وعملاً وصلاحاً ليناط بها واجب الدراسات الاجتهادية فيما قد جد أو يجد من أوضاع أو مشكلات تتطلب معرفة الحكم الشرعي فيها، بل في كل ما قد تدعو الأصول والقواعد الشرعية إلى إعادة النظر فيه، وخير أداة للنهوض بهذا الواجب (مجمع فقهي) يتكون كما قلت من خيرة علماء المسلمين، على أن لا يكون خاضعاً لسلطان أي دولة بعينها من الدول العربية والإسلامية؛ وذلك حتى لا يقع تحت تأثير عواصف التيارات السياسية المتعارضة التي قد تحيلها بذلك إلى مجرد جهاز إضافي لترويج اتجاه سياسي معين، أو دعم مذاهب فكرية معينة "[١].

ومن خلال هذه المقدمة حول الاجتهاد ودعوات الاجتهاد في هذا العصر التي تشبه الدعوة إلى القراءة المعاصرة للقرآن الكريم بلا ضابط ، والاجتهاد المعاصر في النصوص الشرعية بلا أسس ، أو العبث بها من خلال الدعوة الصبيانية إلى الاجتهاد والحمق في الرأي الذي تنتهجه فئةٌ من المسلمين اليوم، تريد من خلال هذا العبث إسدال الستار على الفقه الإسلامي كله ومذاهبه وأئمته، وإبراز نفسها كبديل لأئمة الإسلام وعلى حسابهم، وهذه دعوةٌ تشبه سابقتها، نصل إلى وجهة نظر شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور حول هذه المسألة وقد ترك رأيه وبقوة ووضوح يقول:" وأما مسألة الاجتهاد وعدم التقليد فقد أشبع العلماء الحديث عنها كلٌ من وجهة نظره العلمية، ومنهم من أغلق باب الاجتهاد، ومنهم من تركه مفتوحاً بغير ضوابط حتى صار القزم الجاهل المنتمي إلى أي حركةٍ فكريةٍ يدعي الاجتهاد ويرفض الإسلام المقلد "[٢].

١- حوار حول مشكلات حضارية ، ص١٧٧ وما بعدها.

٢-الأطروحة، ص٦٨.

وهناك ناشئةٌ ابتليت الأمة الإسلامية بها، أخذت ترتئي لنفسها مسائل، وتدعي لنفسها الاجتهاد فيها، مع معرفتنا أنها مسائل خلافية صارت عندهم من المسلمات التي يجب على الأمة أن تخضع لهم فيها، وهذه الفئة والناشئة أحدثت ضجة في العالم، وكادت أن تمزق ما تبقى لهذه الأمة من وحدة، وهي تبني آراءها على تخرص فقط، يقول في هؤلاء الناشئة الأحداث:" وهؤلاء الأحداث إنما أرادوا بجهلهم أن يلزموا جيلهم الغثائي اتباعهم وتقليدهم على ما هم فيه من عِمايات وغِوايات وتخرصات وتخبطات لا ترقى إلى مستوى تقليد المذاهب الشاذة فضلاً من أن ترقى إلى مستوى الاجتهاد ذاته"[١].

باب الاجتهاد مفتوح بشروط:

إنَّ هناك من يقول: بأنَّ باب الاجتهاد مغلق، وهذا القول في نظري مبني على الاجتهاد، وهناك من يقول: بأنه مفتوح ويشترط لذلك شروطاً، ووجهة نظر شيخنا في هذه المسألة نجدها في قوله :" ووجهة نظرنا في هذه المسألة أنَّ الاجتهاد مفتوحٌ لم يغلق، ولن يغلق حتى تقوم الساعة ولكنه مشروط بشروط ".

ونجده من خلال الشروط التي طرحها ضبط الاجتهاد وأعطى لمن سبقه قدره ومكانته، ولم يجعل مسألة الاجتهاد عبثاً، يقول في تحديد شروط الاجتهاد:

أولها: اعتبار الاجتهادات الفقهية السابقة أصلاً من أصول البنية الفكرية الإسلامية بما فيها المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب الإسلامية ما عدا الشذوذ المخالف لثوابت الإسلام.

ثانيها: اعتماد المذهبية الفقهية المعروفة أساساً في الواقع الإسلامي المعاصر، وعليها تبنى أحكام القضاء والفتوى والمعاملات وغيرها، كل بلد بما يلائمها.

ثالثها : فتح باب الاجتهاد في المسائل المستجدة التي لم يسبق فيها البحث ، وهو من ضروريات الحياة المعاصرة.

رابعها: جواز العمل بالأقوال المذهبية عند الحاجة إليها دون انتقاء ولا تجاوز"[٢].

١- الأطروحة ، ص٦٨.

٢- المصدر نفسه ، ص ٦٨ وما بعدها.

فهذه الضوابط غير الضوابط التي تحدث عنها السابقون والمتصلة بتوفر علوم الآلة في المجتهد من لغة وتفسير ومعرفة للناسخ والمنسوخ والإجماع والخلاف وغيرها.

وبهذه الشروط سيكون الاجتهاد بناءً للأمة وحضارتها ورقيها، وإذا لم ينضبط بهذه الضوابط فسيكون وسيلة من وسائل الهدم لحضارة الأمة وثقافتها، والمصادرة لجهود الأئمة السابقين، ونسف الكم الهائل من الفقه الذي خدمت به الشريعة الإسلامية، والحل الأمثل لإعطاء الاجتهاد مكانته في المرحلة المعاصرة أن يُفَعَّل الاجتهاد الجماعي الذي يقوم به علماء الإسلام على مختلف مذاهبهم الإسلامية ومناقشتهم للمستجدات سواءً على المستوى العلمي أو الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو التربوي، وصياغة المفاهيم التربوية والعلمية وغيرها، هو الحل الصحيح لإعطاء الاجتهاد موقعه في حياتنا المعاصرة، بعيداً عن الآراء الفردية، وإن كنا نحترمها، وهؤلاء العلماء الذين يمثلون العالم الإسلامي ويمثلون المذهبية الإسلامية سيكون اجتهادهم يمثل عالمية الإسلام.

يقول شيخنا الحبيب المشهور في هذا الموضوع:" وفوق هذا وذاك نرى أن الحل الأمثل لإعطاء الاجتهاد في الإسلام مكانه الصحيح، إقامة المؤتمرات الإسلامية الشاملة التي تجمع علماء المذاهب كلهم؛ لتجسد فيهم عالمية الإسلام، ويناقشوا ضوابط الملة بروحٍ إسلاميةٍ عالميةٍ شاملةٍ من خلال الدراسات الفقهية الوافية"[١].

المؤتمرات الضيقة:

إنَّ المؤتمرات التي تعقد في هذا العصر الحديث والتي توجه سياسياً أو تمثل منهجيةً فرديةً أو رؤيةً أُحاديةً لا ترقى بالاجتهاد الذي تدعو إليه إلى المستوى اللائق به، فهي تمثل ذاتها ومذهبيتها أو رؤيتها غير العالمية، وأحياناً تطرح رؤيةً تريد من خلالها نسف المذهبية الإسلامية والانطواء تحت رؤيتها القاصرة، نجد شيخنا في أطروحته يسمي هذه الرؤية (بالدعوة إلى المذهب الجامع) . يقول – رعاه الله – :" ولا قيمة في نظرنا للمؤتمرات الجانبية التي تدعو إليها بعض المؤسسات الفكرية المعاصرة ذات المدلول الاجتهادي المبرمج القاصر على استيعاب العالمية الإسلامية في المعاملات القانونية بين المسلم والمسلم، فضلاً عن

١- الأطروحة ، ص٦٩ .

استيعابها للثوابت العالمية الشاملة" . ويواصل حديثه حول المؤسسات المنتمية والمُسيَّرة إذ يقول:" إنَّما يسمى اليوم في بعض المؤسسات الفكرية الإسلامية المنتمية إلى مكانٍ وزمانٍ معينٍ ومحددٍ "بالدعوة للمذهب الجامع". ويقول عنهم قائلهم: إنَّ الله لم يأمرنا أن نتعبده بقول الإمام الحنفي ولا المالكي ولا الشافعي ولا الحنبلي، وإنَّما أمرنا أن نتعبده بكتابه وسنة نبيه ﷺ ، إنَّ هذه في منظورنا دعوةٌ باطلةٌ من أساسها؛ لأنَّ المذاهب المتحدث عنها بهذه الإعلامية الغريبة إنَّما أمرتنا في اتباعها بالعمل على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وقواعدها الاجتهادية نابعةٌ من تلك الأسس، وقائمةٌ على خدمتها، والعالم الإسلامي كله من طرفه إلى طرفه قائمةٌ قواعده العلمية والقضائية والفقهية والتعليمية على أساس المذاهب الإسلامية المألوفة "[١]. والاجتهاد بضوابطه خدمةٌ للإسلام وإضافةٌ تجديديةٌ إلى الاجتهادات السابقة، وليس تنمراً على أئمة العلم السابقين.

إنَّ الاجتهاد الذي أُمرنا به وتعبدنا الله به ونتائجه نؤجر عليها ولو كانت خاطئة إذا أتى من أهله، ليس عرضاً لعضلات أمام أئمة الإسلام وعلمائه، وليس تنمراً عليهم واحتقاراً لمكانتهم ونسفاً لخدمتهم هذه الشريعة الإسلامية، يقول في هذا المضمار:" وحاجتنا للاجتهاد وفتح بابه لا تخولنا التنمر على المذهبية الإسلامية، بل تلزمنا الأدب للفقه والفقهاء وثمرات أقلامهم كما هو حال المتنمرين من المدرسة الإسلامية عندما ينصحون ضحاياهم بالالتزام للعلم والعلماء ويقولون في محاضراتهم: " إنَّ لحوم العلماء مسمومة " . وهي عبارة ترويض لقبول الغوغائية الغثائية برامج النقض الإعلامية المعاصرة تحت شعار : " احترام العلم والعلماء "، وما أعظم إسلاميتنا عندما نطالب الأجيال باحترامنا ونحن نحترم الإسلام في علمائه ومجتهديه ! وهذه صفة المسلم الحق:« مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٢]"[٣].

والاجتهاد بحث جاد في استخراج الحكم الشرعي من النصوص الكلية وإرجاع الحوادث إلى الأصل وليس إبعادها عن هويتها الإسلامية ومرجعيتها الشرعية حتى تذوب، وليس تذويباً للمذهبية الإسلامية الواعية.

١- الأطروحة ، ص٦٩ وما بعدها .

٢- متفق عليه .

٣- الأطروحة ، ص٧٠ .

ففتح باب الاجتهاد ليس إهداراً وتذويباً للمذاهب الفقهية والمتمذهبين بها وإدخال الأمة من خلال الاجتهاد إلى صراع ونزاع، وإذا كان كذلك فوجهة نظري أن التقليد الأعمى أفضل من هذا الاجتهاد الصبياني، وهدوء الأمة في ظل التقليد الأعمى أولى من إثارة النزاع، يقول في هذا الباب:" إنَّ هناك فرقاً كبيراً بين فتح باب الاجتهاد لخدمة التراث الفقهي الإسلامي وتجديد مضامينه وبين تذويب المسلم المتمذهب في حومة صراع لا قرار لها"[١]. وقد ابتليت الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر بأناسٍ ارتأوا بأنفسهم مسائل فرعية وجعلوها من الثوابت في حياتهم الفكرية بحسب الاجتهاد الصبياني لهم، وعادوا ووالوا من أجلها، وإنِّي لا أطالبهم بالتخلي عمَّا ارتأوا لأنفسهم وأخذوا به، لكن أقول لهم: إنَّ أخذكم لبعض المسائل ومدافعتكم عنها وجعلها أساساً فكرياً لكم في حياتكم لا يعني إلغاء آراء الآخرين وسد باب الأخذ عن غيركم لغيركم في مثل هذه المسائل الفرعية، حتى ولو ملكتم الأهلية في الترجيح لا يعني ترجيحكم رفع الخلاف في هذه المسائل التي شغلتم العالم الإسلامي بها فلكم رؤيتكم وللآخرين رؤيتهم، ووفق الله الجميع لما يحبه و يرضاه بغير اتهام لعقيدة أحد أو في توجه أحد، وإلا إذا عُكِسَ الأمر فسيكون التذويب للفقه الإسلامي بفروعه وأصوله وإيجاد فرقة في الأمة، ويبقى الواجب المقدس الذي هو وحدة الأمة في انهيار لا مثيل له كما هو اليوم في أكثر الأقطار الإسلامية من جراء إثارة هذه المسائل وهذه الاجتهادات إذا سلمنا لهم اجتهاداتهم فيها وترجيحهم لها.

الخامس عشر: رجل التاريخ وتاريخ الرجولة

لدى الحبيب همةٌ في كتابة التاريخ وإظهار ومعرفة الرجال الذين كان لهم الدور الكبير في أحداثه وإبرازهم إلى الواقع المعاصر؛ كي تعرف الأجيال المعاصرة عن الشخصيات التي برزت في العصور الماضية ولهم دور في تحولات المراحل والأحداث، وقد استشعر الحبيب المشهور المسؤولية في تنوير الأجيال بتاريخهم وبالشخصيات الإسلامية التي لعبت دوراً في تكوين الأمة وغيبت تغييباً متعمداً، فله كتاب في تاريخ أحور بعنوان: (الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور) ، وقد عرفنا من خلال كتاباته كثيراً من الشخصيات الإسلامية التي

١- الأطروحة ، ص٧١ .

كنا نجهلها فأخرجها تحت عنوان:(أعلام حضرموت). وعرفنا شخصيات من خلال كتابه (لوامع النور) ، وترجم لوالده بكتاب أسماه: (قبسات النور).

وترجم لشيخه العلامة عبد القادر السقاف تحت عنوان: (جني القطاف). وقد تحدث فيه عن مراحل طلبه للعلم وكيف كانت همته ونظرة الآخرين له، وقسم في ترجمته هذه شيوخ الحبيب عبد القادر إلى طبقات:

الطبقة الأولى: وتحدث عن خمس عشرة شخصية.

الطبقة الثانية: وتحدث فيها عن ثمانٍ وعشرين شخصية علمية.

الطبقة الثالثة: وتحدث فيها عن خمس عشرة شخصيةً، وعن رحلاته الدعوية وارتباطه بعلماء عصره ممَّن لهم مكانتهم العلمية في العالم الإسلامي، وتحدث عن اثنتين وستين شخصية في اليمن ومن العالم الإسلامي وحدث له معهم صلات في ذات الله وإجازات متبادلة، وترجم لكل شخصية من هؤلاء في أسفل كل صفحةٍ عند ذكر شخصية منهم، وقد اتسمت كتاباته التاريخية بمميزات، فمن يقرأ التراجم التي كتبها الحبيب أبو بكر المشهور لأعلام الأمة، يجد أنها ليست ترجمةً صرفةً وجافةً، بل إنه يقف في ترجمته حول معاني المواقف التي وقفها هؤلاء الأعلام سواء في تربية أنفسهم أو مع من آذاهم أو مع أصحاب القرار أو علاقتهم بربهم وعلاقتهم بالشعوب، بل نجده يصحح مفاهيم مغلوطة عن هؤلاء الأعلام تلقتها الأجيال المعاصرة من الذين هم ضحية الغزو الفكري والإعلام المبرمج، نجد هذا الاتجاه في الترجمة التي كتبها الحبيب في ترجمته للفقيه المقدم تحت عنوان : (الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم).

حيث جعل عنواناً في هذا الكتاب : (مدرسة التصوف بحضرموت وضوابطها الشرعية). وهذا عنوان له مدلوله العلمي والفكري في التعريف بالمدرسة وضوابطها، وأنها ملتزمة وليست بعيدة عن الكتاب والسنة، وكتب في الترجمة موضوعاً بعنوان: (المآخذ المحسوبة على التصوف وموقف مدرسة الفقيه المقدم منها). وهذا دليلٌ على العقلية الفكرية التي يتمتع بها الحبيب في ترجمته للأعلام وإبراز مواقفهم العلمية من التجاوزات والمآخذ

التي تحدث وهل تعبر عن المدرسة كلها أم أنها تخص أصحابها، وهكذا نجده في ترجمته يبرز الجانب العلمي الشرعي الذي يستفيد منه من يقرأ مثل هذه التراجم، فمثلاً نجده يكتب موضوعاً تحت عنوان : (الضوابط المميزة بين الكرامة للولي والاستدراج للمدعي) في كتابه الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم وأتبع الموضوع بعنوان: (الكرامات والخوارق)، ووضع القواعد الشرعية في أساس علاقة المسلم بالكرامة ووضع ست قواعد في التعامل مع الكرامة، ووضع عنواناً آخر(ضوابط الشطحات والعبارات الموهمة)وكيف يتعامل معها المسلم وهذه لفتات علمية وفكرية في ترجمته وكتاباته عن أعلام المدرسة، ومن مميزات الترجمة التي انتهجها في ترجمته للأعلام أنه يضع القارئ أمام شخصية علمية ويضعنا أمام مواقف وعلوم تلقاها المترجم له في طلبه للعلوم الشرعية من عقيدة وفقه وتصوف وغيرها ذات المدلول المعرفي والذي يستفيد منه القارئ وقد تكلم عن هذا الموضوع وهو يترجم للإمام العدني أبي بكر عبد الله العيدروس وغيره، وحينما تكلم عن شعره تكلم عن الأغراض المتنوعة في أشعاره، وتحدث عن الشعر في المدرسة الذوقية والذين لا يعرفون أغراض الشعر في المدرسة كيف ينقدون هذه الأنماط وتحت تأثيرات غريبة عن الأمة، وأبرز في ترجمته لعلماء الأمة مبدأ تلقيهم العلمي الذي هو الأصل في المدرسة الأبوية فيسرد شيوخ المترجم له ورحلاته في طلب العلم والدعوة إلى الله كي يبرز أن هذه المدرسة تعتمد على الأخذ والتلقي والمكوث بين يدي أهل العلم.

وقد كانت لكتاباته التاريخية التي ترجم بها للأعلام فوائد منها :

١- أنَّ الأجيال حينما تقرأ مثل هذه التراجم تعرف أنَّ هذه الأمة وجد فيها رجال عاشوا لله، ومع الله، وخداماً للدعوة إلى الله، وتشحذ الهمم للاقتداء بهم.

٢- إزالة الحجب الكثيفة بين هذا العصر والعصور التي سبقته.

٣- إزالة الغبار الذي تُعُمِّدَ وضعه على هذه الشخصيات.

٤- دفع الشبهات التي ألصقها الآخرون بهؤلاء العلماء؛ لتعرفهم الأجيال التي تجهلهم، فالشبهات التي أسدلها الغرب من خلال وسائل الإعلام التي يملكها كانت سبباً في جهل الأمة بالدين والتاريخ ورجال المعرفة الذين كان لهم الدور الأكبر في تعريف الأمة بمنهج ربها الصحيح.

٥- تعريف الجيل المعاصر برجال المدرسة الأبوية وكيف خرَّجت هذه المدرسة مثل هؤلاء الأعلام وأعطت أكلها كل حين.

٦- رد بعض الجميل الذي علينا نحو هؤلاء الأعلام؛ لما أسدوه لنا وأوصلوه إلينا من معارف علمية في حياة الأمة.

٧- وقد سد خللاً كانت بعض مدارس الإفراط والتفريط تدخل منه؛ لتناول كثيرٍ من الشخصيات سواء من آل البيت أو غيرهم، حيث وضعنا أمام سلسلةٍ عظيمةٍ من المنظومات التي تناولت شخصياتٍ عظيمةً مثل منظومة سيدتنا خديجة، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين، وأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذي النورين وتحدث بلغة علمية وتاريخية وفكرية في هذه المنظومات، ووضعنا أمام كثير من الذكريات بمنظوماته في السيرة والمناسبات الإسلامية كمناسبة الهجرة وبدر، وصفر وعاشوراء، وذكرى الحسين ورمضان والأعياد والحج، واستقبال العام الهجري والميلادي وغيرها من المناسبات والذكريات.

وقد تناول كثيرٌ من الناس هذه الذكريات والمناسبات بلغةٍ إفراطيةٍ وتفريطيةٍ لكنَّه وضعنا أمام مدرسة النمط الأوسط والوسطيةِ الشرعيةِ والاعتدالِ الواعي في تناول هذه الشخصيات والذكريات، وقد جمع في كتاباته عنها بين السرد التاريخي والمنهج العلمي والشرعي الواعي وإدانة الإفراط والتفريط في تناول الشخصيات والذكريات والمناسبات، فتعتبر سلسلة المنظومات إعادة صياغة للعقل والوعي نحو هذه الشخصيات الإسلامية لا سيما شخصيات آل البيت النبوي التي تقف حولها بعض الأفكار ذات الصلة بالإفراط والتفريط ، فأعاد لنا في تناوله لها منهجية التوازن في ذكرياتها وإعادة قراءتها .

السادس عشر: العمق الأدبي واللغوي والشعري

أ- العمق الأدبي:

إن من يتتبع كتابات شيخنا -حفظه الله- يجدها مشحونةً بالكلمات الأدبية واللغوية والسجع والمحسنات البديعية والبيانية وغيرها من المفردات اللغوية والأدبية ، وهذا في عموم ما يكتب ، أما إذا قرأت ما يخص الجانب الأدبي بالذات نجد فيها الكثير من المفردات اللغوية والتي تتسم بالذوق الأدبي الرفيع لدى هذه الشخصية الفكرية الذوقية ، ولم يتغلب فيه الجانب الفكري والفقهي على الجانب الأدبي ، بل تجده في الجانب الأدبي ذا رفعة سامية ومن الطراز الممتاز في توظيف الأدب لخدمة القيم الإسلامية والمفاهيم التربوية والسلوكية ، فإذا تحدث عن قضيةٍ يبرزها في وحدةٍ أدبيةٍ متكاملةٍ ذاتِ أبعادٍ ، ويجمع في كتاباته الأدبية بين الفكر والأدب والسلوك ، ولم أبالغ إذا قلت بأنه: " أديب المفكرين، ومفكر الأدباء، وأديب أهل الذوق، ومتذوق أهل الأدب " ومن قوته وملكته الأدبية تجده يصيغ القصيدة الأدبية ذات الأبعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية، ويجمع بين الأسلوب الأدبي والتاريخي وبين الأسلوب الأدبي والاجتماعي وبين الأسلوب الأدبي واستنهاض الفكر ويجمع بين الأسلوب النقدي لحقبةٍ تاريخيةٍ، والأسلوب الأدبي في آنٍ واحدٍ، وتجده يبرز المواقف من خلال أدبه، وعندما تقرأ شعره تدرك أنه ذو معرفة تامة بواقعه، وهذا التقييم الذي قلته ليس بعيداً، فقد برز في قصته الأدبية " الخروج من الدائرة الحمراء "، وهي تحكي قصة خروجه من وطنه ومسقط رأسه؛ لينجو بدينه وقيمه وأخلاقه من الشيوعية الحمراء ، والمتتبع لنصوصها يجد أنه جمع فيها بين الأدب والتاريخ ، فهي ترمز إلى وضعٍ خطيرٍ ومرحلةٍ حرجةٍ مر بها الوطن من جراء تحكم شرذمة حملت أفكاراً تصادم العقل والشرع والواقع.

ولقد اتسم بالأدب في قوله وسلوكه؛ لإدراكه المعرفة الواسعة والتعريف الشمولي للأدب وأنَّ الأدب لا يخالف سلوكيات الأدباء، وإلَّا كان انفصاماً في شخصياتهم .

ولمعرفتنا المتواضعة بحبيبنا وشيخنا نجد أنَّ الأدب لديه ليس فذلكةً كلاميةً وعباراتٍ لغويةً وأدبيةً جوفاءَ، بل سلوكٌ قبل أن يكون قصصاً ذات طابعٍ أدبيٍ وكلاميٍ ، وأسوته في ذلك من أعطي جوامع الكلم ﷺ الذي ازداد الأدب به أدباً وجمالاً.

ولا يفارق الإحساس أدب الأدباء، فالإحساس والشعور والذوق من الدوافع التي تدفع بالأديب نحو الرفعة في الأدب والتصوير الفني الفذ للمواقف في القصة ومن لا إحساس ولا شعور ولا ذوق له، لا أدب له .

وشيخنا من النوع الذي يملك الإحساس العالي والشعور الرفيع ولا غرابة في ذلك فقد اكتسب الشعور الذوقي والأدبي والإحساس المتفاعل من خلال تشربه العلمي الذي شربه من أبائه وأجداده وشيوخه وأسرته ورموز مدرسته الحضرمية ، وقد شرب الجميع من منهل الأدب بالمفهوم العام والمفهوم الخاص .

ولا يخلو أدبه من المخيلات الأدبية والإرهافات الشعورية، ويبرز خلجات ذهنه إلى الواقع من خلال قصة أو نص شعري، ولا يخرج أدب الأديب عن الواقع، فهناك قصص أدبية اعتمد الخيال في تركيبها وإخراجها وتدعو إلى رسم مفهوم في العقل الإنساني وتبرز قيمة المفهوم الذي تشير إليه القصص ، إنَّ أدبه لا يخرج عن واقعه ، وخيرُ شاهدٍ لما أقول القصةُ الذاتيةُ لخروجه من بلده ومسقط رأسه "أحور" إلى الحجاز والتي أسماها " الخروج من الدائرة الحمراء " .

وله أسلوبٌ أدبيٌ يتماشى مع مدرسة حضرموت في إثارة الجانب العاطفي والجانب الإرشادي ، ومع هذا فقد أثار في أدبه الجانب الفكري والثقافي ، ومن خلال القصة الذاتية له نجد أنه كشف بها الأحداث التي عاصرها في قالبٍ أدبيٍ محضٍ ؛ لأنه يحبذ أن يسلك بأدبه المسالك المتعددة ذات التأثير والطابع المحلي أو ذات العالمي في شعره ، ولأنَّه عاصر مراحل متعددة مرت على الوطن وعلى العالم الإسلامي ، ولما يتمتع به من معرفة للتاريخ وتحولاته ومتغيراته .

وهذا هو الأدب الصحيح في نظري الذي يوظف لخدمة قضايا الأمة ، وليس لبناء مفاهيم هامشية وقاصرة لا تمت إلى الواقع بصلة وليس لها أبعادٌ علميةٌ أو فكريةٌ أو ثقافيةٌ أو روحية. ونضعكم أمام نموذج من نماذج أدبه العميق في القصة وغيرها ، بعنوان **(مدينة الحشرات)**: هناك تحت أعواد قصب البيني[1] كانت مدينة عظيمة، تجمع مختلف أنواع

١ – البيني : نوع من أنواع الحبوب والذرة.

السكان الذين يعيشون ويعملون بجدٍ ونشاطٍ في مجالات اختصاصهما الحياتية، وقد اجتمعت في هذه المدينة المتواضعة كثيرٌ من المتناقضات، اجتمعت الصراصير ذات الصوت المزعج، والضفادع، والعناكب، وحشرات صغيرة أخرى لا تعد ولا تحصى.

ولم يَدُرْ بخلد الجميع أنَّ حياتهم سوف تكون ذات يوم نهايةٌ في يومٍ ما ، بل إنَّهم كانوا يسخرون من ذلك العنكب الزاهد الذي اعتكف في معبده يذكر الله ويصلي، يسخرون منه حينما وقف فيهم واعظًا ومذكرًا أنَّ حياتهم مهددة بالخطر، وأنهم قد يصبحون يومًا ما دونما مأوى، وأنهم ربما ذهبوا ضحية الأعداء المتربصة من الضفادع والطيور، إلا أن هذه الحشرات ولت وهي تندر وتتفكّه بما كان يقوله، ويرددون: (شيخٌ كبيرٌ سيطرت خرافات الدهر على ذهنه فجاء يتلوها).

نهاية المدينة:

وسرنا جميعًا بعد أيام نحو العمل في الحقل وخاصة عندما أصبحت سنابل البيني صالحة للإخراج، وحملنا معنا مناجلنا، وأحطنا بالمزرعة من كل جانب نعمل في القصب حصدًا، ونلاحظ هروب جماعات العناكب، والصراصير، والضفادع، والحشرات الأخرى نحو الجزء الباقي من المزرعة، وكلما زحفنا نحوهم كانوا يهربون في ذعرٍ وخوفٍ نحو ما تبقى من أعواد وسيقان، ووقفت جانبًا بعد أن أُرْهِقْتُ من العمل ألاحظ هذا السيل العارم من الحشرات، وبينما أنا في تأملي لاحظت ضفدعة مختبئة تحت كتلة من الطين الجاف، وظننت أنها جاءت لتختبئ خوفًا مما أصاب مدينتها من بلاء، إلا أني دهشت حينما لاحظتها تقفز قفزة عالية وتبتلع إحدى الصراصير الهاربة، وبقيتْ مكانها تعاني ابتلاع الصرصور المسكين، وقد ظننت أنَّ ذلك حدث بالصدفة إلَّا أنني حينما أمعنت النظر تحت سيقان القصب المتداخل رأيت منظرًا عجيبًا..! رأيت أعدادًا هائلة من الضفادع قد اتخذت لها مواقع تخفيها عن الحشرات الأخرى، وبين فينة وفينة تقفز ضفدعة تلو أخرى لتصيد بعض الحشرات التائهة، ثم لا تلبث الضفدعة أن تستمر في الهروب عندما يلاحقها العاملون بمناجلها تاركةً صيدها يهتز اهتزاز الموت في فمها، وأكثر ما أثار إعجابي إهمال الضفادع للعناكب، إذ كانت تمر بأعدادٍ كبيرةٍ وبأحكام مختلفة، إلَّا أنَّ الضفادع لا تحرك ساكنًا وكأنها

لا تشعر بوجودها. لقد أثار استغرابي ما لحظته في الضفادع من اهتمام بالغذاء في مثل هذا الحال الذي يراه غيرها وباءً أو نكبةً أصابت مدينةً عامرةً بالسكان.

النهاية:

وما أن أتى العاملون على آخر سنبلة في المزرعة إلا وقد اختفت جموع الحشرات في المزرعة المجاورة لها، بينما اكتفى البعض منهن بالاختباء وراء الأشجار وشقوق الأرض الضيقة، وبين الشجيرات الصغيرة.. والضفادع على حالتها الأولى تلتهم ما يقع في يدها من تلك الفرائس الخائفة من الموت، الهاربة إلى الموت.. ٢٦/ ٨/ ١٩٧٤هـ أحور.

ب- العمق اللغوي :

يحمل رصيداً واسعاً في اللغة بفنونها وفروعها واطلاعاً عميقاً لمفرداتها ومدلولاتها، فالمفردات التي يستخدمها في مقالاته وأشعاره وقصصه الأدبية وخطاباته ومحاضراته وكتاباته تظهر العمق اللغوي وملكته اللغوية في أكثر من مجال في عناوين كتبه ولتأمله لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أحياناً يأخذ عناوين كتبه ومقالاته من النص القرآني أو النبوي أو اللغوي فتعتبر كتبه ومحاضراته ومقالاته وخطاباته زادٌ لغويٌ لطالب العلم يوسع ذهنه ومشهده .

جـ- العمق الشعري:

لقد تعددت أغراض شعره وتنوعت، وتناول فيها كثيراً من المعاني والدلالات الروحية والفكرية والمعرفية والواقعية، فإذا خاطب مولاه وناجاه ودعاه، تحدث عن الواقع المؤلم الذي تعيشه هذه الأمة، حيث غلب عليها لغة الصراع والنزاع والقتل والفتك والهتك وما يعيشه الشباب من ضياع وانحراف .

وإذا خاطب رسول الله ﷺ في ميلاده أو زيارته له، استعرض ما تعيشه الأمة من غفلةٍ وتغافلٍ عن التاريخ وذكرياته ومناسباته وأحداثه وما يجري من انهيارٍ للمجتمعات وتفككٍ ومواجهاتٍ مسلحةٍ تريق دماء الناس الأبرياء، ويتحدث عن تقصيره واشتغاله وغفلته عن زيارته ﷺ وغيابه عنه.

وإذا تحدث عن الذكريات الإسلامية كالميلاد والهجرة والإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات، تحدث عن أهمية المناسبة وما ينبغي على المسلم في تذكره ويستعرض أحوال الأمة والإنسانية، وإذا تحدث عن شيوخه أبرز ما وهبهم الله من مزايا وفضائل وقيم وأخلاق ومبادئ وتفاني في خدمة الإسلام والمسلمين والدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي أثناء ذلك يتحدث عن مدرسته ومنهجها وأسلوبها ومميزاتها، وإذا استوقفته مظاهر مؤلمة تحدث عنها بألمٍ وكأنه يعايشها بنفسه وتخص ذاته فهو في شعره المتنوع الأغراض يبرز الرؤية الفكرية والتربوية والسلوكية والواقعية والقيمية والأخلاقية والعاطفية ومنهجية مدرسة حضرموت في بعض الأحيان، ويكشف سياسة العدو المشترك في الأمة العربية والإسلامية ويتحدث عن معالم المرحلة ومفرداتها الثقافية المنتشرة.

وتجد في شعره الذوقية الأدبية والرصانة البنائية ووضوح الفكرة وسلاسة العبارة والصور البلاغية والمفاهيم البيانية والمعاني الراقية، وشعره يدور في مجالات عدة منها:

أولاً : مناجاته للذات الإلهية :

(مَوْلَايَ أَنْتَ الْمُرْتَجَى)

مَـــوْلَايَ أَنْــتَ الْمُرْتَجَــى فِــيمَا نَــزَلْ ... طَــالَ الْمَــدَى مَــوْلَايَ وَالهَــمُّ اكْتَمَــلْ

مَــنْ ذَا يُغِيــثُ النَّــاسَ مِمَّــا قَــدْ جَـرَى ... عَــزَّ الرَّجَــا فِــيمَنْ سِــوَاكَ مَــا العَمَــلْ

صَــيْحَاتُ أَطْفَــالٍ غَــدَتْ فِي رَبْعِنَــا ... مِــنْ كُــلِّ بَيْــتٍ بَعْــدَمَا ضَــاعَ الأَمَــلْ

مَــوْلَايَ أَهْــلُ الإِفْــكِ وَالــدُّنْيَا غَــدَوْا ... مِــنْ أَجْلِهَــا بَــيْنَ القِتَــالِ وَالجَــدَلْ

قَــدْ بَــدَّدُوا الأَمْــوَالَ فِي حَــرْبٍ دَهَــتْ ... شَــعْباً فَقِــيراً بَائِســاً مِــنْ حَيْــثُ حَــلْ

شَـــعْباً يَمَانِيّـــاً يُعَـــانِي مِحْنَـــةً ... فِي سَـــابِقٍ وَلَاحِـــقٍ وَلَمْ يَـــزَلْ

إِنْ كَـــانَ يَـــا مَـــوْلَايَ هـــذا ذَنْبُنَـــا ... أَصَــابَنَا فَــارْحَمْ وَسَــامِحْ مَــنْ غَفَــلْ

وَاعْطِــفْ عَــلَى مَــنْ تَــابَ مِــنْ آثَامِــهِ ... وَاسْـبِلْ عَلَيْنَــا السَّـتْرَ فَالخَطْـبُ جَلَـلْ

فَـــرِّجْ عَلَيْنَـــا يَـــا إِلهِـــي وَاكْفِنَـــا ... شَرّاً مَقِيتــاً فِي الرُّبُــوعِ قَــدْ نَــزَلْ

قَـدْ ضَـاقَتِ الأَحْـوَالُ مِمَّـا سَـامَهَا ... مِـنْ وَابِـلِ النِّـيرَانِ فِي كُـلِّ مَحَـلْ
قَـذَائِفُ التَّـدْمِيرِ لَمْ تُبْـقِ لَنَـا ... بَيْتـاً سَـلِيماً غَـيْرَ مَـا شَـذَّ وَقَـلْ
هَتْـكٌ وَقَتْـلٌ بَـيْنَ أَبْنَـاءِ الحِمَـى ... كَمِثْـلِ عَـشْرَاءَ جَـرَتْ خَلْـفَ جَمَـلْ
شَـبَابُنَا مَـا بَـيْنَ مَفْتُـونٍ غَـدَا ... أَوْ هَـدَفٍ لِلْقَتْـلِ مِـنْ حَيْـثُ ارْتَحَـلْ
وَالعَـاجِزُونَ تَحْـتَ أَنْقَـاضِ البِنَـا ... مَـا بَـيْنَ مَجْـرُوحٍ وَجُـرْحٍ مَـا انْـدَمَلْ
وَغَـادَةٌ مَفْجُوعَـةٌ فِي خِـدْرِهَا ... وَذُو عِيَـالٍ بَـائِسٌ مِمَّـا حَمَـلْ
مَـوْلَايَ جَـلَّ الكَـرْبُ أَنْـتَ المُبْتَغَـى ... لا غَـيْرُكَ الكَـافِي لَنَـا مِمَّـا حَصَـلْ
عَجِّـلْ فَـمَا التَّـأْخِيرُ إِلاّ طَبْعُنَـا ... وَالأَمْـرُ يَقْـضِي غَـارَةً تَشْـفِي العِلَـلْ
غَوْثَـاهُ يَـا مَـنْ لَا يَـرُدُّ سَـائِلاً ... غَوْثَـاهُ يَـا رَبَّـاهُ أَدْرِكْ فِي عَجَـلْ
بِالمُصْـطَفَى وَالآلِ فَاكْشِـفْ مَـا بِنَـا ... وَارْفَـعْ صُـنُوفَ الابْـتِلَاءِ المُفْتَعَـلْ
آمِـينَ فِي آمِـينَ يَـا رَبَّ الـوَرَى ... فَـرِّجْ إِلَهِـي وَاتْبِـعِ الأَمْـرَ بِحَـلْ
وَالخَـتْمُ بِالمُخْتَـارِ مِثْـلَ بَـدْئِنَا ... وَالحَمْـدُ للهِ الَّـذِي عَـزَّ وَجَـلّ
نَسْـتَغْفِرُ اللهَ وَنَرْجُـو كَرَمـاً ... أَزْكَـى صَـلَاةٍ لِلنَّبِـيْ طَـهَ الأَجَـلْ
وَالآلِ وَالأَصْـحَابِ سَـادَاتِ الـرِّضَى ... وَتَـابِعٍ مُتَـابِعٍ نَهْـلاً وَعَـلْ

ثانياً : مدحه للجناب النبوي في زياراته :

أنشد حال زيارة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة ١٤ جماد ثاني ١٤٣٦هـ

إِلَيْـكَ طَـهَ حَبِيـبَ اللهِ شَـكْوَانَا ... فِي رَفْـعِ مَـا قَـدْ عَـرَى فِي عُمْـقِ مَثْوَانَـا
أَصَـابَنَا الـضُّرُّ فِي أَهْـلٍ وَفِي وَطَـنٍ ... وَازْدَادَ جَـوْرُ العِـدَا بَغْيـاً وَعُـدْوَانَا
حَتَّـى مَتَـى يَـا كَـرِيمَ الوَجْـهِ حَالَتُنَـا ... تَـزْدَادُ سُـوءًا وَمَـنْ إِلَّاكَ رَجْوَانَـا
نَسْتَشْـفِعُ اللهَ فِي أَكْنَـافِ حَـيِّكُمُ ... أَنْ تَنْظُـرُوا الأَمْـرَ فَـالمَقْهُورُ قَـدْ عَـانَى

صُبَّ البَلَاءُ عَلَى مَنْ لَيْسَ فِي يَدِهِ ... سَيْفٌ وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ صَارَ مُهْتَانَا

أَطْمَاعُ قَوْمٍ غَدَتْ نَاراً تُنَازِلُنَا ... حَرْقاً وقَتْلاً لِأَقْصَانَا وَأَدْنَانَا

طَالَتْ مُعَانَاتُنَا دَهْراً عَلَى مَضَضٍ ... وَاليَوْمَ صِرْنَا نُعَانِي الضَّعْفَ أَلْوَانَا

شَعْبٌ تُبَدِّدُهُ الأَحْقَادُ حَيْثُ مَضَى ... حُكَّامُهُ يَكْتُبُونَ الدَّمَ عُنْوَانَا

تَلَطَّخَتْ أَرْضُنَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ... أَشْلَاءَ قَدْ مَلَأَتْ سَاحاً وَمَيْدَانَا

وَبَدَّدَ الخَوْفُ مِنْ أَطْفَالِنَا فَرَحاً ... جَفْواً مَرَاقِدُهُمْ صُمّاً وَعُمْيَانَا

يَا خَيْرَ مَنْ سَجَدَتْ للهِ جَبْهَتُهُ ... مُسْتَنْصِراً جَاءَ يَرْجُو مِنْكَ رِضْوَانَا

يَا سَيِّدِي هَا أَنَا قَدْ جِئْتُ مُنْطَرِحاً ... فِي سَاحَةِ الجُودِ أَبْغِي مِنْكَ بُرْهَانَا

مَا جَاءَ بِي غَيْرُ ما يَغْشَى مَرَابِعَنَا ... فِي وَاسِعِ اليَمَنِ المَيْمُونِ مَأْوَانَا

مِنَ الصِّرَاعِ على الدُّنْيَا وَمَظْهَرِهَا ... وَفِتْنَةٍ شَرَّدَتْ شِيباً وَشُبَّانَا

لا شَأْنَ لِي سَيِّدِي فِيمَا تُبَرِّرُهُ ... أَقْمَاعُ إِعْلَامِنَا زُوراً وَبُهْتَانَا

شَأْنِي بِمَنْ هُتِكُوا مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ ... إِلَّا لِأَنَّهُمُ فِي اللهِ إِخْوَانَا

وَضَعْتُ هَمِّي عَلَى بَابٍ بِهِ أَمَلِي ... بِاسْمِي وَبِاسْمِ الَّذِي فِي اللهِ وَالانَا

مِنْ كُلِّ مُسْتَضْعَفٍ فِي العَصْرِ مُنْكَسِرٍ ... لا يَبْتَغِي غَيْرَ دِينِ اللهِ بُنْيَانَا

جِيلُ السَّلَامَةِ مَنْ سَارُوا بِسِيرَتِنَا ... وَسِيرَةِ القَوْمِ أَوْلَى النَّاسِ إِحْسَانَا

أَنْ تَكْشِفَ الضُّرَّ يَا رَحْمَنُ فِي عَجَلٍ ... بِسِرِّ طَهَ كَرِيمِ الوَجْهِ نَادَانَا

وَلْيَبْلُغِ الصَّوْتُ فِي آفَاقِ مَطْلَعِهِ ... إِجَابَةً تَمْلَأُ الأَكْنَافَ إِيمَانَا

تُزِيلُ ثَائِرَةَ التَّرْوِيعِ عَنْ عَدَنٍ ... وَعَنْ أَزَالٍ تُزِيلُ الهَمَّ وَالرَّانَا

فَالكُلُّ فِي يَمَنِ الإِيمَانِ قَدْ هَلَكُوا ... فَقْراً وَجُوعاً وَأَنْتَ اللهُ مَوْلَانَا

يَا رَبِّ يَا مَنْ بِهِ الأَكْوَانُ قَائِمَةٌ ... عَبْدٌ عَلَى بَابِ طَهَ قَدْ أَتَى الآنَا

يَرْجُو الإِغَاثَةَ فِي أَجْلَى مَظَاهِرِهَا ... بِالمُصْطَفَى المُجْتَبَى والآلِ آبَانَا

وَالصَّحْبِ مَنْ صَدَقُوا عَهْداً بِهِ عَهِدُوا ... وَتَابِعٍ صَادِقٍ مَا صُبْحُنَا بَانَا

ثالثاً : تحدثه عن شيوخه وشيوخ مدرسته:

(مَزِيجُ حُبٍّ وَشَوْقٍ)

مَـزِيجُ حُـبٍّ وَشَـوْقٍ بَـاتَ يَغْشَـانِي ... لُقْيَـا الحَبِيـبِ كَـذا اسْـتِقْبَالُ رَمْضَـانِ

هَـذا وَهَـذا لَهُـمْ فِي القَلْـبِ مَنْزِلَـةً ... مِـنْ فَيْضِـهِمْ عِشْـتُ فِي رَوْحٍ وَرَيْحَـانِ

يَـا أَهْـلَ بَيْـتِ الْهُـدَى يَـا سَـادَةً عَرَفُـوا ... سِرَّ الطَّرِيْـقِ اذْكُـرُوْنِي يَـا أُوْلِي الشَّـأنِ

أَتَيْـتُ مِـنْ وَادِيَ الخَـيْرَاتِ تَحْمِلُنِـي ... بَوَاعِـثُ الشَّـوْقِ فِي سِرِّي وَوِجْـدَانِي

وَأَحْمِـلُ الأَمَـلَ المَرْجُـو بِهِمَّـتِكُمْ ... وَمَـا تَحَقَّـقَ فِي أَرْضِي وَأَوْطَـانِي

بُـشْرَى لَكُـمْ فِـيكُمُ يَـا سَادَتِي عَـنْكُمُ ... أَرْوِي لِيَسْـمَعَهَا القَـاصِي مَـعْ الـدَّانِي

هَـذِي القِطَـافُ جَنَيْنَاهَـا بِفَضْـلِكُمُ ... أَنْـتُمْ غَرَسْـتُمْ شُـجَيْرَاتِي وَبُسْـتَانِي

أَنْـتُمْ وَضَـعْتُمْ لَنَـا أُسَّـاً وَقَاعِـدَةً ... أَنْـتُمْ بَنَيْـتُمْ وَرَاعَيْـتُمْ لِبُنْيَـانِي

أَنْـتُمْ صَـنَعْتُمْ لهَـذَا الأَمْـرِ أَوْعِيَـةً ... فَكَـانَ مَـا كَـانَ مِـنْ خَـيْرٍ وَإِيـمَانِ

أَنْـتُمْ رَسَـمْتُمْ عَـلىَ قَلْبِـي وَذَاكِـرَتِي ... مَعْنَـى التَّفَـانِي عَـلىَ صِـدْقٍ وَإِحْسَـانِ

أَنْـتُمْ وَعَـدُّتمْ فَطَـابَ الوَعْـدُ وَعْـدَكُمُ ... وَاللهِ إِنِّي رَأَيْـتُ الوَعْـدَ وَافَـانِي

يَـا سَـيِّدَاً طَـابَ أَصْـلاً وَهُـوَ مَنْبَتُـهُ ... وَطَـابَ فَصْـلاً وَوَصْـلاً بَـيْنَ أَقْـرَانِ

إِنْ كَـانَ سَـعْيُ بَنـي الإِنْسَـانِ مَنْقَبَـةً ... فَسَـعْيُكُمْ سَـيِّدِي لِلْعَـالَمِ الثَّـانِي

جَمَعْـتُمُ الأَمْـرَ فِي عَـصْرٍ وَمَرْحَلَـةٍ ... طَابَـتْ بِكُـمْ شَرَفَـاً يَـا خَـيْرَ إِنْسَـانِ

عَلَّمْتُمُونَـا طَرِيْـقَ الـذَّوْقِ وَهُـوَ بِكُـمْ ... يَسْـمُوا عَـلىَ كُـلِّ ذَوْقٍ مُطْلَـقٍ آنِي

عَلَّمْتُمُونَـا رُضَـابَ الحُـبِّ مَنْبَعُـهُ ... وَمَـنْ يُحِـبُّ إِذَا مَـا الحُـبُّ نَـادَانِي

عَلَّمْتُمُـوْنِي وَأَنْـتُمْ أَهْـلُ مَكْرُمَتِـي ... عَرَفْـتُ مَـا لمْ يَكُـنْ يَوْمَـاً بِحُسْـبَانِي

أَحْيَيْـتُمُ القَلْـبَ وَالإِحْسَـاسَ يَـا أَمَـلِي ... حَتَّـى شَـعَرْتُ بَـأَنِّي كَـائِنٌ ثَـانِ

قَـرَأْتُ مِـنْ نَظَـرَاتِ الـوِدِّ مَكْتَبَـةً ... سُـطُوْرُهَا نُقِشَـتْ فِي عُمْـقِ وِجْـدَانِي

شَرِبْـتُ مِـنْ نَفَسَـاتِ الفَـيْضِ آنِيَـةً ... وَتَحْـتَ مِيـزَابِكُمْ قَـدْ طَـابَ سِـلْوَانِي

كَـمْ سُرَّ سِرِّي إذَا مَـا طَـابَ مجْلِسَـكُمْ ... بِصَـوْتِ حَـادٍ وَحَـادِ الـرُّوْحِ أحْيَـانِي

كَـمْ غَـابَ حِـسِّي وَذَاتي في مَعِيَّـتِكُمْ ... إنْ كُنْـتُمْ شَرِّفُـوا حَـالي بِألحَـانِي

صَـوْتُ السَّـمَاعِ بَنـىَ في عُمْـقِ ذَاكِـرَتي ... مَنَـازِلاً مَـا بَنَاهَـا سَـيِّدِي بَـانِي

بِكُـمْ بِكُـمْ في دُرُوْبِ الشَّـوْقِ زِدْتُ نَـدَاً ... وَذُبْـتُ وَجْـدَاً عَـلىَ أُسٍّ وَبُنْيَـانِ

وَمجْلِـسُ العِلْـمِ أرْسَـىَ فُلْـكَ مَعْرِفَتـي ... بِسَـاحِلِ الْفَهْـمِ مِـنْ إيحَـاءِ قُـرْآنِ

بِـكَ السُّـنُونَ وَقَـدْ مَـرَّتْ بِـرَبْعِكُمُ ... وَالْقَلْـبُ مجْتَمِـعٌ في طَـوْرِ سِـينَانِ

سِينُ السَّـلامَةِ حَيْـثُ الأمْـنُ مَصْـدَرُهُ ... وَسِـينُ (سَـقَّافْ) أهْـلِ المَطْلَـبِ الهَـانِ

كَـمْ هَـزَّني وَأنَـا أخْطُـوا تَـذَكُّرَهَا ... مَـا مِثْلُهَـا في تَـوَارِيخِي وَأزْمَـانِي

يَـا مَرْكَـبَ الْشَّـوْقِ خُـذْ بي نحوَ مَنْزِلهِمْ ... لا أوْحَـشَ الله مَـنْ قَـدْ عَـاشَ في الحَـانِ

مَـا يُـدْرِكُ السُّـكْرَ إلا مَـنْ يُخَـامِرُهُ ... مِـنْ نَشْـوَةِ السُّـكْرِ مَـا يُشْـجِي لِسَـكْرَانِ

تَـذَكُّرِي لِلَيَـالي الأُنْـسِ يُبْهِجُنـي ... يُعِيْـدُ لي مَـا مَـضَىَ مِـنْ فَـيْضِ أشْجَاني

فِيهَـا طَرِبْنَـا مَـعَ الأقْـدَاحِ وَهِـيَ لَنَـا ... مِـنْ فَـائِضِ الجُـودِ تُحْيـي المَيِّـتِ الفَـاني

يُـدِيْرُهَا بَيْنَنَـا إخْـوَانُ مَكْرُمَـةٍ ... أحِبَّـةً صَـدَقُوا أكْـرِمْ بِـإخْوَانِ

يَـا سَيِّدِي يَـا بْـنَ خَـيْرِ النَّـاسِ مَـا فَتِئَـتْ ... رُوْحِـي بِكُـمْ تَشْـتَهِي عَـوْدَاً إلَىَ الحَـانِ

مَـا لي سِـوَاكُمْ لأنّي في محَبَّـتِكُمْ ... قَـدْ صِرْتُ أشْرَحَ حَـالي دُوْنَ مِيـزَانِ

حَـدِيثُ سِرٍّ وَجَهْـرٍ في مجَالِسِـكُمْ ... يَعُـوْدُ عَائِـدَهُ عِنْـدِي بِـأثْمَانِ

أدَامَ رَبِّي نُـزُوْلَ الفَـيْضِ هَاطِلَـةً ... في رَبْـعِ سَـقَّافِنَا شَـيْخِي وَسُـلْطَانِي

وَإنْ يَكُـنْ سَـيِّدِي في الصَّـمْتِ مَظْهَـرُهُ ... فَمَظْهَـرُ الصَّـمْتِ عِنْـدِي خَـيْرَ تِبْيَـانِ

أهْـلُ الشُّـهُودِ لهُـمْ في صَـمْتِهِمْ حِكَـمٌ ... آمَنْـتُ أنَّهُـمُ في عَـالَمٍ ثَـانِي

يَـا رَبِّ بَـارِكْ لَنَـا في عُمْـرِ عُمْـدَتِنَا ... وَشَـيْخِنَا وَكَـذَا في شَـهْرِ رَمْضَـانِ

وَزَكِّنَـا وَأهْـدِنَا مَـا قَـدْ هَـدَيْتَ لَـهُ ... أهْـلَ المَوَارِيـثِ في سِرٍّ وَإعْـلانِ

وَخُـذْ بِنَـا في طَرِيـقِ القَـوْمِ مَسْـلَكَهُمْ ... سَـيْرَاً بِـسِرٍّ مَقَامَـاتٍ وَإحْسَـانِ

وَاحْفَظْ جَمِيعَ بَنِي الإِسْلامِ إِنَّهُمُ ... فِي عَصْرِ زَيْغٍ وَتَشْتِيتٍ وَبُهْتَانِ
وَانْصُرْ جِيُوشَ الهُدَى مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ ... فِي كُلِّ فَجٍ عَلَى عِزٍ وَرِضْوَانِ
وَاقْمَعْ جِيُوشَ العِدَا مِنْ حَيْثُ مِا نَزَلُوا ... أَذِقْهُمُ الْوَيْلَ فِي ذُلٍ وَخُسْرَانِ
وَاخْتِمْ لَنَا العُمْرَ بِالْحُسْنَى وَعَافِيَةٍ ... مُسْتَمْسِكِينَ بِتَوْحِيْدٍ وَإِيمَانِ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى الهَادِي لأُمَّتِهِ ... مُحَمَّدٍ سَيِّدٌ لِلإِنْسِ وَالجَانِ
وَالآلِ وَالصَّحْبُ مَنْ سَارُوا بِسِيرَتِهِ ... وَتَابِعٍ مُقْتَفٍ أَوْ زَاهِدٍ حَانِ

تحدثه عن الإمام عبد الله بن علوي الحداد في حوليته ٢٧صفر١٤٣٧هـ

كم للرجال مناقب تتألق ... ولكم بها سلك الذين تعلقوا
قامت بهم أركان دين المصطفى ... وبهديهم صلح الزمان الأخرق
فهم الهداة المقتدى بفعالهم ... ومقالهم وبحالهم قد حققوا
مثل الإمام الفرد محيي نهجهم ... وطريقهم حدادنا المتفوق
صان الشريعة والطريقة وارتقى ... شاو الحقيقة غيثها المتدفق
من كالإمام القانت الحداد من ... وضع القواعد شيخها المستوثق
كل الشيوخ تأدبوا لمقامه ... من بعده ولنهجه قد طبقوا
وغدا المجدد في الزمان وحجة الـ ... عصر الذي لا زال نورا يشرق
من حيثما يممت في رحب الدنا ... ألفيت راتبه المشرف يسبق
جل الشعوب غدا لها تحصينها ... والحرز من نوب الزمان وما لقوا
ولكم كتابا صاغه بقريحة ... وسطية شرعية لا تخرق
فانظر لسلسلة العلوم وما حوت ... من منطق سلس حوى ما فرقوا
ولعل في الديوان أشرف شاهد ... يحكي بلاغة شاعر لا يفلق

ومشاعر لأب حنون حاذق بمريده ومحبه يترفق
ولقد صفا عهد التذكر هاهنا والفرع قام بحق أجداد رقوا
طه الذي لما يزل في سعيه ماض يقيم الحول لا يتعوق
جازاه ربي خير ما يجزي فتى برا وصولا في المواقف يصدق
والله أرجو أن يمن لحاضر مدد الترقي حيث سار السّبَّق
والحمد لله الذي لا غيره يعطي ويسدي من يشاء وينفق
والختم بالمختار طه المصطفى والآل والأصحاب من طه استقوا

وقد تحدث عن كثير من الشخصيات الاسلامية الأبوية في منظومات تحدث عنهم وعن سيرهم مثل : بواعث الشجن في نظم سيرة الإمام السبط سيدنا الحسن ، وعقد اللجين في نظم سيرة الإمام السبط سيدنا الحسين والمنظومة الغراء في ملخص حياة الصديقة فاطمة الزهراء ، والوريقات الخضراء في مختصر حياة أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى ، والمنظومة الملاذية في نظم السيرة المعاذية ، ومنظومة عقد الجواهر في نظم حياة وهجرة الإمام المهاجر ، والقبس النوراني في نظم ترجمة القطب الكبير الشيخ الإمام عبدالقادر الجيلاني ، والصواع السلطاني في نظم سيرة السلطان عبدالحميد الثاني وتشنيف الكؤوس في نظم حياة الإمام أبي بكر العدني العيدروس، ومنظومة مطالع الإسعاد في نظم سيرة الإمام الحداد.

وقد سد فراغاً تربوياً بواسطتها ، وبين المنهج الأبوي في تناول كثير من الشخصيات .

رابعاً : تحدثه عن المناسبات الإسلامية العالمية:

(إطلالة العام الهجري)

عام أطل بما يقضيه بارينا في الكون من قدر يطوي ليالينا
تبارك الله فيما شاء يفعله فينا رضينا بما قد شاءه فينا

نحـن العبـاد عـلى ضـعف ومسـكنة نحـي ونحفـز في دنيـا أمانينـا
تمـر أيامنـا صرعـى بغفلتنـا يومـا بيـوم وعـين الله تحمينـا
عـام تبـدى عـلى الأكـوان منـدفعاً وغـاب في عجـلٍ مـن خلـف ماضـينا
شـواهد العمـر تبـدو في ملامحنـا ومفـرق الشـيب مـرآة تحاكينـا
كـم مـر عـام بنـا والـذات مشـغفةٌ كـدا وحرصـاً نشـيد الأرض تزيينـا
أواهُ مـا فتئـت نفـسي تنـازعني سـوء السـلوك فكـم خنـا مبادينـا
أطللـت يـا عامنـا الميمـون متخـذاً شـكلاً غريبـاً إذا قسـنا المضـامينا
ذمٌ ودمٌ سرى فينـا يبـددنا ويصـنع اليـتم في أطفالنـا دينـا
والحـرب تلـتهم الخـيرات في نهـم حربـاً ضروسـاً بنـت حقـداً بنادينـا
لـولا التفـاؤل في المـولى لمـا حملـت أنثـى جنينـاً ولا اخضـلت روابينـا
نؤمـل الفـرج الموعـود وهـو لنـا وسـيلة الصـبر إن الصـبر هادينـا
لله في الله إن الصـبر مكرمـة مهـما اسـتطال العـدا سـلباً بوادينـا
يـا فـتح عجـل فقـد صرنـا بحاضرنـا سـقط المتـاع غثـاء مـات راعينـا
نهـوى التقـدم في الإسـفاف فهـو لنـا علامـة العـصر والعـادات تغوينـا
مـالي وللشـؤم إن الشـؤم مفسـدة عـد بي أخـا الـذوق حيـث الأنـس يروينا
لا زلـت أرقـب في الأكنـاف مدرسـة غـراء ظلـت عـلى وعـي تناغينـا
مـا مثلهـا ابـدا في العـصر منتهجـاً مـن حيـث سرنـا رأينـا المـنح يأتينـا
ربانهـا العلـم نهجـاً مثلـه عمـل مقياسـه ورعٌ والخـوف داعينـا
منـه اقتبسـنا الرجـا في الله خالقنـا مـع التـأدب والإخـلاص حادينـا
إن جانـب النـاس نهـج السـلم واتبعـوا عوامـل الإفـك لا زالـت معانينـا
نبنـي السـلام ونحيـي نهـج ملتنـا مستمسـكين بـما قـد سـار أهلونـا

(بحر الهجرة)

بمناسبة زيارة المدينة المنورة في مطلع المحرم عام ١٤٣٧هـ

في بحـــرِ هجــرةِ طـــهَ زرتُ مثـــواهُ ... أرجـــو القبـــول عســـى بـــالله نحضـــاهُ

مـــا رمـــت مـــن منـــزلي ضربـــاً لطيبتـــه ... إلا لِأَلْقـــى النـــدى مـــن طيـــب رِيـــاهُ

ظنـــي جميـــل بـــربي حيـــث وفقنـــي ... وبالحبيـــب الـــذي يعطـــي عطايـــاهُ

أســـتعجل الرفـــد في يـــومي لأحملـــهُ ... في آخـــر اليـــوم مغمـــوراً بفحـــواهُ

مـــن أمَّ طيبـــةَ في أيـــام موســـمها ... وكلهـــا موســـمٌ مـــن حيـــث شـــئْناهُ

يلقـــى الأمـــاني وسر الأمـــن في بلـــد ... قـــد شـــاد فيهـــا رســـول الله مـــاواهُ

يـــا طالـــب الفـــتح إن الفـــتح مصـــدره ... شـــباك حـــضرته فاشـــهد محيـــاه

لا تشـــغلن فـــؤاداً طالمـــا نظـــرت ... عينـــاك شـــباكه تحـــضى برؤيـــاه

رؤيـــاه بالـــسر أمـــرٌ صـــح ملحظـــهُ ... والعـــين إن نظـــرت شـــيئاً فمعنـــاهُ

طوَّفـــتُ في كـــل أرضٍ باحثـــاً ســـكناً ... عامـــاً بعـــامٍ فقـــالوا عـــد لمغنـــاهُ

ســـاعاتك الغـــر في أرجـــاء موطنـــه ... خـــير مـــن العمـــر في أفجـــاج مـــن تـــاهوا

مـــن يســـتمد النـــدى مـــن حيـــث فائضـــه ... نـــال المنـــى وأمـــان الله يرعـــاه

مدينـــة الفـــيض ســـحاً حيثـــما وكفـــتْ ... أمطـــار سر الـــرضى ســـبحانك الله

مـــا زرتهـــا أبـــداً إلا وأشـــعرني ... سري بهيبتهـــا مـــن حيـــث مأتـــاهُ

في كـــل شـــبر بهـــا ذكـــرى تجـــاذبني ... لـــسر أسرار مـــن في الله نهـــواهُ

طـــه الشـــفيع الـــذي لـــولا رســـالته ... وذاتـــه بـــرزت مـــا زار أوَّاهُ

طـــه الـــذي شرفـــت أطـــراف عالمنـــا ... بســـاعة الوصـــل لمـــا الله أحيـــاه

طـــه الـــذي ارتفعـــت رايـــات ملتـــه ... في مطلـــق الكـــون لمـــا اختـــاره الله

كـــم كابـــد المصـــطفى مـــن قومـــه ألمـــاً ... وكـــم تـــولَّى عيـــون الـــشرك إيـــذاه

حتـــى اقتـــضى هجـــرة في الله منزعُهـــا ... أمـــرٌ مـــن الله في الأكـــوان جـــلاهُ

يـا دوحـة الـسر في دنيـا فجائعنـا ... أنـتِ الأمـان لنـا مما اقترفنـاهُ

مـا جئـت أركـض في خـوف وفي قلـق ... إلا لمـا هـالني في العـصر رؤيـاهُ

جفـت مـدامعنا مـن نـبض أعيننـا ... في أنهـر الـدم سـفكاً مـا ألفنـاهُ

يـا راعـي الشـعث يـا طـه أبـا الفُقـرا ... شـاخت حـروف الرجـا مما جنينـاه

هـل لي بهمـتكم يـا سـيدي دركـاً ... تُحـرِّكُ الأمـر فالأيتـام قـد تـاهوا

سـواحل الـيم ضـاقت مـن تـدفقهم ... غرقـى عـلى ثـبجِ الأمـواج ربـاهُ

ومـوطنُ الأنـسِ حيث الـزرع نحصده ... جفـت منابعـه مـن حيـث نخشـاه

نـار العـداوة والبغضـاء قـد مرجـت ... بـين الشـعوب وهـذا الحقـد أشـباه

ومـا لهـا غـير مـن في الله نعشـقه ... طـه المفـدَّى الـذي ترجـى عطايـاهُ

إن كنـت مسـتعجلا في زورتي وجـلاً ... فحلمكـم أبـداً قـد ذُقـتُ رِيـاهُ

فاسـعف أبـا فـاطمٍ إنـا بحـضرتكم ... جئنـا خفافـاً عـلى ظـنٍ رجونـاهُ

مـا خـاب زائـركم يومـاً لحاجتـه ... قولـوا قبلنـاكُمُ عبـدُ ومـولاهُ

رفعـت كفـي عـلى ضـعفٍ ينـازعني ... مسـتمطراً فعـل مـا مـولاي يرضـاهُ

مـع الصـلاة التـي طابـت روائعهـا ... شـعراً ونثـراً عـلى مـن طـاب مثـواهُ

محمـدِ المصـطفى خـير الـورى نسـباً ... صـلى عليـه الـذي في الصـلب سـوَّاه

والآل والصـحب مـا طابـت مشـاربُنا ... في مجلـسٍ عطـرٍ طبنـا بـذكراهُ

(الربيع النبوي)

ربيـع الهـدى أهـلاً وسـهلاً بـذكراه ... تقـاصر فهـم الغـر إدراك معنـاه

أهلَّـت بـك الأنـوار سـاعة مولـد ... لأفضـل ذاتٍ مـا لهـا قـط أشـباه

إذا جئتنـا في دورة العـام عـادة ... فعادتنـا في الـدين إحيـاء ذكـراه

ربيـع الرضـا لا زلـت فينـا علامـة ... تجـدد في الإسـلام للقلـب مبنـاه

وتعلـــن في الكـــونين أن محمـــداً ... رســول الهــدى لا زال فينــا محيَّــاه
لقـد طـاب خـير الخلـق حمـلاً ومولـداً ... كـما طــاب أصــلاً هكــذا الله أولاه
ونحــن عبــاد الله نعشــق مــن لــه ... مــن الله تخصــيصٌ ومــولاه أعطــاهُ
نحــب حبيــب الله ذاتــاً ومنهجــاً ... وبالحــب نفنــى دائــم الــدهر نهــواه
ونعلــن في الــدنيا المحبــة مســلكاً ... طريقاً كما قد جاء "من كنت مولاه"
لنــا الــذكريات الغــرُ تحيــي قلوبنــا ... وتربطنــا حــتماً بــماضٍ عرفنــاه
فســلني عــن التــاريخ تــاريخ شرعــه ... وســلني عــن المــيلاد لمــا قــضى الله
أيرضــينا صــمتاً عــن النــور إذ أتــى ... ونتبـع جيـل العـصر في مـا بـه تـاهوا
أيصــلح أجيــال التــدين غفلــةٌ ... عــن الــذكريات الغـر في مـا ورثنـاه
تــرى زمــرة الأبنــاء في غــي عــصرهم ... عـلى منـزع الأهـواء ضـاعوا كما شـاهوا
همــومهم الــدنيا وإشــباع رغبــة ... وتضـييع أوقــات بــما الــرب يأبــاه
دعــوني أحيــي القــوم مــن ســادة الــرضى ... محبــون للمختــار حيــاهم الله
إذا جــاء شــهر النــور نــور محمــد ... تبــاشرت الأرواح بالشــوق نلقــاه
تُجــدد معنــى الحــب مــدحاً لذاتــه ... وتمــلأ رحــب الكــون ذكــرى محيــاه
وفي كــل أيــام الحيــاة منــاره ... يشــع بنــور الــذكر مــا قــط ننســاه
أواني الهــوى تبــدي حصــيلة مــا بهــا ... وكــل إنــاء بالــذي فيــه تلقــاه
فيــا ربنــا زدنــا مــن الحــب شربــة ... لحبــك في طــه حبيبــك نهــواه
ونــق جيــوب الــنفس مــن شر مــا بهــا ... فســورتُها ذلــت فــؤادي ربــاه
وجــدد عــرى الإســلام فينــا فإننــا ... عــلى جــرف هــار نقلــد أعــداه
غزينــا بليــل ثــم صرنــا أذلــة ... نــردد مــا يرجــو العــدو ويرضــاه
تمــر ليــال الشــوق والكــل غافــل ... عن الشوق للمختار بل بعضهم شاهوا
غلــوا ف جفــا الــذات ذات محمــدٍ ... وخـافوا مـن الإطـراء لـو أنهـم فـاهوا

ولـو أنهـم صـلوا عـلى خـير مرسـل | لمـا خـسروا شيئاً ومـا فـاتهم جـاه
كفـاني مـن التعـريض فـالأمر واضـح | ومنهجنـا الإبـلاغ في مـا علمنـاه
ثقـوا واعلمـوا أنـا عـلى الحـق سـيرُنا | وبالسـند المعلـوم في مـا روينـاه
إذا جـاءت الـذكرى ذكرنـا محمـداً | عـلى رُغـم مخـدوع أصـابته دنيـاه
ونجمـع أهـل الخـير في مجلـس الـرضى | نصـلي برفـع الصـوت في مـا ألفنـاه
فـما نحـن في شر ومـا هـي بدعـة | سـمعنا أطعنـا داعـي الحـب جئنـاه
رضـينا بـأن نحيـا عـلى ذكـر أحمـد | فمـن ذكـره الـدنيا تـردِّد أسـماه
فيـا ربنـا صـل عـلى خـير شـافع | وخـير نبـي في الوجـود تبعنـاه
محمـد المختـار مـا هبـت الصـبا | ومـا أنشـد الحـادي وردد معنـاه
وآل النبـي الأطهـار هـم خـير عصـبة | وأصـحابه الأبـرار مـا انهـل ريـاه
ويـا ليلـةَ المـيلاد عـودي بنفحـة | على حاضري النادي ومن طاب لقياه

تهنئة بعيد الفطر لعام ١٤٣٦هـ

يَـا عِيـدَ فِطْـرِ الـرِّضَى نَرْجُـو بِـكَ المَـدَدا | مِـنْ رَبِّنَـا وَعَسَـى نَحْظَـى مَـعَ السُّـعَدَا
فَـمَا عَرَفْنَـا مِـنَ الـرَّحْمَنِ غَـيْرَ نَـدًى | يُجْرِيـهِ مِـنْ بَابِـهِ لِلْعَبْـدِ إِنْ وَفَـدَا
قَـدْ مَـرَّ شَـهْرُ العَطَـا فَيْضـاً وَمَغْفِـرَةً | تُهْـدَى وَتُسْـدَى لِمَـنْ للهِ قَـدْ عَبَـدَا
رَايَـاتُ فَضْـلٍ لهـا في الكَـوْنِ مُطَّلَـعٌ | عـلى مَـدَى الشَّـهْرِ كَـمْ أَوْلَى لِمَـنْ قَصَـدَا
عِتْـقٌ مِـنَ النَّـارِ يَطْـوِي كُـلَّ سَـيِّئَةٍ | مِـنَ الـذُّنُوبِ مَتَـى مَـا العَبْـدُ رَامَ هُـدَى
بَـابُ الكَـرِيمِ إذا يَمَّمْـتَ مَنْزِلَـهُ | نِلْـتَ القَبُـولَ وَمَـنْ قَـدْ جَـاءَهُ سَـعِدَا
فَـرْضُ الصِّـيَامِ أَتَـى مِـنْ أَجْلِنَـا شَرَفـاً | كَمِثْـلِ مَـنْ سَـبَقُوا نَـالُوا بِـهِ الرَّشَـدَا
كَـذَا القِيَـامُ الَّـذِي يُحْيِـي قَوَابِلَنَـا | قَـدْ سَـنَّهُ خَـيْرُ خَلْـقِ اللهِ مُلْتَحَـدَا
مَـا أَجْمَلَ الفَـيْضَ مِـنْ مَكْنُـونِ مَصْدَرِهِ | وَمَصْـدَرِ الفَـيْضِ سَـحّاً لِلَّـذِي وَرَدَا

يَا صَائِماً قَدْ مَضَى شَهْرُ الصِّيَامِ على ... مَا كَانَ مِنكَ قَدُمْ لِلْخَيْرِ مُنْجَرِدا

فَالعِيدُ رِبْحٌ لِمَنْ في الله قَدْ عَبَرَتْ ... كُلَّ اللَّيَالي وَمِنْهُ القَلْبُ قَدْ سَجَدَا

كَمْ سَاجِدٍ تَتَغَشَّى رُوحَهُ مِنَحٌ ... مِنَ الحُضُورِ وَفَتْحُ الله مَا وَعَدَا

رَبَّاهُ مَا أَجْمَلَ السَّاعَاتِ وَهْيَ لنا ... بَابُ اتِّصَالٍ إذا مَا الوَارِدُ انْعَقَدَا

سَأَلْتُكَ اللهُ هَبْ لي مِنْ نَدَاكَ يَداً ... وَالحَاضِرِينَ وَمَنْ وَافَاكَ مُعْتَقِدَا

يَرْجُونَ مَائِدَةَ التَّخْصِيصِ تُسْعِفُهُمْ ... مِنْ فَرْحَةِ العِيدِ مَا لا يَنْتَهِي أَبَدَا

أَلَسْتَ تَغْفِرُ لِلْعَبْدِ الَّذِي اتَّسَعَتْ ... مِنْهُ المَشَاهِدُ لَمَّا جَاءَ مُسْتَنِدَا

يَرْجُوكَ غُفْرَانَ ذَنْبٍ طَالَ مَنْزَعُهُ ... مِنْكَ الرِّضَى وَإِلَيْكَ العَبْدُ مَدَّ يَدَا

جُدْ لي إِلَهِي بِمَا أَرْجُوهُ في دَعَةٍ ... وَحَاضِرِي مَجْلِسِي زِدْهُمْ بِذَا رَغَدَا

وَاجْعَلْ لَنَا كَرَماً مَا أَنْتَ تَمْنَحُهُ ... في لَيْلَةِ القَدْرِ لِلْمَقْبُولِ حِينَ غَدَا

آنِسْ قُلُوباً عَرَاهَا الذَّنْبُ فَاتَّصَفَتْ ... بِالعَجْزِ حَتْماً فَصَارَتْ مَظْهَرَ البُلَدَا

لا تَقْطَعِ الفَضْلَ إِنَّ الفَضْلَ مَصْدَرُهُ ... رَبٌّ كَرِيمٌ مَتَى مَا جَادَ زَادَ نَدَى

وَانْظُرْ إِلَهِي إلى مَا حَلَّ في وَطَنٍ ... لَمْ يَسْتَفِقْ مِنْ أَتُونِ الحَرْبِ مُنْذُ عَدَا

طَالَتْ هُمُومُ جَمِيعِ النَّاسِ وَانْتَزَحُوا ... عَنْ مَسْقَطِ الرَّأْسِ صَارُوا في العَرَا بِدَدَا

عُرْيٌ يُجَرِّدُهُمْ جُوعٌ يُهَدِّدُهُمْ ... فَقْرٌ يُبَدِّدُهُمْ أَوْلَادُهُمْ شُهَدَا

يَا عِيدُ عُدْتَ وفي الأَحْشَاءِ مَخْمَصَةٌ ... عَمَّتْ وَطَمَّتْ وَهَاجَ الشَّرُّ وَاتَّحَدَا

تَعَقَّدَ الأَمْرُ حَتَّى عَاقَنِي سَهَرِي ... مِمَّا شَهِدْتُ وَكَمْ في النَّاسِ قَدْ شَهِدَا

مَاءُ الفُرَاتِ غَدَا مُسْتَوْدَعاً لِدَمٍ ... يَجْرِي بِهِ النَّهْرُ مِنْ أَجْسَادِ مَنْ وُئِدا

وَحَاضِرُ اليَمَنِ المَيْمُونِ مُضْطَرِبٌ ... وَمِصْرُ وَالشَّامُ صَارَتْ مَشْهَداً نَكِدَا

وَحَيْثُ طَوَّفْتُ لا أَلْقَى سِوَى قَلَقٍ ... يُدْمِي القُلُوبَ وَيُولِي الأَمْرَ لِلْبُعَدا

وَاسْتَأْسَــدَ الكُــلُّ ضِــدَّ المِثْــلِ فِي شَرَهٍ — أَمَّــا العَــدُوُّ فَــلَا يَغْشَــوْنَهُ أَبَــدَا

يَـا عِيـدُ عُـدْتَ وَكَـمْ فِي الـنَّفْسِ مِـنْ أَلَمٍ — مِمَّــا يَــدُورُ وَأَمْــرُ اللهِ قَــدْ نَفَــدَا

ولا نَقُــولُ سِــوَى مَــا قَالَــهُ نَفَــرٌ — مِــنْ سَـادَةِ الصَّـبْرِ لَمَّـا جَـاءَ مَـا وَعَـدَا

للهِ إِنَّــا وَإِنَّــا رَاجِعُــونَ لَــهُ — يُهْـدِي الَّـذِي شَـاءَ أَوْ يُغْـوِي الَّـذِي فَسَـدا

يَا سَامِعَ الصَّوْتِ قُمْ بِي نَحْوَ مَنْ حَمَلُوا — سِرَّ الوِرَاثَــةِ مِمَّــنْ صَــاحَبُوا العُمَــدَا

قَـدْ كَـانَ شُـغْلُهُمُ فِي النَّـاسِ دَعْـوَتُهُمْ — إِلَى السَّــلَامِ لِمَــنْ أَصْــغَى وَمَــنْ رَقَــدَا

عِيـدُ السَّـلَامَةِ نَرْجُـو أَنْ يَحِـلَّ بِنَـا — فِي طَــالِعٍ حَسَــنٍ نَحْيَــى بِــه سُــعَدَا

آمِـينَ يَـا خَـالِقَ الأَكْـوَانِ كُـنْ دَرَكـاً — فِـيمَا نُؤَمِّـلُ وَادْفَـعْ مَـنْ وَشَـى وَعَـدَا

وَابْلِــغْ أَحِبَّتَنَــا فِي عُمْــقِ بَــرْزَخِهِمْ — مِنَّــا السَّــلَامَ إذا مــا اسْتَعْرَضُــوا الوَلَــدَا

وَالخَـتْمُ بِالْمُصْـطَفَى خَـيْرِ الـوَرَى نسباً — عَلَيْــهِ صَــلَّى إِلَهِــي مَــا الْمُحِــبُّ حَـدَا

وَآلِـهِ الغُـرِّ وَالأَصْـحَابِ مَـنْ سَـلَكُوا — عَــيْنَ الطَّرِيــقِ وَكَــانُوا لِلْهُــدَى سَــنَدَا

خامساً: تحدثه عن أحداث المرحلة ومتغيراتها:

(عالم الإفك المحلَّى)

قال في ماليزيا - كوالالمبور- الأربعاء ١٩/ ذي القعدة ٨/ ١٤٣٦هـ

عــــالم الإفــــك المحـــــلَّى — بالأكاذيــــــب المثـــــــيرة

قتلــــوا طفــــلاً رضـــــيعاً — في يـــــد الأم الأســـــيرة

دفعــــوا شــــعباً أســــيفاً — نحـــــو يــــمٍ أو بُحـــــيرة

أو محـــــيطٍ مــــــترامٍ — لم يعــــد لــــلأم غـــــيره

ركبـــت قـــارب صـــيدٍ بـــين تصـــميم وحـــيرة
فطغـــى المـــوج هياجـــاً ســـاعة الفجـــر الأخـــيرة
وجنـــون المـــاء أضـــحى مـــارداً قبـــل الظهـــيرة
ســـقط الطفـــل غريقـــاً أمـــه أضـــحت كســـيرة
دمـــر المـــوج قواهـــا وتنـــادي مســـتجيرة
لفظـــت في البحـــر روحـــاً وقضـــت وهـــي حســـيرة
وطفـــا الطفـــل وحيـــداً جثـــةً نحـــو الجزيـــرة
مـــن تـــراه خـــان عهـــداً بـــاع شـــعباً ومصـــيره
هيـــهِ يـــا دنيـــا البغايـــا بـــين فيشـــاتٍ وبـــيره
ســـكر القـــادة صرعـــى بـــين أحضـــان حقـــيرة
نـــازح عـــن أرض شـــامٍ مثلـــه في شـــط صـــيرة
ويتـــيمٌ في عـــراقٍ وبمـــصر المســـتنيرة
ومـــضى الغـــدر يغنـــي بالصـــواريخ الكبـــيرة
لم تـــزل تقصـــف رتـــلاً مـــن فَجِيعـــاتِ العشـــيرة
طـــاب للشـــيطان عهـــدٌ ولمـــن كـــان أجـــيره
ملـــؤوا الأرض دمـــاءً منعـــوا قـــرص الخمـــيرة
حـــاصروا جـــثمان حـــبلى ربطوهـــا بـــالظفيرة
أشـــعلوا نـــيران حقـــدٍ أحرقـــوا زرع الحظـــيرة
حفـــروا للـــدين قـــبراً طمســـوا عـــين البصـــيرة
لم نعـــد نفهـــم حرفـــاً لا ولا نفقـــه ســـيرة
وضـــمير الحـــق أضـــحى بيننـــا بـــاكٍ ضـــميره

سادساً: تحدثه عن قضايا الأمة الاجتماعية وهمومها ومشاكلها السياسية والاقتصادية وغيرها :

فقد صاغ من خلال بعض الصور التي وقف عليها وهي تعبر عن حالة تمر بها أمتنا العربية والاسلامية، فصاغ منها بعضاً من المفاهيم وجعل الصورة رمزاً من رموز الحالات التي تمر بها أمتنا ، وأَدَعُ القارئ هو الذي يستخلص المفهوم من هذه الصور التي عبر عنها بلغته الأدبية؛ ليدرك عمق وعي الشاعر وإظهار الإشارات التي تحويها الصورة .

النموذج الأول



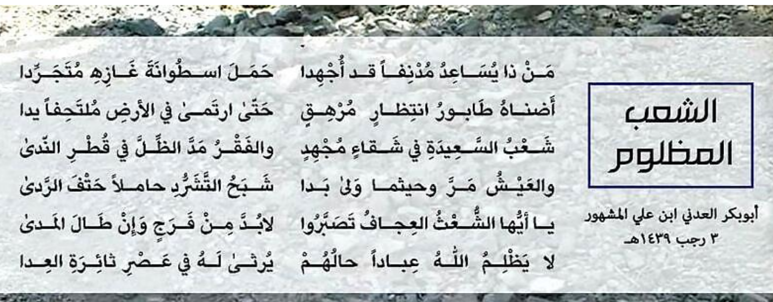
النموذج الثاني



النموذج الثالث



النموذج الرابع





سابعاً: الشعر الحر :

ولمدرسة الشعر الحر مكانةٌ في شعره ويجيده بلغةٍ راقيةٍ ذاتِ مفرداتٍ رفيعة المعاني تدل على حالة مر بها أو مرحلةٍ عاشها أو حدثٍ وقع له في حياته . وله فيه نماذج كثيرة، ومنها :

(من أين أخترق الحياة) ؟.

من أين أخترق الحياة ؟. **بَصَرِيْ حَدِيْد . وشروط همي في مزيد..**
ماذا أريد؟ ماذا أريد؟.
عصري عنيد .. متميّز فذّ فريد . متمكن في رفض مفهومي الجديد ..
لكنني سأغوص عمقه مستفيد .
سأسق تيار التمحور كتلة الوهم الجليد. بالله ، بالقرآن ، بالشرع السديد .
بالسيرة المثلى لطه سيد الكون الأكيد .
الوعي لا يشرى. ولا حتى يباع. خسِئ المزاد. ومن يبيع ..
الوعي موهبة الإله.. في كل مجتهد مُريد.
الوعي يقدح في قلوب العارفين .. الشعث أرباب التقى.
من كل مأسوف حزين. مستلهم فتح الوصيد. يرجو المجيد.
بصري حديد.. وشروط همي في مزيد..
يا عصبة العصر الجديد.
يا نخبة الفكر المدجج بالحديد ، بالنار بالفتك الشديد.
بالمال.. بالدولار والدينار ... مجتمع الرصيد.
من أين أخترق الحياة؟
من بابكم؟، سبحان ربي لا أريد !.
لا و الذي فطر الوجود .. صرتم جنود.
صرتم سماسرة القضايا لليهود.
للشر للشيطان للدجال. للكفر الحقود.
أسفي عليكم يا حشود.

أنا لا أريد .. وكذا شعوب الوحي حتماً لا تريد.

من أين أخترق الحياة...؟!

من بين أروقة الحضارة.. أو وحدة الأديان سقف الاستشارة..

أومن حضوري مؤتمر . أو من حديث أو سمر.

تحييه أجنحة الوزارة أو سفارة.

أنا لا أريد.. وكذا شعوب الوحي حتماً لا تريد.

هذا رَواقُ العولمة.. هذا فحيح الدونمة.

من أين أخترق الحياة.

من بين جمهرة المدارس .. من حيث تحتفر المتارس.

من حيث يفنى الجيل في المركب.

من تاه الملهمون ببطن مشروع معلّب.

من بين مأكول ومشرب.. أو مرتّب.

لا يُرى العلم قضية.

أنا لا أريد.. وكذا شعوب الوحي حتماً لا تريد.

إنما هذا فشل. جاء من صنع الدول.

من أين أخترق الحياة؟.

من واقع الأحزاب آتي. حيث لا أملك ذاتي. تائهٌ في المشكلات.

بين أحجام الكتل. دون حل.

أنا لا أريد.. وكذا شعوب الوحي حتماً لا تريد.

إن في هذا صراع لا يفيد. غير العدو المستفيد.

من أين أخترق الحياة؟

من حيث يختلف الشيوخ! .. من حيث يهتبل الشموخ!.

من واقع الدجل المسيس!

حيث صار الدين فقهاً للتناقض والتباغض ..

والقضايا في رواقات التفاوض والتعاوض.

نسجوا للإفك فينا مرجعية. حيث تنزع الهوية والقضية.

أنا لا أريد.. وكذا شعوب الوحي حتماً لا تريد.

إن هذا نهج إبليس المَريد. عاد للندوة في ثوبٍ جديد.

من أين أخترق الحياة؟!

من ركام المذهبية! . من صراع الطائفية!

من مواجيد السلالة!. أو وهوم الاستحالة!

من نُفايات التحوصل!. من نواميس التمرحل!

كل حزب يلعن الحزب المضاد. كل جيل يرث الحقد المعاد.

وأخيراً جدلية.. قُنِنت في شاشة البغي المبرمج. يهتكون الدين بالقذف الممنهج.

أنا لا أريد.. وكذا شعوب الوحي حتماً لا تريد.

من أين أخترق الحياة؟!

من واقع البسطاء والبله العوام!. من بين مجذوب ومأخوذ اصطلام!.

من حيث ينحسر الكلام!..

من حيث تعنو للهدى سُمرُ الجباه! .. من واقع الناس البسيط!.

إنه من وجهتي أحلى اختراق.

غير أني منه أخشي أن أُكاد وأن أَكيد.

إنه في واقع الأمر خليط.

لم يعد ذاك النقاء. بعد ما انخرق السِقاء.

سأريكم ماذا أريد..

أيُّها الشعب المجيد. عودوا إلى العهد البعيد.

من حيث جاء المصطفى.

يضع الثوابت يستعيد. ويطل بالوعي الأكيد.

بقواسم الدين المفدَّى. حيث لا إفراط أو تفريط. والله شهيد.

أبوية الحق السديد.. شرف الرسالة من جديد.

نستقرأ التاريخ بالفتح المفيد. وحيَ المجيد.

بصري حديد.. وشروط همي في مزيد.
ماذا أريد؟! ماذا أريد؟!

لا تزعجوني يا بني عصري العنيد.. في داخلي أمل بعيد.
فقه التحول مطلبي.. وبه اخترقت الواقع الصلد الشديد.
وقرأت قرآن الصدور. ولا غرور.
فوجدت مخرج أمتي في واقع السنن الشريفة والمنيفة.. منزع الحق التليد.
آمنت أن المصطفى حقاً يعيش. في عمق أعماق الصدور. في كل مجتهدٍ غيور.
وعرفت قانون الوجود. من بين أنياب الأسود.
وقرأت منسوب الحياة. أبوية الشرع الشريف. نبوية الدين الحنيف.
حان العمل. يا أهل عصري يا كُتل. بدأت نواميس الثبات بلا جدل.
بالصبر والتأصيل يتضح الأمل. وعلى عجل.
والحلُّ في الإسلام والإسلام حل.

(عصر الكره) .

كانت بمناسبة احتفالات كأس العالم ٢٠٠٢م

عصر الكره ... والببسي والمسخره...
عصر اليخوت المبحره...
عصر العصيرات المعلبة الجديدة ... والبطاطس والذره ...
عصر التغني والتثني في الليالي المقمره..
عصر التحسي للقناني المسكره... عصر العيوب المسفره...
عصر النساء الكاسيات العاريات القذره..
عصر الحليب البودره ... عصر الحروب الهاتكات المسعره...
عصر التفنن في ابتزاز السوق والإنسان.. عصر السيطره ....
عصر الحثالة والبطالة والشؤن المضمرة ..

عصر البكاء على الهزائم في الكره..

عصر التحدي بيننا والكفره ، والقصف في الأرض السليبة واقتحام مجنزره..

لا مفخره .. عصر القناة الفاجره...

الدين فيها والرذيلة واللحى والثرثره ...

وإضاعة الوقت الثمين وساعة متأخره..

ولكل ذوق ما اشتهى والله أهل المغفره...

ويقول بعض الناس هذا خدمة ...

الحق للإسلام ... في بوق حرام... ما احلى كلام الشيخ فيما قرره...

والمعجبون يطاردون الصورة المتكوره.

يا معجبين بصورتي ورنين صوتي معذره.

لا تشغلوني أيها الأحباب عن أملي... وغاياتي بهذي الشوشره ...

أحيا بما في النفس من آمالها لكن عصري.. لايساوي مظهره.

لوكانت الدنيا تساوي مثل ماقد جاء عند الله.. ما أعطى العقول الكافره....

سبحان من أحيا وسبحان الذي أعمى عيونا مبصره..

عظمت تفاهات التمول والتحول في عقول مقفره..

عظم التطور والتمدن والتحرر.. والأكاذيب المذلة والشره

ودعاية الإفك التي نصبت مشانق مجزره ..

القتل التشريد الظلم الذي لم أذكره ...

أبشع الكذب الشنيع وسفعة الكفر المدجج عسكره..

المسلم الغاوي ضعيف النفس لايهوى سوى ما يبصره..

المال الارباح الدنيا وما تحويه من أصنافها المتدهوره

أبناؤه وبناته يتعلمون السمسره ...

يتسابقون على الحضيض ولكنه .. الكفر المريض بثورة متفجره ..

صلى وفي رمضان صام وهو العبد للشيطان.. لا يدري شؤون القيصره ..

قن قيمئ جؤذره..

ويبيع في سوق النظام .. بضاعة السحت الحرام ... مجاهد في دسكره ...
حبل العدا قد شدّ في خدمة... إلى أيد اليهود الفاجره
مثل النعامة أمتي لا ترفع الرأس احتياطا أن ترى بعض المعاصي المنكره ..
الخزي والعار اللصيق بأمه رضيت تراث الكفره..
في الأسواق والأبواق.. تهدب منه رزق الآخرة...
بين المساجد والمعاهد والقصور المبهره..
هذي مشاريع التداعي للقصيعة معذره ...
أف لعصر لم أجد حتى حليفا أو أليفا.. يقرأ الحرف الجريئ وينظره ....
يتظافر القوم الكرام وعصبة المال الحرام .. على التسامح في الأمور الدائرة ..
ولأنها قدر كما يتوهمون ووهمهم عين التره ..
والعيب يلصق ونفثة الحرف البرئ ؛ لأن دين الله منبوذ وكل يهجره ..
سبحانك اللهم هذا منكر فاغفر لذاتي أن تبوح وتذكره..

(بيعت الأوطان بالشيكات)

بيعت الأوطان بالشيكات.. والإسلام بالصكِّ المزور..
أَيُّ مِنبَرْ.. أَرْتَضِيهِ خَنْدَقَ الحرفِ المصدَّرْ..
أبتغيهِ مَتْرَسَ التعبيرِ عن وعيٍ تفجّرْ..
أزماتٍ ومهماتٍ وأكبرْ..
وأنيناً صادراً من جوف مضطرْ..
شعبُنا المكبوتْ.. في جُبِّ السكوتْ..
كُبِّلَتْ آمالُه الحبلى.. وصار الطفلُ أحمرْ..
حضنوه في فراش اللُّقَطا.. أَطْعَمُوهُ لبنَ الدُّبِّ العجوزْ..
وهو قطعاً لا يجوزْ.. نسبٌ -لا شكَّ- أَعْسَرْ..
كان من قبلُ أَسيرًا..
تحت أيدي بعضِ تجَّارِ الحروبِ العالمِيِّةْ.. وتحرَّرْ..

منحوه خلف أسوار الظلام عِقدا.. صار عَهدا..
واستحالَ العهدُ وعدا.. وتبلورْ..
وتهاوى الصرحُ من تحتِ القواعدْ.. وتبعثرْ..
يتبارى العاشقونَ الآبقونْ.. تحت بابِ الوطنيةْ..
بشعاراتٍ ومظهرْ.. ودراساتٍ تحضَّرْ.. ونِتاجُ الأَمرِ أسْفَرْ..
نَتَنُ الأقدامِ في شاطِئِ صيرةْ يتكرَّرْ..
فَوهةُ البركانِ عادتْ لغةً أعتى وأخطرْ..
أوقدوا النارَ على ماءِ الينابيعِ القريرةْ..
أحرقوا ما كان أخضرْ..
سلبوا الشاطئ أصدافَ المحَارْ..
أغرقوهُ بالنفاياتِ العقيمةْ.. والقُمامات الوخيمةْ.. وحميماً يتموَّرْ..
والمزاميرُ الأجيرةْ.. في الوزاراتِ الكبيرةْ.. والإداراتِ الأخيرةْ.. تتكوَّرْ..
لجنةٌ تأتي كذا وفدٌ تقرَّرْ..
يسألونَ المستشارَ وأساطينَ السفارةْ..
عن مدى تكثيرِ أفراخِ السلاحفْ.. بين سَيْحُوتَ وأَحْوَرْ..
خبراءُ المسخِ من فوق الخرائطْ..
يذرعون الوطنِ الممسوخ أحراراً.. وأهلُ الأرضِ تُجْزَرْ..
والقوارضْ.. تَتَنزَّى خلفَ ألواحِ السَّواعي..
في البريقةْ والمعلَّا.. وكذا في خورِ مَكْسَرْ.. وخفيرُ البحرِ يَسْكَرْ..
كبُلوه بالأماني.. شغلوه بالغَواني.. هزموه بالقَناني.. والأغاني..
دمّروا الغِيرَةَ بالمصْلِ المحَضَّرْ.. باتَ يَشْخَرْ..
ونفيرُ الحاملاتِ السُّودِ دَوَّى..
في الخليجِ الثَّمِلِ المشحونِ عَوَّى.. وجميعُ الرَّكْبِ عَسْكَرْ..
أَلِفَتْ صِبيانُ حَيِّ ((البِنْجِسارِ)) الغُربَا..
أيُّ فرقٍ بين أنواع الغبا ؟.. نحن في عصرٍ به التفكيرُ أَزْوَرْ..

كلُّ تفكيرٍ سليمٍ.. مستقيمٍ.. ختموهُ سلفاً بالشمعِ لِحَمَرْ..
لا يعِش في الأرضِ.. في أمنِ الحِمى.. غيرُ أهلِ الإنتما..
والبواقي كنفاياتِ المزابِلْ.. بل وَأَقْذَرْ..
تَخْرَسُ الأفواهُ في كلِّ المحافلْ..
والخِرافُ الحُمْرُ تَهذي وتَطاولْ.. تحت أضواءِ النيونِ تَتَعَنْتَرْ..
بالمقاييسِ الجديدةْ.. آهٍ.. ما تلك المقاييسُ الجديدةْ..
عَجَلٌ تَطوي مسافاتِ الحروفِ الأبجديْة.. والهويّةْ..
لا ترى في الناسِ أَجْدَرْ.. غيرَ ممسوخٍ مُدمّرْ..
ويحُوتُ المتْخَمِينَ اتَّجَهَتْ نحوَ الحظيرةْ..
لِتُشَارِكْ نُخْبَةَ الأحرارِ.. في صنعِ القراراتِ الخطيرةْ..
بصماتٍ وخيانةْ.. ومزادٌ يتكرّرْ..
كَدُرَ البحرُ الذي قد كان حُلمًا.. وتعكَّرْ..
هاجرتْ أسماكُه عن كُلِّ وكْرٍ.. تحتَ جُنحِ الصمتِ تَزْخَرْ..
خَلَّفَتْ جَيشَ الأُسارى.. والسُّكارى.. والغواني والحَيَارى..
وثعابينَ الولاءاتِ الجديدةْ.. والحَرابي.. وبُويضاتٍ وجَمْبَرْ..
همس الشيخ الدليل.. ما بقِي غير القليل.. هذه آطامُ لُودَرْ..
وَدِّعُوها.. فلعلَّ الغَدَ يدري أنَّ للتوديعِ مظهرْ..
وَدِّعُوها.. فلعلَّ الغَدَ يأتي .. بمَضامينَ وجَوْهَرْ..
وَدِّعُوها.. فلعلَّ الجيلَ يدري.. مَن لأَرضِ الخيرِ دَمَّرْ..
وَدِّعُوها.. فلعلَّ الجيلَ يدري أنَّ في التاريخِ مُنْكَرْ..
وَدِّعُوها.. ربما عُدْنا إليها.. ربما سِرنا عليها..
ربما عِشنا على رَغْمِ المسافاتِ البعيدةْ..أَقْرَبَ الناسِ إليها..
ربما عُدْنا نُعِيدُ القفْرَ أَخْضَرْ..
يا لَهَولَ الغدرِ في عِرْضِ الشُّعُوبْ.. كيف يَنْخَرْ..
كيف تَرْتَّدُ الأهازيجُ نشيجاً.. ودُموعاً تتحدّرْ..

كيف أحلامُ الحماسِ تتبخّرْ..
كيف تُطوى صفَحاتُ الإبتسامْ.. والحلالِ والحرا مْ.. وبنودُ اليأسِ تُنْشَرْ..
نبتَتْ أزهارُ قلبي وهي ثَكْلَى.. وزَّعَتْها الحادثاتُ بين صَنعا والمكَلاّ..
وشآبيبُ الأماني.. لم تَزَلْ في الذاتِ حُبْلَى..
وعجوزُ الذِّكرَياتِ تَتَثَنَّى.. وهي شَلَّا.. تتعَثَّرْ..
بينَ مَضْمُونٍ ومَظْهَرْ..
هَشَّةٌ جُدرانُ أصحابِ القيادةْ.. محتوى الأشكالِ لا يَحوِي إفادةْ..
وجديرٌ بالمضامينِ الدخيلةْ.. أن ترى الإنسانَ مَهدُورَ السيادةْ.. وزيادةْ.. يَتَدَمَّرْ..
يا لذِكْرى يومِ نعيِي.. عندما أعَلنت رأيِي.. وأنا في أوْجِ وَعْيِي.. أتفَكَّرْ..
وَصَمُوني بالعَمَالَةْ.. مِن حُثالاتِ الحُثَالَةْ.. نَزَعُوا عَنِّي انْتِمائي..
جَرَّدُوني مِن رِدَائي.. أَخَذُونِي لِلْمُعَسْكَرْ..
بالعذابِ والوعيدِ اسْتَدْرَجُونِي.. خَلْفَ قُضبانِ الحديدِ اسْتَجْوَبُونِي..
قال مَنْدُوبُ العِصابَة : أنتَ رَجْعِيٌّ عَنِيد.. وانتهازيٌّ مَرِيدْ.. كهنوتٌ يَتَسَتَّرْ..
وكلامًا ليس يُذْكَرْ..
كَمْ ألِفْتُ الانتظارْ.. تحتَ أبوابِ الصناديدِ الأجيرةْ.. أتَصَبَّرْ..
كان لي عندَ المدِيرِ أمرُ نقْلٍ.. وحقوقٌ سُلِبَتْ مِن غيرِ عدلٍ.. وَمُحَرَّرْ..
نِصف عامٍ وهي تُطْوى.. ثُمَّ تُنْشَرْ.. بين سِردابِ الوزِيرِ.. وإلى القصرِ المُدَوَّرْ..
سَألوني.. دُونَ تمييزِ الحروفِ..
من أبوك؟.. كم رفاقٌ يعرِفُوكَ؟.. أيُّ حِزبٍ أنتَ فِيهِ؟.. أينَ كنتَ عامَ سبعينَ المُظَفَّرْ؟.
ما تقولُ في فلانٍ وفلانْ؟.. ومقاييسِ الزمانْ؟
وأخيراً..كتبوا ظهرَ الرسالة :
(لُوحِظَ الأَمْرُ..ولكنْ.. سَنَرَى في الأمرِ أكثَرْ.. فَلْيُؤَخَّرْ).
أُجِّلَ الأَمْرُ لِيُنْظَرَ..
واستوى الفُلْكُ على الجُودِي.. وعَسْكَرْ..
ورمى الرُّبَّانُ أحبالَ الشُّرَاعْ.. في فَضاءِ الاتِّساعْ.. وهْو صِفْرُ الاِتجِّاهْ.. يَتَمَحْوَرْ..

كلَّما اجتازَ حُدودًا.. وسُدُودًا.. وجَدَ الآتي فَراغاً.. هُوَ أَكْبَرْ..
دَلَفَتْ أقدامُهُ الأَمْنَ.. كما ظَنَّ.. وبَعضُ الظَّنِّ إِثْمٌ.. يتكرَّرْ..
هيهِ يا دُنيا.. ظنَنَّا وظنَنَّا.. ثُمَّ ما تُغْنِي ظنونِ الإِثْمِ مُضْطَرْ..
نَشَطَتْ جرذانُ أحواضِ المواسيرِ القديمةْ..
تتشَفَّى.. وهي أخفى.. تملأُ الأرجاءَ شكًّا.. وهْي في ساحةِ مَرْفَا..
تلْقُطُ الأشياءَ حِرصَا..
وبلادُ المسلمينَ اليومَ صارتْ.. كَرْنَفَالَا.. بنطلوناً وعِقَالَا.. وانحِلالاً وابتِذالَا..
جمعتْ من كُلِّ مَظْهَرْ..
ويقولونَ: دليلٌ.. أَنَّنَا شعبٌ تَطَوَّرْ..
قِيلَ للمشدوهِ جَرِّبْ حَظَّكَ الميْمُونَ تَظْهَرْ..
لا تكنْ في عُزلةِ الماضِي حبِيساً.. أَنتَ يَنبُوعٌ تَفَجَّرْ..
خُضْ غِمارَ الحَادِثاتِ المثقلاتِ.. بالأماني.. ضَوْؤُكَ القَادِمُ أَخْضَرْ..
هذه لُعْبَةُ (جُوكَرْ)..
ومضى الأندادُ والأضدَادُ.. في طِسْتِ المعاييرِ الحديثةْ..
والعلاقاتِ الحثيثةْ.. تتَمَحْوَرْ..
وعقولٌ صُنِعَتْ من صِنْفِ آلاتِ الحضارةْ..
تَترَامى باختيارٍ.. مثلِ أعقابِ السجارةْ.. تتناثرْ..
في ممرّاتِ القصورِ المستديرةْ.. والعلاقاتِ الأجيرةْ.. ومُقَرَّرْ..
ورضيتُ الصَّمتَ في لحْدِ وُجُودِي.. رغمَ عَيشي ووُجُودِي..
لِيَ مَفْهُومٌ يُنَافِي.. صُورَةَ الحَالِ المقَرَّرْ.. كُلُّ شَيْءٍ قد تَغَيَّرْ..
بِيعَتِ الأوطانُ بالشيكاتِ.. والإسلامُ بالصَّكِّ المزَوَّرْ..

(والأرض منتنة الجراح)

ذِكْرَاكُمُ في مُهْجَتي.. هي بهْجَتي..
هي بعضُ أحلامي.. كذا أمنيّتي. .
لا تنطفي من (ردهة) القلب الشَّفُوق.. شهيَّتي..

تتداخلُ الألحانُ في ذاتي.. بأعذبِ نغمةٍ.. الذكرياتُ حقيبتي..
وهديةُ الصَّمْتِ الرَّتِيبِ.. إلى ليالي وَحدَتي..
وَمَسَاحَةٌ خَضْرَاءُ.. أَلْتَمِسُ الخُطَى في دَفَّتَيْهَا.. بُكْرَتي وعَشِيَّتِي..
نبتتْ أزاهيرُ الأمَانِي.. وردَةً.. عندَ الأَصِيلْ.. كَأَنَّهَا جَسَدٌ عَلِيلْ..
محمرّةً في صُفْرة.. بينَ الشُّرُوقِ.. ولحظةِ الأمسِ المغيبِ مسَافَتي..
أُغْنِيَّتي وَطَني.. بلا لحنٍ.. ولحني غُربتي..
أستوفزُ الوقتَ الشريد.. توثُّباً.. وَتَرِي يُسابِقُ رَغْبَتِي..
أستعرِضُ الآتي.. وأذرعُ في الخيالِ مدينتي..
أعْدُو على رملِ الطفُولةِ.. كالسَّجِينِ المُفْلِتِ.. أُمنِيَّتي..
لكنَّنِي في اللَوحِ محظُورٌ.. وَعَيْبِي بُنْيَتي..
تَركِيبِيَ الطَّبَقِيُّ عَارٌ..عندهمْ.. وَوَثَائِقِي.. شَخْصِيَّتي..
ولسانُ قَلْبِي نَاطِقٌ.. بِهوِيَّتِي.. وحقيقتي وقضيتي..
أنا مَؤْمِنٌ.. لا أستسيغُ رَوَائِحَ الشَّرَهِ الحديثِ المُمْقَتِ..
ومن المحيطِ إلى الخليجِ بَلِيَّتِي.. ومصيبتي..
أصواتُ ردعِ الغانيات.. على مدائنِ أمتي..
وهم التَّطَوُّر.. من عقولِ الفتيةِ..
أصداؤهنَّ منابرٌ.. للعاشقِ المُتَفلِّتِ..
شَهَواتُهُنَّ مشانق.. للزاهدِ المتزمِّتِ..
يا حسرتي.. جسدٌ حرامٌ مُطْلَقُ الحُرِّيَّةِ..
تحميهِ أشْكالٌ وأمْوالٌ.. حُمَيَّا فتنةِ..
ودجاجلٌ ووسائلٌ.. وبدائل الأمِّيَّة..
كُسِرَ الزُّجَاجُ.. ولم يَعُدْ ذَا قيمةٍ.. وُئِدَتْ مَفَاهِيمُ المُنَى.. في سُوحِنَا..
وأنا أنا.. وهناك أو حتى هنا.. تغزو الجميعَ شرائحُ الهمجيّةِ..
الفرقُ أشبهُ بالزنازينِ الكبيرةِ.. في سجونِ حضارتي..
كلٌّ له زنزانَةٌ.. نمطٌ فريدٌ من تناقضِ أُمَّتِي..

أو كرنفالٌ واسعُ التَّبَعِيَّةِ.. سوقُ مَزادْ.. رَهَجَ البلادْ..
أطرافُها موصودةٌ بالقُوَّةِ..
الشعبُ محمولٌ على مَتنِ الرياحْ..
ضاقَ الفَضَاءُ عن البواحْ.. والأرضُ مُنْتِنَةُ الجِراحْ..
حَرَسٌ تُرَاقِبُ خُطْوَتي..
الدِّينُ محتضرٌ..
وأمَّا صَوْتُهُ المبَحُوحُ مُنْتَصِرٌ.. نَخَبُ غِنَاءٍ مُزْهِرٍ.. تحكيهِ كلُّ إذاعةٍ..
خِدْرٌ يدوِّي في أهازيجِ الصَّباحِ والمَسَا..
ومحاضراتِ العُلَما.. وتناقضاتِ البِدْعَةِ..
تتفاوتُ الأوطانُ في رَسمِ المثالْ..
كالفرقِ بين حرامٍ عصري والحلالْ.. دينٌ يمزِّقُهُ الجِدَالْ.. مُتَمَوِّلٌ بالشُّبْهَةِ..
والدارسونَ الطَّامِحُونْ.. يُهِمُّهُمْ ختمُ الأساتذةِ الكرَامْ..
على بُحُوثِ الإلتزامْ.. نسبةً في نسبةٍ.. والجامعاتُ.. مصانعُ الدِّينَمِيتِ..
في حربِ الكلامْ.. ونشوةً كالإحتلامْ.. تَحْكِي السَّلامَ ولا سَلامْ..
حَرْبُ الخرَابْ.. تحت الثياب.. العلْمُ كالعذْرَاءِ فُضَّتْ بِاغْتِصَابْ..
حُمّى الشَّبَابْ.. قَلْعُ الجُذُورِ الماضِياتْ.. ومسْخُ كُلِّ فضيلةٍ..
جيشُ التَّعَصُّبِ والتَّحَزُّبِ.. جاهز من أجلِ تعميقِ التناقضِ.. في محيطِ الأمةِ..
وأَصَابِعُ أُخْرَى.. تُهَدْهِد صِبْيَتِي..
تُهْدِي الأَمَاني في دِعَايَاتِ المَسَا..
حُلُمَ الجميعْ.. لَبَنَ الرَّضِيعْ.. ومسلسلاتِ العصرِ والشعبِ المُريعْ..
وقواقِعَ التَّوْلِيفْ.. للجيلِ الشَّرِيفْ.. صنعَتْ جيوشُ الفتنةِ..
والعقدَةُ الكبرى.. غرامُ المترَفِينَ بعُقْدةِ الصوفيةِ..
وهُنَا انتهى دَورِي..
وجاءَ الحاكِمُونَ بعُلْبة الشَّمعِ المركَّبِ.. يَخْتِمُونَ قَضِيَّتِي..
في مشرقِ الوطَنِ السَّلِيبِ.. وغُرْبَةِ..

عُمّالِ تلكَ الشّرْكَةِ.. يَتَنَاقَشُونَ.. بِشَأْنِ قَولِي.. فِكْرَتِي..
صَدَرَ القَرَارُ بِتُهْمَتِي .. وسُلِبْتُ في دُنْيا التَّشَابُهِ.. مِن عواملِ عِزَّتِي..
وأنا ومَن خَلفي.. كما يَتَوَهَّمُون.. خَرابُ جِيلِ الأُمَّةِ..
يا حَسْرتي.. دَمْعِي يسُحُ على الجُفُونْ..
رَهَقٌ على رَمْشِ العُيُونْ.. والعمْرُ تَنْهَشُهُ السِّنُونْ..
نَزَفَ الزَّمَانْ.. ولَمْ أَجِدْ أُمْنِيَّتِي[1].

ثامناً: الفن التشكيلي:

وللفن التشكيلي مساحة في فكره وأدبه وثقافته، وله لوحات فنية متعددة في هذا المجال، تشير إلى قضايا وترمز إلى مفاهيم ، وتحكي تصوّرات وتعبر عن رؤية، فكما أنه الشاعر والأديب، واللغوي والمؤرخ والخطيب والمحاور والمربي ، فهو الرسام، وصاحب موهبة فنية في هذا الفن.

السابع عشر : معرفته لواقعه ومرحلته

بعض العلماء والدعاة عمل على نفسه وفكره سياجاً حديدياً جعله لا يعرف واقعه، ولا يعرف عصره سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية التربوية التعليمية، حتى وجد منهم من يرفض أن يستخدم الوسائل الحديثة في التوعية والتربية وإيصال المعلومات، وبعضهم يدرك واقعه ولكنه يدركه من خلال متناقضاته، أو برؤية غيره له .

لكن شخصية شيخنا أبي بكر المشهور – حفظه الله ورعاه – تختلف فقد عرف متطلبات عصره فوعاها، وعرف المرحلة المعاصرة، ففهمها وعمل من أجل أسلمة العقل كي يؤسلم مستجدات حياته، وجعل يتعامل مع الوقت من منظور الفقه السليم ويسير الحياة من منظور الوعي والإدراك، وجعل فقهه للحياة وحياته للفقه بمفهومه الشامل للحياة، وجمع

---

١ – المشهور ، أبو بكر العدني بن علي ، الرموز والأصابع بين قرامطة الأمس .. وقراصنة اليوم ، ص١٥٠–١٦٨ ، الطبعة الثانية ، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

بين الأصالة والمعاصرة إذا صح التعبير عاش بفكره العصر السابق وفهم اللاحق، يتسم بالتحليل للواقع ويعرف مدلول الأحداث العالمية، ويدرك ما ورائها، وكيف ينبغي للمسلم الواعي أن يتعامل معها، وما هي الأطروحات التي ينبغي أن يطرحها على الساحة.

وهذا ما نجده في تسمية مؤلفاته الدالة على وعيه لمرحلته ، وحينما أقول عن شيخنا المشهور (شخصية عرفت الواقع) لا أقصد بالواقع الجغرافي الذي قسمه العدو الكافر وحدد له حدود قسمها بعد ذلك بالواقع الأفريقي أو الخليجي أو اليمني أو العراقي، ولكن أقصد بالواقع العالمي من وجهة سياسية ومؤمراتية، فهو بوعيه يعرف المؤامرات العالمية على الإسلام والمسلمين وعلى ثرواتهم ومكوناتهم، وكيف استطاع العدو أن يسيطر عليها ويستغلها لصالحه، وله معرفة تامة بأسباب الضعف في العالم الإسلامي ومتى بدأ هذا الضعف؟ وإلى أين ستكون النهاية من وجهة تحليلية عميقة ؟.

الثامن عشر: التحليل السياسي العميق لواقع الأمة ومراحلها المفصلية

إن الحبيب أبا بكر المشهور يتمتع بعمق في التفكير والتحليل للمراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها، ويشخص داء المراحل التي مرت بها الأمة، وأعداؤها يحيكون لها المؤامرات الخبيثة للسيطرة عليها وسلبها كل مقومات حياتها، فهو يختزل هذه المراحل في ألفاظ معدودة لكنها عميقة وذات مدلولات واسعة تجعل الإنسان المثقف والواعي والسياسي يقف حولها ويمعن النظر فيها، وأدعو القارئ إلى أن يعيش مع تسميات المراحل الدالة على نضوج فكره فيما تعيشه الأمة الإسلامية ونضوج وعيه في تسمية المراحل الدالة على تضعضع الأمة :

١- **مرحلة الانحسار:** ويقصد بها التراجع.

٢- **مرحلة الاستعمار:** مداهمة العدو للأرض والعرض والعقل.

٣- **مرحلة الاستهتار:** ضياع الأمة وضياع عزتها وشرفها ووحدتها.

٤- مرحلة الاستثمار: استثمار أفكار طرحت ومفاهيم سوقت وفئات وجماعات ذات رؤى متناقضة لإيجاد الصراع في الأمة ، ويشخص المرحلة المعاصرة تشخيصاً مسؤولاً مصحوباً بسعة الوعي في تشخيصه فيقول:" إن الأمة مرت وتمر بمرحلة التطويع ثم مرحلة التطبيع ثم مرحلة التركيع ثم التجويع، وأتمنى لو وقف المثقفون السياسيون والإعلاميون وأصحاب الصيغ الفوقية والعلماء والجماعات والأحزاب ذات النمط القومي أو الديني حول هذه الألفاظ ليعرفوا مدلولها ويعرفوا واقعهم من خلالها وماذا ينبغي أن يفعله الجميع إذا كانوا يحملون مسؤولية وهم يشعرون بها ؟ وقد تكلم عن مظاهر الاستعمار والاستهتار والاستثمار، وأعطى صورة للتحولات في هذه المراحل إذ يقول:"

أ- مرحلة الاستعمار: وبدأت بعد انتهاء مرحلة السراء ونجاح الحرب العالمية الأولى والثانية في تفكيك حدود العالم العربي والإسلامي ومن مظاهرها :

١ - بروز المدرسة الشيوعية الأنوية بالثورة البلشفية.

٢- إقامة الكيان الصهيوني الأنوي.

٣- بروز الأمم المتحدة كغطاء عالمي أنوي.

٤- تقسيم العالمين العربي والإسلامي إلى دويلات قومية وحدود متنازع عليها.

٥- دعم البرنامج القبلي في جزيرة العرب لنقض عرى المدارس التقليدية "المذهبية وآل البيت والصوفية" ذات العلاقة بالقرار الإسلامي على عهد الخلافة.

ب- مرحلة الاستهتار: ومن مظاهرها:

١- شطر العالم العربي والإسلامي إلى رأس مالي وشيوعي إلحادي.

٢- الدفع بالانقلابات والثورات الشعبية.

٣- تشكيل الأحزاب السياسية.

٤- دعم الاقتصاد الربوي العالمي وفتح مصارفه في العالم.

٥-إشعال الصراع الطبقي والاعتقادي في بعض البلاد العربية والإسلامية.

جـ- مرحلة الاستثمار: ومن مظاهرها:

١ – إعادة تشكيل النظام العالمي الموحد وإسقاط النظام الشيوعي العالمي.

٢– إحلال الصراع الاعتقادي المسيس بديلاً عن العداء الطبقي الشيوعي تحت مسمى الصحوة.

٣– توحيد القوى الاقتصادية العالمية تحت سياسة العولمة.

٤ – اجتثاث القوى الحركية المسيسة إسلامية أو غير إسلامية وتطبيع العالمين العربي والإسلامي بمرحلة العولمة ذات القطب الواحد)"[١] .

وكما يقرأ الماضي بمراحله يقرأ المراحل المتتالية قراءة واعية فقد مر العالم الإسلامي بمراحل متعددة ومنعطفات تاريخية صعبة وتقلبات سياسية واجتماعية واقتصادية وتعليمية كان لأعداء الإسلام التحركات الخفية في هذه التقلبات، ولا يستغرب أن يتحرك الأعداء ضد هذه الأمة ويحيكون السياسات الماكرة، فهم أصحاب مكر سياسي عبر التاريخ، إنما يستغرب من أبناء الأمة الإسلامية حكام ومحكومين غفلتهم وتجاهلهم وجهلهم وعدم تيقظهم واستيقاظهم لما يحيكه الأعداء واستقبال السياسات المتتالية على العالم الإسلامي وبغير يقظة وأي تغير سلبي أو سياسة همجية تستقبل وتصبح شيئاً مألوفاً وهذا دليل على الاستتباع من جهة والجهل من جهة أخرى وعدم الإدراك والوعي لمتغيرات الواقع وأحداثه، كما يدرك المتغيرات التي حدثت في الماضي، ويقرؤها قراءة واعية فهو لا يهمل المتغيرات المعاصرة في العالم كله وهذا الإدراك للمتغيرات الماضية والحاضرة لا يعرفها إلا القليل من أهل العلم المعاصرين الذين يملكون الرؤية العالمية والحس الواعي والعقل الذكي في معرفة الواقع ومتغيراته، والتفكير الناضج.

يقول حول المتغيرات والمراحل المتلاحقة على العالم الإسلامي:" وبمقدار معين من التأمل والتفكير وتتبع مجريات المراحل المتلاحقة وقراءة ما يمكن قراءته من كتب المفكرين الإسلاميين المعاصرين أولي البعد العالمي والفكر الإسلامي الشمولي تبرز للمشاهد ألوان متعددة من الصور الباهتة حقاً في مسيرة العالم المعاصر، إضافة إلى تجديد القراءة الحديثة

١– المشهور، أبو بكر العدني بن علي، التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف، ص٣٨٠ ، وما بعدها، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م.

للسنة النبوية وبعث غوامض أسرارها المبينة أدق صور الغثائية الفكرية والاقتصادية والسياسية والتربوية التي تَحُلُ بهذا العالم، عند تكالب الأمم على القصعة الدسمة، مما يكشف بوضوح إعتام الأفق الحديث".

ويضع النقاط على الحروف أمام العديد من مجريات الحياة المعاصرة في عواصم العالم الإسلامي ويرى أن التحولات والمتغيرات الباهتة في العالم الإسلامي وراءها القوى العالمية، وأن لها الضلع الأكبر في إحداث هذه الصورة الباهتة يقول:" لقد تأكد بالدليل القاطع أن للقوى العالمية ضلعاً في كافة الأحداث المتغيرة على رقعة العالم الإسلامي، ولكن الأصابع الخفية المحركة للمسيرات الغثائية قد كسبت الرهان في إدارة دفة المراحل بعناية فائقة حتى اليوم"[١].

ومعرفته بواقعه وبالمراحل التاريخية ومتغيراتها متمثلة في الآتي:

١- قراءة المراحل الاستعمارية المتلاحقة في العالم الإسلامي وبيان رؤيته لها ومنهج التذويب للشخصية الإسلامية وانصهارها في ثقافة وسلوك وأخلاق الآخر:

وبدأت هذه السياسة حينما بدأت التحولات السياسية على المنطقة الإسلامية وعند سقوط القرار الإسلامي الممثل بالخلافة الإسلامية، وصار التدين شعاراً وليس سلوكاً في واقع الأمة، يقول حول هذا المفهوم:" لقد مر العالم الإسلامي المعاصر منذ سقوط دولة الخلافة بمراحل استعمارية متنوعة كان لها أعظم الأثر في تذويب الشخصية الإسلامية لتصبح شخصية تابعة للبرامج الغثائية، وبهذه الغائية المبرمجة صارت شخصية الإنسان المسلم مجرد أداة خدماتية في سوق العرض والطلب ومؤسساته، وبقيت مسالة التدين والعزة الإسلامية مسالة شخصية يتفاوت فيها عمال المؤسسات حسب المواقف الذاتية للفرد منهم وأثر بيئته وأسرته، وليت هذا الأمر كان موقوفاً على هذه الخدعة"[٢].

ونجده يشخص الأفكار المتصارعة داخل الجماعات الإسلامية بأنها ليست إلا مُحَرَّكة من خلال السياسات العالمية ويعطينا الفرق بين"أفكار مختلفة متصارعة " وبين رؤى وفهوم

١- الأطروحة، ص٥٩ .

٢- المصدر نفسه ، ص٦٠ .

تختلف كل واحدة عن الأخرى ولكن اختلافها لا يؤدي إلى تصارع، فالأولى معلوم أنها تخدم السياسة العالمية، والثانية تخدم الشريعة الإسلامية يقول:" بل تطور الأمر من إضعاف الشخصية الإسلامية وخلخلة علاقتها بالدين عبادة وعادة وأمانة إلى تكوين بؤر فكرية متعارضة من داخل الجماعات الإسلامية تدعمها السياسات العالمية بشكل غير مباشر وتهيئ الفرص لتقويتها في الواقع المعتم؛ لمنافسة وضرب وتطويع الغثائيين من المسلمين لحرب دينية عقائدية فتاكة، وبين المرحلة والمرحلة تدفع إلى ساحة التناقضات المهترئة بفصل جديد ينقسم من داخل الجماعة أو تلك ليوسع دائرة التناقضات ويغرب بالناس إلى جحر الضب "[١].

٢- تشخيصه لواقع العالم الإسلامي وأنظمته ومصير العلاقة الاجتماعية بين المسلمين في ظل المصالح ودين الشعارات:

إن العالم الإسلامي منذ سقوط الخلافة الإسلامية قد فرغ من إسلامه الذي يسير له واقع حياته، ويضبط علاقة المسلمين مع أنفسهم وعلاقتهم مع الآخرين وعلاقتهم بمنهجهم، فصار الواقع الإسلامي مفرغ عن معناه الحقيقي، ولم يبق للإسلام مكانة إلا في بعض القضايا، ولم يجتمع المسلمون إلا على مصالح تافهة، ولقد شخص شيخنا المشهور هذه الحالة في أطروحته تحت عنوان " أنظمة المصالح والشعارات " إذ يقول:" هناك فرق كبير جداً بين إسلامية الواقع الإسلامي وبين الإسلام المرقوم في الكتاب والسنة فالعالم الإسلامي اليوم ثمرة نشاط محموم قد فرغ الإسلام الحقيقي عن أوعيته ولكنها بقيت تحمل اسم الإسلام، والإسلام شعار إعلامي ولفظ كلامي لا يتجاوز قيمة حروفه في ذهن المطلع على المعنى المقصود من الرقم "المسلمون" في هذا الواقع المعاصر المعبر عنه بالأنظمة هم مجرد جموع من الناس تجمع بينهم مصالح اجتماعية واقتصادية وانطباعات فكرية متنوعة أكثر من أن تجمعهم مبادئ دينية يجتمعون أو يتفرقون عليها "[٢].

وهذا على الواقع العام أما على واقع الحكومات التي وضعها المستثمر وخططت لها السياسات الماكرة ومزقتها الأيادي الخفية والعلنية - ووضعها لا يحسد عليه - ليس لها في

١- الأطروحة، ص ٦٠ .

٢- المصدر نفسه، ص٦٣ .

علاقتها إلا ما هو معلوم بحسن الجوار يقول:" فالدويلات الإسلامية ممزقة الأوصال وكل دويلة لها دستورها وقانونها وحدودها وسماتها الخاصة بها لا تجمعها مع جارتها من الدول أي صلة رسمية ماعدا ما يسمي في القانون الدولي " بحسن الجوار"(١).

والعلاقة الاجتماعية في حياة المسلمين اليوم انهارت يوم أن انهارت الوحدة الإسلامية في حياة المسلمين وصارت البنى الاجتماعية مشطورة وممزقة وفق التشطير السياسي والحزبي والديني والسلطوي والفئوي.

ولقد أوضح هذا المفهوم بقوله:" والشعوب في هذه الدويلات تنشطر علاقاتهم الاجتماعية وفق انتماءاتهم السياسية والدينية فالحزبيون يتناحرون وفق مرسوم المصالح الحزبية خلال الانتخابات ومواسم الترشيحات وعلى المنابر السلطوية، والفئويون ينازعون الجميع مواقعهم الفوقية والشعبية وفق مرسوم ديني مبني على إشاعة التناقضات وفرقعة التهجمات والتخرصات"(٢). وهذا تشخيص لواقع لا يفهم منه تكفير المجتمعات والأنظمة كما ينهجه الجماعات التكفيرية التي تكفر الشعوب والمجتمعات والحكام .

٣-تشخيصه لانهيار العلاقة الاجتماعية في الأعمال الوظيفية وسبب التناقض الاجتماعي:

علاقة الموظفين والمسؤولين بمن ولَّاهم الله عليهم علاقة خدمة ومسؤولية سيقف الموظف والمسؤول بين يدي الله من أجلها، وهى علاقة إدارة شؤون الحياة وبنائها وليست علاقة مصالح ونهب واختلاس، وهذا هو المفهوم الإسلامي للوظيفة والمسؤولية، ولا أحتاج إلى التدليل من خلال النصوص والواقع ممن أخذوا المسؤولية بحقها.

فالتاريخ مليء بشخصيات إسلامية راقبت الله في مسؤوليتها وكانت الحياة الاجتماعية بينهم وبين الشعوب ملتئمة، أما في ظل المصالح والشعارات والازدواجية فما تراه هو العكس يقول في هذا الشأن : " والموظفون يمارسون الأعمال الوظيفية بآلية صناعية بحتة مجردة عن العواطف والثقة المتبادلة مع تفش الأمراض الإدارية كالمحسوبية والرشوة

١- الأطروحة ، ص٦٣.

٢- المصدر نفسه ، ص٦٣ وما بعدها .

والبطالة المقنعة والتجاوز في العمل والازدواجية والاختلاس والتهاون في أداء الواجبات وتعطيل المصالح العامة"[١].

والسقوط للقيم والأخلاق والبنى الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية وغيرها يخضع لعوامل داخلية وخارجية ، يجدها من له دراسة مستفيضة لواقع الأمة التاريخي ومن له وعى في تقييم الأوضاع ، وقد تكلم عن العامل الخارجي للتناقض الاجتماعي بقوله : " وهذا التناقض المحموم والتمزق المحتوم قائم على قاعدة رسمتها المدرسة الاستشرافية مذ وضعت يدها على مقدرات هذه الأمة هذه القاعدة هي رائدة الصراع في مسرح الأحداث العالمية الإسلامية"[٢].

٤- الجانب الاجتماعي المنهار أقل دراسة في حياة المسلمين اليوم وواجب العلماء في هذا الشأن:

لقد أصيبت الأمة بتغفيل وأورثتها غفلة عما يراد بها، وأصيبت بجهل و تجهيل بنتائج الانهيار الاجتماعي ولم تفقه الأمة السياسة التكتيكية لأعدائها التي أصابت العالم الإسلامي في مقتل، ويرى شيخنا أن هذه المسألة لم تحض بدراسة مستفيضة واهتمام جيد في أوساط المسلمين يقول:"والمسلمون اليوم هم أقل اهتماماً بدراسة هذه المسألة الخطيرة أو فهم نتائجها في حياتهم ولربما كان منهم من يعيب الاشتغال منا بمثل هذا الإيضاح والتبيين، ومنهم من لا يفهم الإسلام العالمي الشامل إلا من حيث يعيش ويفكر ويستفيد، فلا يرى في اهتمامنا بعالمية الإسلام نفعاً ولا جدوى، والعذر لهؤلاء واجب وحتمي؛ لأن المثل العربي يقول: وكل إناء بالذي فيه ينضح "[٣].

على العلماء واجبات مناطة بهم وعلى عواتقهم، وتختلف هذه الواجبات وترتب وفق مفهوم الأولويات، والبنية الاجتماعية جديرة بالتحدث عنها وتنبيه الأمة حولها، وليس واجب العوام يقول في هذا: "ولا نرى وجوب اهتمام العوام من المسلمين بمثل هذا الشأن

١- الأطروحة ، ص٦٤.

٢- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

٣- المصدر نفسه ، ص٦٤ .

إنما نرى وجوبه على العلماء والباحثين ودارسي الجامعات الإسلامية؛ لينزلوه خلال محاضراتهم ومذاكراتهم ولقاءاتهم وندواتهم على مسامع الأمة الإسلامية بلغة يفهمونها ويدركون أبعادها" ونراه يرى أن إغفال هذا الجانب يعد خيانة للعلم والإسلام والأمة إذ يقول: "إن غياب العلم بهذه المسائل عن عقول الأمة خيانة للعلم وللإسلام إضافة إلى إتاحة الفرصة والوقت للدجالين الأفاكين لتثبيت نهجهم المنحرف ليصير قاعدة في المسلمين وهم لا يعلمون، وقد تحقق هذا الأمر واستشرى اليوم بصورة تبعث على القلق وتنذر بشر مستطير والعياذ بالله "[١].

التاسع عشر: الهمة العالية والعزيمة الرائدة في الدعوة إلى الله

شيخنا رضع الدعوة منذ صباه وعاش معها سلوكاً ومقالاً وحالاً كما سبق معنا فلا يستغرب عليه بأن يكون داعية إسلامية من الطراز الممتاز فالشيء من معدنه لا يستغرب، فهو من بيت علم وتقوى ومعرفة ودعوة إلى الله، فالدعوة إلى الله في هذه الأسرة الهاشمية من ضروريات الحياة بالنسبة لهم، لا يستطيعوا أن يعيشوا بدون هداية وتعليم وتعلم، إلا أن شيخنا أبا بكر المشهور له همة عالية فاقت أقرانه ومعاصريه، وكيف لا يكون كذلك وهو من عاش تحت رعاية المولى ـ سبحانه وتعالى ـ ورعاية أبيه والذي كان المحرك الأول بالنسبة له، فقد رباه على العلم والعمل والدعوة إلى الله قولاً وعملاً، يقول عن والده: " لسيدي الوالد شغف كبير بالرحلة في سبيل الله من بلاد إلى بلاد، ومن حاضر إلى باد، ومن ناد إلى ناد، وإلى محل وعزبة وجبل وساحل حيثما كان في الأرض الواسعة، عملاً بحديث رسول الله ﷺ لسيدنا علي بن أبي طالب: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)[٢].

ومن هذا المنطلق الديني العظيم كان سيدي الوالد محباً للرحلة مستسهلاً صعوباتها

١- الأطروحة، ص٦٥.

٢- متفق عليه .

متحملاً وعثائها ومشقتها، وكانت هذه الرغبة منحدرة من رغبة أبيه وجده عن سلسلة الدعاة المهتدين من الأجداد العلويين متصلاً إلى رسول الله ﷺ "[١].

فقوله عن والده " محباً للرحلة " وهكذا شيخنا- حفظه الله- لا يكل ولا يمل في الدعوة إلى الله ونشر العلم، ويقول معللاً استسهال الصعوبة وتحمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الله في حياة والده:" وكانت هذه الرغبة منحدرة من رغبة أبيه وجده عن سلسلة الدعاة المهتدين من الأجداد العلويين " وهكذا أقول بالنسبة له فقد أخذ الدعوة كابراً عن كابر وترعرع وشاب على الدعوة إلى الله ويقول عن والده بأن الرغبة تحققت في الدعوة إلى الله منه منذ صباه:" والذي يعنينا في هذا المضمار أن نشير إلى باعث الرغبة منذ الصبا لدى سيدي الوالد في سبيل نشر الدعوة والرحلة من أجلها " [٢]، والذي ينبغي أن أنبه عليه أن وظيفة الدعوة إلى الله وظيفة تبليغية تعبدية تعبّد الله بها عباده العلماء والأصفياء والأولياء، كما كانت وظيفة الرسل والأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه – من قبلهم، والدعوة إلى الله تختلف تماماً عن الحركة، فهو يمارس الدعوة إلى الله حيث أنها الواجب المناط على عاتقه، وأن هناك جهلاً وشبهات في المجتمع يجب إزالتها عن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار.

ولا بد أن أبين لك أيها القارئ الفرق بين الحركة والدعوة، يقول العلامة البوطي:" الفرق بين الحركة الإسلامية والدعوة إلى الله، أن كلمة الدعوة تدل على معنى لا يتحقق إلا من خلال طرفين اثنين داعٍ يرشد ويبين ويدعو، ومدعو ينطق واقعه بالحاجة إلى من يرشده ويبين له الحق ويأخذ بيده لينهضه من عثراته الفكرية ويحرره مما علق به من شبهات وأوهام، أي أن عملية الدعوة إلى الله لا يمكن أن تتم من خلال نشاط يدور في نطاق طرف واحد، لا بد لتحقيقها من أن يسري هذا النشاط ما بين طرفين اثنين طرف يرشد ويحاور ويُعلّم، وطرف آخر يتلقى ويتعلم ويتجاذب مع الطرف الأول زمام النقاش والحوار، ولا شك أنَّ الطرف الأول هو الداعي الذي متعه الله بالعلم والهداية، وأن الطرف الثاني هو المدعو الذي يفتقر إلى العلم والبيان ومن ثم إلى الهداية. أعتقد أن فينا من يقول: إن هذا شيء

١- قبسات النور، ص ٢٩٠ .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٩١ .

بديهي ولعل أحداً لا يحتاج إلى بيانه أو تأكيده.

وأقول: أما أنه بديهي فنعم، وأما أنه لا أحد يحتاج إلى التنبه إليه فإن الواقع ويالللأسف لا يؤيد ذلك. إنَّ الدعوة التي يفهمها ويمارسها أكثر الجماعات الإسلامية اليوم ليست أكثر من أنشطة تدور حصراً بين أفرادها أنفسهم، وتتمثل هذه الأنشطة كما هو معروف في مناقشات تدور بينهم حول المستجد من أوضاع المسلمين والمشكلات التي تطوف بهم أو التي يعانون منها، وفي تحليل وتقويم واقع الحكومات والأنظمة القائمة في بلادهم خاصة أو في البلاد الإسلامية عامة ثم في رسم الخطط التي تتكفل بترسيخ وجود أفضل وأكثر قوة لهم على طريق السعي للوصول إلى مناطق الحكم والنفوذ ثم في التحرك التعاوني المنظم لتنفيذ هذه الخطط بالسبل المتنوعة الممكنة.

ذلك هو باختصار حجم الأنشطة التي يمارسها أكثر من يسمون بالإسلاميين أو الجماعات الإسلامية والتي يطلق عليها اسم العمل الحركي ثم تدخل في مفهومهم تحت مصطلح (الدعوة الإسلامية)، فهل هذه هي الدعوة التي أمر الله عز وجل بها في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. والتي عناها رسول الله ﷺ، بقوله: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت)؟.

أين هو الداعي المرشد والمدعو التائه في سلسلة هذه الأنشطة الحركية ؟ وأين هو أثر هذه الطريقة من الدعوة على التائهين والجانحين والفاسقين والواقعين في شباك محترفي الغزو الفكري؟ وما أكثرهم على كل صعيد ! .

إنك لتنظر فترى أن برزخاً كبيراً يفصل بين تلك الجماعات التي تنشط نشاطها الحركي الذي أوضحناه، وهذه الخليط من التائهين والجانحين والجاهلين. فليس بين هؤلاء وأولئك أي تلاقٍ على صعيد دعوة أو نقاش أو حوار، بل بوسعك أن ترى بدلاً من ذلك فئاتٍ شتى من أصحاب المذاهب والأفكار الهدامة يتغلغلون بين خليط هؤلاء التائهين والجهال يلحقونهم إلي قراهم النائية، ربما أو إلى أماكنهم المستوعرة فيجلسون إليهم ويؤانسونهم، ثم يبثون في أفكارهم عوامل الشبهات والريب، ثم يسعون إلى إحلال أفكارهم ومذاهبهم الباطلة محل قناعتهم الدينية التقليدية، وذلك بأساليب شتى من الحوار والنقاش، كل هذا

في حين أن الإسلاميين أو الجماعات الإسلامية منصرفون إلى أنشطتهم الحركية الخاصة بهم والدائرة فيما بينهم، ومع ذلك فهم عند أنفسهم وقناعتهم يمثلون طليعة الدعاة إلى الله من خلال هذا العمل الحركي.

وليكن واضحاً أني لست أعني ببيان هذه الحقيقة التهوين من أنشطة هذه الجماعات، وقد أوضحت قبل قليل حجمها وخلاصتها، كما أني لست الآن بصدد تقويمها وبيان مدى أهميتها، ولكن الذي أعنيه أن هذه الأنشطة الحركية شيء والدعوة إلى الله التي هي القاعدة العريضة الأولى للجهاد شيء آخر، فلا يجوز إطلاق اسم أحدهما على الآخر، بل مما لاشك فيه أنه مهما كانت الأعمال التي ينهض بها هؤلاء الإسلاميون صالحة ومفيدة فإنها لا تقوم مقام واجب تعريف الناس بالإسلام ودعوتهم إليه فقط، كما أن من الخطأ بمكان تسمية هذه الأعمال الذاتية دعوة إلى الله)[١].

وما نقلت هذه الكلمة بطولها حول الفرق بين الدعوة إلى الله والعمل الحركي إلا لأهميتها في هذا الباب؛ ولما تحمل من دلالة علمية موضوعية، وهذا النقل الكثير الذي يبعد عن مسألة الاقتباس والرجوع إلى الاستدلال بكلام الغير لجأت إليه ليفهم الآخرون ويراجعوا حساباتهم؛ ولأنه كلام شخصية إسلامية كبيرة لها مكانتها في الساحة الإسلامية.

والسيد أبوبكر المشهور يمارس الدعوة إلى الله لا من منطلق الحركة بل من منطلق الدعوة إلى الله ومنطلق العبادة، ونحن بحاجة في هذا العصر وهذا الظرف إلى مثل هؤلاء الذين يمارسون الدعوة إلى الله من منطلق العبادة والتبليغ لا من مُنطلق الحَركة.

فالدعوة إلى الله يجب أن تكون بعيدة عن الحظوظ النفسية والشيطانية فإن لها مدخلاً إلى أعمال العباد وأقوالهم وعباداتهم وإرشاداتهم إن كانوا من أهل الإرشاد والدعوة إلى الله، ومداخل الشيطان متعددة ، فقد يسيطر على الإنسان فيجعل من تدينه وسيلة يصل بها إلى حظ دنيوي ويجعل الأعمال الإسلامية والدعوة إلى الله ﷻ على وجه الخصوص (ديكورات) أمام الآخرين ويبتغي من ورائها مناصب سياسية أو مكانة اجتماعية أو كثرة الأتباع

١- البوطي، محمد سعيد رمضان ، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، ص٤٢ وما بعدها ، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

والجماهير من حوله، وهذا شيء لا يستغرب، فقد وجد في التاريخ أناس كانت أعمالهم لغرض دنيوي مثل المهاجر الذي هاجر من أجل(امرأة)، والمنفق الذي أنفق رياءً، والمجاهد الذي جاهد شجاعة، وهكذا.

إن الحظوظ النفسية الشيطانية تفعل الأفاعيل بصاحبها، وإني من خلال ما أسمع من محادثات وأرى من لقاءات مع الحبيب أبي بكر المشهور، يقول مخاطباً لطلاب العلم وغيرهم:(إنما أنا خادم لكم فحسب) وهكذا نجد هذه الكلمة وغيرها لها مدلول الإخلاص، وإنما يعتبر الدعوة إلى الله خدمة، وليست تعالي على الآخرين وتكبر، وهذا هو فهمه ودرايته للدعوة إلى الله. ويجب أن تكون الدعوة إلى الله بعيدة عن الأنانية؛ لأن الدعوة إلى الله عمل من أجل أنواع العبادة، وهي تبصير للأمة، وإزاحة شبهات عنها ، وإخراجها من الظلمات إلى النور، وربطها بخالقها، وليست ربطاً للأمة بشخصيات، وهي دلالة على الله، وليست دلالة على جماعات أو أحزاب أو شخصيات،وشيخنا ينطلق في دعوته وسلوكه وإرشاداته وتحركاته من منطلق الدلالة على الله، فدعوته بعيدة عن الأنانية والأحقاد والتعبئة الخاطئة، ولا يرى نفسه أنه يحمل الحق وغيره يحمل الباطل، ويرى أن الداعية إذا اتصف بالحظوظ لنفسه والأنانية وربط الأمة بشخصيات والبعد عن الدلالة على الله فهو محجوب عن الله، والحجاب عن الله أعظم عقوبة من الله للعبد.





الفصل الخامس

مشروعه التجديدي في الفكر والثقافة والتاريخ والتربية والمعرفة

أولاً: قراءة الأحداث بعيداً عن الانفعال الطبعي والعاطفي.

ثانياً: الابتعاد عن الفتن وأسبابها وعن سياسة التحريش والمنافسة في الدعوة إلى الله عز وجل والحركة العامة.

ثالثاً: الدعوة إلى فهم الواقع وتطوراته ومواكبته والاستفادة من كل جديد العلم والمعرفة والصناعة والاقتصاد.

رابعاً: احترام الكرامة الإنسانية وكشف تعرضها لمشروع الصراع الشيطاني التدميري.

خامساً: المناقشة والمراجعة لبعض المفاهيم الفكرية.

سادساً: إحياء المعادل الثالث أخلاق النبوة في العمل الدعوي.

سابعاً: إحياء الركن الرابع من أركان الدين العلم بعلامات الساعة.



ثامناً: الارتقاء بالمسلم من التمحور المذهبي وغيره إلى العالمية الإسلامية وسعتها.

تاسعاً: إيجاد جيل السلم والسلامة.

عاشراً: الحد من مشروع الشيطان وأعوانه والدجال وأزلامه.

الحادي عشر: الاكتفاء الذاتي.

الثاني عشر: سعة العلاقات وضبطها مع التكوينات الفكرية والسياسية والمذهبية والاجتماعية وغيرها.

الثالث عشر: إحياء المدرسة الأبوية النبوية في منهجيتها التعليمية ومنهجيتها في التلقي.

الرابع عشر: ربط التعليم الأبوي بالتعليم الأكاديمي والعكس.

الخامس عشر: إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

السادس عشر : إعادة النظر في فهم المناسبات الإسلامية ، والحوليات والذكريات وتهذيبها من العادات والإفراط والتفريط .

السابع عشر:اهتمامه بالمرأة وتبصيرها بالحقيقة الإسلامية العادلة وإخراجها من طغيان العادات وشيطنة المرحلة المعاصرة.

الذي يقرأ لهذا الداعية العلم منذ أن نضج فكرهُ وبدأت كتاباته ، وارتقت مفاهيمه وتوسعت ثقافته وتحرر من قيود الأطروحات الفكرية والأغلال الانتمائية الضيقة فالمتمعن لما يطرحه في كتاباته يجد أنه يحمل مشروعاً فكرياً وثقافياً وتربوياً وتجديدياً لم تأسره ثقافة المراحل وبرامج السياسيين وتعصب المذهبيين ومواقف الطبعيين الحاملين ثقافة الكراهية والأحقاد والشتم واللعن والكراهية ، ولم تأسره مشاريع الفئويين والحزبيين والإسلاميين الحركيين الذين فشلوا في تقديم رؤية ناجحة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بل قدموا رؤية ناجحة بامتياز في الصراع والنزاع وتأزيم الواقع الفكري والسياسي حتى مشاريعهم الفكرية والثقافية والتربوية في الجامعات الخاصة والثقافة الخاصة فأحزابهم وجماعاتهم وبعض أنظمتهم شاركت في تكوين ثقافة الصراع ومشاريعه الفكرية بين المجتمعات، وأوجدت تمحوراً فكرياً، وتخندقاً مذهبياً وسياسياً ، وتكتلات ضيقة أضرت بالوحدة الوطنية والفكرية والدينية وأثرت على الواقع الاجتماعي فأوجدت انشطاراً في العلاقات الاجتماعية بكل أنواعها ، ولم تأسره الأفكار التقليدية الجامدة والجاحدة التي أضرت بالإسلام والمنهج الأبوي وحاصرتها في زوايا فكرية ضيقة.

وما نراه ونشاهده في مرحلتنا المعاصرة في أكثر من قطر عربي وإسلامي ما هو إلا نتيجة لثقافة ومشاريع قاصرة ومشطورة تصادمية في الفكر والسلوك وأصبحت جزءً لا يتجزأ من الصراع الداخلي على المستوى السياسي والمذهبي والطبقي والعقدي والفئوي والممون داخلياً وخارجياً والمرعي لوجستياً من قبل النظام العالمي الجديد بدهاليزه السياسية ومشاريعه الخارجية وأدلوجياته المستقبلية.

إن المشاريع الفكرية والسياسية والثقافية للجماعات الإسلامية والحركية والأحزاب القومية واليسارية فشلت في تقديم رؤية إنقاذية للوطن العربي والإسلامي من ناحية سلوكية، وإن كانت تملك رؤى وبرامج وسياسات في هذا المجال فهي حبر على ورق لا يجسدها السلوك اليومي والثقافة التربوية لأفرادها وأجيالها لما تعيشه من مماحكات وثقافة المغالبة في الواقع السياسي والتثقيفي والديني وقد أفرزت واقعاً مؤلماً ومرحلة جديدة استسلامية تتجه بالأمة إلى مشروع الآخر بكل معالمه تحت عنوان كبير وسياسة واسعة

يضعها الآخر أخبر عنها سيد الأولين والآخرين بقوله:" تصيرون فيها إلى الكفر"[١].وقد بدأت هذه المرحلة في أكثر من مجال وتبرمج الأمة بتكويناتها الفكرية والسياسية وتدحرج بسياسة عميقة ذات أبعاد إلى هذه المرحلة شعر المسلمون بتكويناتهم المختلفة ذات الأبعاد السياسية والمذهبية أم لم يشعروا .

وفي خضم التحولات والصراعات والنزاعات وفشل الأطروحات والبرامج السياسية والحركية وآثارها السلبية على الواقع والشعوب نجد السيد العلامة الداعية الحبيب أبابكر المشهور حفظه الله يحمل مشروعا فكريا وتربويا وثقافيا وسلوكيا وتعليميا ينقذ ما يمكن إنقاذه في المرحلة المعاصرة على مستوى الشعوب بتكويناتها الفكرية والمذهبية وإشراك التكوينات الأخرى للعمل بهذا المشروع وإنجاحه إن اقتنعوا به.

ومن خلال قراءتي لكتبه ومتابعتي لأطروحاته ومقالاته في بعض الأحداث والمتغيرات وخطاباته واستشعاري لما يحمله من هموم لأمته ودينه ومدرسته ولما منحه الله من عطاء رباني فياض، فإني وجدت أنَّ الرجل يحمل مشروعاً له أهميته في مرحلتنا المعاصرة وجدواه إن عمل به وطبق على مستوى مدرسته وحمله جيلٌ آمن به، وأخذه جيلُ الأربطة والمنتديات بقوة ، ومشروعه التجديدي المبني على قراءة الواقع والنص الشرعي لاسيما نصوص فقه التحولات يتمثل في الآتي:

أولاً: قراءة الأحداث
بعيدا عن الانفعال الطبعي والعاطفي

هناك من يقرأ الأحداث بلغةٍ طبعيةٍ وانتمائية، وهناك من يقرأ الأحداث بلغةٍ عقلانيةٍ واعيةٍ مبنيةٍ على نصوص شرعية ومواقف أبوية مسؤولة، فقراءة الأحداث بلغةٍ طبعيةٍ وانتمائيةٍ سواء كانت انتماءاتٍ مذهبيةً أو سياسيةً تخرج الأحداث عن حقيقتها، وتفسر تفسيراً أنوياً شيطانياً وتتحول إلى مادة دسمة قابلة للاشتعال والإحراق وتدمير الحاضر والمستقبل، ومادة للمزايدات السياسية والتدخلات الأجنبية وسلم عبور إلى فتن سياسية ومذهبية وطائفية وغيرها وتكون مادة للأكل والشرب والعيش على حساب الآخرين .

١- الفتن لنعيم ابن حماد: برقم(٩١)، مكتبة التوحيد القاهرة، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، تحقيق:سمير أمين الزهيري.

ومشروع قراءة الأحداث بعيداً عن الطبع الانفعالي والعاطفي معلمٌ من معالم إعادة قراءة أحداث التأريخ ومتغيراته بمنهج متوازن، وينأى بأهل الإفراط والتفريط الذين وقفوا مواقف جفاء وبغضاء، ومواقف أهل المحبة العاطفيين والذين ينادون بإعادة قراءة التاريخ من منطلق الأحداث ومتغيراتها وفصولها فهم لا يخرجون عن مواقف أهل الإفراط والتفريط مهما كانت دراستهم ذات اعتبارات علمية.

إنَّ إكسير التوازن في تقييم الأحداث والمتغيرات في مرحلة الخلافة الراشدة ، يتكون من النصوص الشرعية ذات الدلالة التحولية والمواقف الأبوية الأخلاقية النبوية من أئمة آل البيت النبوي. إنَّ ضبط قراءة الأحداث بالنصوص الشرعية والمواقف الأبوية بعيداً عن الانفعالات الهمجية والعواطف الهوجائية ضبطٌ لأول مرحلة من مراحل التأريخ الإسلامي بعد النبوة، وإذا اقتنعنا بهذه الرؤية التجديدية لقراءة التأريخ فما بعد هذه المرحلة سهل.

وقد نبهنا الحبيب - حفظه الله - لهذا المنهج في أكثر من كتاب عند تحدثه عما دار بين الصحابة عند ولاية سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وما جرى واعتبرها فتنة سياسية حدثت حيث قال:" إلا أن قراءة الصحابة لفقه التحولات ومجرياته كانت قائمة على فهم التميز النصي بين (نصوص المناقب) و(نصوص المواقف) مما حسم الخلاف وحوله إلى إيجابية وموافقة، وانقطعت عين المشكلة من جذورها، ولم يبق في المسألة عند عودة الاختلاف حولها فيما بعد إلا إنها جزء من تسييس القضايا وسوء الفصل بين فضائل المناقب وشرف المواقف لدى رموز الفتن السياسية المشتغلة بالحوادث دون التعمق في النصوص والحصانات، وسيجد القارئ لفقه التحولات كيف تفهم الفتن وتقرأ الأحداث من واقع النصوص لا من واقع الحدوث والمباشرة، وما لهذه القراءة عند استيعاب تفاصيلها من فائدة وعائد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بعيداً عن التصور العاطفي والتعصب الطائفي، فمسألة القرار الشرعي لا ترضخ لهذين المعادلين"[١].

ويقول أيضاً : " إن قراءتنا في فقه التحولات لمفهوم الفتنة السياسية تختلف كثيراً عن

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، إظهار العلم المكنون عن نماذج حيصات الفتن والرداح المطبقة والشرف الجون، ص٤١ ،الطبعة الأولى، دار المعين للنشر والتوزيع،١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

قراءة الباحثين المرتبطين بمناقشة الحوادث والوقائع وفق مجرياتها السياسية ومخرجاتها"[١].

ويتحدث عن بيعة سيدنا أبي بكر ﷺ يوم السقيفة، ويعتبرها من الأحداث التاريخية الهامة والتحولات المفصلية في التأريخ الإسلامي، حيث يقول:" وفي سقيفة بني ساعدة لم يكن في خلد أحد من المهاجرين والأنصار ما يدور اليوم وقبل اليوم من التعليلات والتصورات التي بناها ركام الوعي المتآمر ؛حتى جعلوا السقيفة صورة من صور الخيانة ونكث العهود، ولعل الصورة في ذاتها عشية وفاته ﷺ هي أنصع بكثير من الركام السوداوي الذي تتهدج به ألفاظ الحريصين على أهل البيت وموقعهم من السلطان، فآل البيت منذ اللحظة الأولى وهم جزء من القرار والاستقرار سواء أكانوا في قمة الحكم أم في رعايا المعرفة والعلم. وهذا هو رأي الشرع ، وأما رغبة الطبع فلا بد أن تعالج بأمر آخر، وعلاجها عند سفن النجاة غير علاجها عند أقماع الغرق، وأقماع الغرق مضطرون إلى تبرير الشر ودعم مواقفه؛ لأنه منهج حياتهم، أما سفن النجاة فهم ينظرون إلى الأمور من وجهة نظر الإسلام ذاته، ويثقون بما نص عليه القرآن والسنة من توثيق الرجال وثباتهم، وأن الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة لن يستعيضوا عن البيعة ورِضى له بالسلطان والحكم لمجرد المنافسة والمغالبة، وإنما هذا يكون في غيرهم من حملة الأقلام والأفلام والأزلام من عبدة العاطفة المجردة عن الأدب الشرعي والسلوك النبوي المرعي.

إنَّ آل البيت هم الأمناء على النصوص وأمناء على المواقف، وبمواقفهم وأمانتهم حُفِظَ الإسلام على عهد الخلافة الراشدة كلها، ولولا وقوفُ آل البيت إلى جانب الخلافة الراشدة، لكان الأمر على غير ما سار واستقر"[٢].

ونجده يتحدث عن الطبع، وأنه لا يقبل الحق، فيقول: "إنَّ الضيق الطبعي على النفوس يأبى قبول الحق من أصله، ويبرر الموقف الناتج عن الضيق بما يناسبه من التبريرات، والتبريرات لا علاقة لها بالحقيقة المرجوة المطلوبة من أمر تفسير الأحوال والمواقف، والأحوال والمواقف من وجهة نظر أئمة آل البيت لا ترتبط بالأحداث ومخرجاتها، ولا بالرأي الشخصي للفرد ذاته، وإنما ترتبط بالمواقف الأدبية الشرعية التي تليق بالأئمة

١- إظهار العلم المكنون، ص١٠٥.

٢- إحياء منهجية النمط الأوسط، ص ٢٠٦ وما بعدها .

والأتباع واللياقة الأدبية ليست تنازلاً ولا رضاً بالظلم وسكوتاً عنه، وإنما هي سموٌ وشرفٌ وحسنُ اهتداءٍ واقتداءٍ؛ لما يحفظ شرف بيضة الإسلام"[١].

وتحدث عن الغلاة الذين يريدون أن يأخذوا الثأر للإمام الحسين-عليه السلام- من عموم المصلين؛ لأنهم كما يقولون كانوا من أهل السنة، ولم يكونوا من الشيعة، أو أن أهل السنة كانوا شركاء في دم الحسين، وبنوا على هذا محاربة المذاهب السنية؛ لأنَّ مذاهبَ السنةِ كانتْ ثمرةً منْ ثمراتِ الملكِ العضوض حسب قولهم، وبنوا على ذلك مواقف عدائية، فقال - حفظه الله تعالى- :" وهذا محض افتراء وجهل بالواقع والأحداث وفسادٍ فيْ قراءةِ تأريخِ أهلِ البيتِ؛ فضلاً عنْ قراءةِ تكوينِ المذاهبِ ذاتِها، ولأنَّ القراءةَ السياسيةَ تنبعُ دائماً منْ أهلِ السياسةِ وسياسةِ الدجلِ، فلاْ بدَّ أنْ يكونَ تعليلُهاْ تحريشاً وإثارةْ .

أمَّاْ قراءةُ الأحداثِ منَ النصوصِ ومواقفِ الرجالِ وذواتِهِمْ تحتَ الالتزامِ بماْ هُوَ معلومٌ منَ الاقتداءِ والاهتداءِ فيْ الإسلامِ، فلا بد أن تُنْشِئَ هذهِ القراءةِ الحدودَ الفاصلةَ بينَ أهلِ السنةِ منَ النمطِ الأوسطِ وأهلِ السنةِ منْ أتباعِ الملكِ العضوضِ.

وكماْ يميزُ أهلَ التشيعِ الواعيْ عنْ أهلِ الإفراطِ والتفريطِ والتسييسِ منْ أتباعِ الرافضةِ والسبئيةِ ومَنْ شَاْكَلَهُمْ منَ المواقفِ والتعليلات المعلومة في كتبهم ومصنفاتهم، وهكذا يكون العدل والإنصاف"[٢].

وبهذه الرؤية التجديدية لقراءة الأحداث السياسية في العصور الماضية أو غيرها، أَخْرَجَنَاْ من مشكلاتٍ فكريةٍ وسياسيةٍ اتسمت بالعدائيةِ، وخرجنا عن دائرة الأخلاق النبوية في التعامل مع المسلمين عموماً، ومع أصحاب رسول الله ﷺ خصوصاً، وسيستفيد من هذه الرؤية والمنهجية مَنْ يستعمل عقله الواعي ومسؤوليته الفكرية والعلمية والمعرفية والثقافية، أمَّاْ مَنِ استخدم عاطفته وعصبيته وأنويته، فلن تنفع معه أيُّ لغةٍ علميةٍ وعقلانيةٍ؛ لأن مشروعه قائمٌ على الأنوية. فهو يفسر كل الأحداث من منطلق أنويته ولو اعتمد على نصوص، فهو يفسرها من انتمائه الضيق .

١- إحياء منهجية النمط الأوسط، ص ٢٠٨.

٢- المصدر نفسه، ص٢٤٣ .

ثانياً: الابتعاد عن الفتن وأسبابها وسياسة التحريش والمنافسة في الدعوة إلى الله عز وجل والحركة العامة

لقد ركز كثيراً في كتبه على أهمية بُعد المسلمين عن سياسة التحريش والمنافسة؛ لأنهما من أسباب الهلاك في الأمم، وما يخشاه في هذه الأمة هو ما يخشاه جده الأعظم صلى الله عليه وسلم حيث أدرك ما يخافه ويخشاه ويسوؤه من خلال قراءته الواعية لسنته صلى الله عليه وسلم وقد قال: (لست أخشى عليكم الفقر) وفي رواية: (الشرك)، (وإنما أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها؛ فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم)[١].وقال صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِيْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِيْ التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)[٢].

فأدرك بوعيه الثاقب وفكره المستنير وقلبه المنور والنقي وعقله المتسع، السياسة الشيطانية التي أخبر عنها سيد الملة محمد صلى الله عليه وسلم في الحديثين، والمتمثلة في سياسة التحريش والمنافسة، وقد أدرك خطورة هذه السياسة الإبليسية على الإنسانية، فقال:" فالتحريش والمنافسة لغةُ هلاكٍ ودمارٍ لا حل فيها ولا علاج من حيثما كان الناطق بها والمتبني لها، بل هي جسر الشيطان والمختلفين"[٣].

وتحدث عن خطورة التحريش بين المسلمين، فقال:"فالتحريش بين المسلمين كلفهم العداوة والبغضاء فيما بينهم، كما كلفهم الاستناد والاعتماد على الكافرين؛ لما لهم من علاقة وطيدة بسياسة التحريش ومساندة القائمين بها في العالم الإنساني والعالم الإسلامي.

وهذا هو الفشل بعينه، وهذا هو سر نجاح اليهود والنصارى والدول المعادية إما ظاهراً وإما باطناً، فالجميع من أولئك يعمل على زيادة الاشتباك والتناقض والتحريش بين المسلمين من خلال تعقيد القضايا بينهم وزيادة التخذيل والوصاية على شؤون الأمة سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وثقافياً"[٤].

١- متفق عليه .

٢- رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٢٨١) .

٣-المرصد النبوي ،١/ ٢١٦.

٤- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٢٢٥ .

والتحريش ثقافة إبليسية وجزء من خطته ومهمته في الحياة بين بني الإنسان ،وصدق الله -جل جلاله- القائل: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. والتحريش وسيلته في تسعير أوضاع الإنسانية عموماً، وأوضاع المسلمين خصوصاً.

كما يعتبر ثقافة وكلائه في العالم الإنساني إلى يوم الوقت المعلوم، وهناك سياسة من الآخر، وتمول من قبل وكلائه في العالم العربي والإسلامي، من مهامها (جر الشعوب إلى الدمار والهلاك والصراع والاقتتال)، وسيلتها التحريش.

"فالثقافة الإعلامية المعاصرة منذ نجاح مؤثرات طرفي الإفراط والتفريط في المسلمين قراراً وشعوباً بُعيد الحروب الكونية وشمول آثار الفكر الاستعماري وما تلاه من ثقافة الاستهتار والاستثمار، قد عملت على تحويل العقول والقلوب والنفوس بالتدرج نحو التحريش والإثارة وحب الانتقام والهتك والفتك والتشفي الطبعي، بعيداً عن الأثر الشرعي في المعاملة والمقاضاة ونيل الحقوق، مع العلم أن التحريش والإثارة الطارئة على المسلمين في مرحلة الغثاء مختلفة كل الاختلاف عن التحريش والإثارة التي كانت صدر الإسلام سواء في الدوافع وشروطها أو في آثار التحريش وثمراته ونتائجه"[١].

وتحدث عمَّا يمتاز به التحريش في مرحلة الغثاء، فأجملها في ثلاثة معالم:

المعلم الأول: أنَّ العدو التاريخي بذل جهداً في دراسة أسباب التحريش وعوامله وجذوره ومنطلقاته بواسطة الاستشراق، وسييس التحريش وأنزله كوسيلة للاستعمار، ونقض به الموروثات بواسطة المتنفذين من المسلمين.

المعلم الثاني: مشاركة قادة الحكم والسياسة والعلم للعدو، بعلم وبغير علم على نفوذه، ومشاركته في هندسة الثقافة والتربية والإعلام، ودفاعه عن صداقته وشراكته؛ حتى تمكنَ من الجميع وسيطر على مواقع النفوذ والتأثير الفكري والتعليمي والشرعي، كما سيطر على مواقع النفوذ الإعلامي والاقتصادي والسياسي من قبل.

المعلم الثالث: انهيار الأمة في المجال الاجتماعي والفكري والاقتصادي وغيرها؛ وبسببها كان اختراق العدو الكافر لمواقع القرار والحكم ومشاركة المنتفعين لهذه الانهيارات

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٢٢٦ .

والنكبات ولا زالت مسيرة المسخ الدجالي مستمرةً ومتطورةً ومستثمرةً للمسألة الاقتصادية والاعتقادية وتفعيل التحريش والصراع بين الشعوب المسلمة"[١].

وبواسطة هذه العوامل والامتيازات استطاع أن يُفَعِّلَ التحريش والمنافسة تفعيلاً جيداُ في أكثرَ من مجال على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي والفكري والثقافي والتربوي والعبادي في المساجد وغيرها ،وجعلهما مادة أساسية في تفعيل الصراع الفكري والسياسي والعسكري في أمة الإسلام، وها هو اليوم يجني ثمرتهما في مرحلتنا المعاصرة ودوره إشرافي وإداري فقط.

ثالثاً: الدعوة إلى فهم الواقع وتطوراته ومواكبته والاستفادة من كل جديد العلم والمعرفة والصناعة والاقتصاد

القارئ لفكر ورؤية الإمام أبي بكر العدني بن علي المشهور، يجد أنه يحمل منهجية واقعية في فهم واقعه وتطوراته الفكرية والمعرفية، ويدرك احتياجات الحياة ومتطلبات الإنسان في حياته المتغيرة؛ لإدراكه أنَّ العلم والمعرفة والصناعة منح الله لهذا الإنسان أياً كان دينه وعقله ومعرفته، فهو قاسم مشترك بين بني الإنسان، يقول الله جل ﷻ:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ *عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾[الرحمن:١-٤].

والبيان من معانيه: إظهار الشيء، والاكتشافات جزء من البيان، والصناعة جزء من البيان، ويقول الله ﷻ:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ*عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١-٥].

فالله جل شأنه عَلَّمَ الإنسان ما لم يكن يعلمه أياً كان دينه ومذهبه، وعلى الإنسان أياً كان أن يستفيد مما يظهره الله على يد الإنسان، فما يظهره الله على يد الإنسان إنما هو عطاء الله وفضله وكرمه، وما على الإنسان إلا أن يتعامل بإيجابية مع هذا الفضل وهذا المنح الرباني، حيث يقول عن قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال:٦٠]:" ومدلول القوة

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٢٢٧بتصرف .

لا ينحصر عند العدد والعدة، بل يتعدد إلى أسباب النصر في المعارك، ويدخل في معانيه التعبئة العامة، والتحريض ودراسة الأحوال الجغرافية والطبيعية وعلم الاستطلاع وغيرها من العلوم التي تنطوي تحت مفهوم القوة وإقامة أسبابها"[١].

ويعطينا رؤية متوازنة في جديد العلم والمعرفة والصناعة وتطورات الحياة استخرجها بعقله المتوازن من بين فرثٍ ودمٍ، وجعلها منهجاً علمياً يتعامل به المسلم مع كل جديد في كلِ زمانٍ ومكانٍ، حيث يقول- حفظه الله ورعاه-:" لقد برز على ساحة الحياة المعاصرة مَنْ آمن بفكرة التحديث للوسائل ولكن على منحى التفريط، فاستعملها في احتضان كل جديد من المعرفة والصناعة والآلة؛ حتى تغرب الجيل خلف الجديد؛ رافضا للقديم وموروثاته ، بل دامغاً لها، ومهمشاً لدورها، ومحرفاً لمفهومها التاريخي الشرعي، وبلغ التفريط غايته عندما احتضنت هذه المدرسة مفهوم التحديث؛ حتى فيما حرم الله، كاستخدام الوسائل الإعلامية المنحلة أو المساهمة فيها أو في تشييد أروقة الربا والمصارف الربوية الحرام. ويقابلها في منحى الإفراط من يأبى الاستفادة من وسائل الحداثة معتبراً إياها (مظهراً للكفر والانحلال) دون تمييزٍ ولا تمحيص"[٢].

ويتحدث عن الحضارات الإنسانية ودورها الإيجابي في مجالات عدة وسماتها السلبية، فيقول:" لا شك أن كافة الحضارات الإنسانية كانت على جانب كبير من الثراء العلمي المادي، وكان لها إسهام كبير في تحريك الطاقات وبروز نماذج الإبداعات القديمة والحديثة، ونحن في عصرنا اليوم نشهد أيضاً المستوى الأعلى من تطور الحضارة الإنسانية واختراقها الفضاء الكوني وأعماق النفس البشرية، ولم يشك أحد بأننا جميعاً عالةٌ في الصناعة والزراعة والعلوم التطبيقية والنظرية على تكلم الدول الحديثة ذات العلاقة المباشرة بالتصنيع والتكنولوجيا المتطورة يوماً بعد يوم؛ حتى طغت لغتها العالمية على كافة اللغات البشرية، وخَفَتَ أمَامَها كلُ صوتٍ فاعلٍ، وتفاءل كل ذي معرفة وديانة؛ حيث لم يعد للروح موقعاً مؤثراً في نفوس الأجيال المصدرة عبر هذه المدارس والجامعات، وإن وجد بقيةٌ من تأثير،

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٣٦ .

٢- المصدر نفسه ، ص٣٧ .

فمحدود جداً في التعبد الذاتي والموقف الشخصي، ومن هنا اعتقد الجل الأوسع من الناس أن الدين الإسلامي مجرد طقوسٍ روحيةٍ وعودةٍ إلى النفس وعزلة عن الحياة واستعداد محض للآخرة ولا غير"[١].

فهو يبين إيجابيات الحضارة الإنسانية، ويبين مواقع الخلل فيها، ويزيل المفهوم السلبي عن الإسلام لدى بعض الناس الذين يعتقدون أنَّ الإسلام مجرد طقوسٍ وعملٍ للآخرة فقط، وعرض وجهة نظر الإسلام في هذا الأمر حيث أنه يهتم بالعبادة ولا يتوقف عند هذه النظرة إذْ يقول: "بل يتعدى هذا الجانب إلى أعظم من كل ما يدعيه حملة العلوم ومفكروا الحضارة أنها قضية التأصيل لهذه العلوم، وإبراز منطلقها الشرعي من واقع الإسلام، وأن الإسلام دين الإذن العالمي بمرور المرحلة الأخيرة في العالم، مرحلة التطور العلمي والتطور الشرعي الروحي "[٢].

ويعتبر الاهتمام بالاقتصاد جزء من الاهتمام بالديانة، وبهذه الرؤية يزيل المفهوم السائد لدى بعض الناس من أن المنهج الصوفي العلمي والمعرفي والذوقي ومدارسه لا يهتمون بالاقتصاد، فيقول:" إنَّ مسألة الاهتمام بالوضع الاقتصادي هو جزء من الديانة والتدين في مبادئ الإسلام، وقد قام السلف الأوائل بهذه الخدمة الاقتصادية على أكمل الوجوه بما يتناسب مع زمانهم وقدراتهم الذاتية، وضمنوا بذلك استقلالية آراء مدرستهم، ونجاح امتدادها في شعوب الأمة"[٣].

بل نجده يضع هذا المفهوم من جملة المشاريع التي ينبغي الاهتمام بها، حيث يقول تحت مشروع إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، فقرة (١):" تجديد الوسائل النافعة الجديدة في مجال التعليم وخاصة في العلم والتصنيع.

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص١٠١.

٢- المصدر نفسه ، ص١٠٢ .

٣- الوثيقة ، ص٨٤ .

وفقرة (٣):" ربط الجيل بالعمل الزراعي بالخصوص، مع رفع إحساس الجيل بالعمل وأهميته والدفع بهم نحو العمل الانتاجي خلال مراحل التعليم بحسب قدراتهم والإمكانات المتاحة، مع عزلهم عن الخلاف والاختلاف الفكري بكافة نماذجه "[١].

رابعاً: احترام الكرامة الإنسانية وكشف تعرضها لمشروع الصراع الشيطاني التدميري

الكرامة الإنسانية مقدسة لدى كل الشرائع السماوية والوضعية، وإن أهينت الإنسانية في مرحلتنا المعاصرة من قبل أنظمة الدجل والدجال، وقد جاءت رسالة الإسلام باحترام الكيان الإنساني ومقدسة له ورافعة من شأنه، بغض النظر عن لونه وفكره وتدينه وانتماءاته السياسية والمذهبية، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٠].

وقد احترم النبي الأعظم الإنسان وكرمه، حيث لم تكن رسالة الإسلام إلا رافعة من شأنه وإعلاءً لمكانته وتقديساً لآدميته، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات:١٣]. وقد قام ﷺ لجنازة، فقيل: أنها جنازة يهودي. فقال ﷺ :﴿ أليست نفس ؟!﴾.

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا السلوك النبوي أعطى المسلمين والإنسانية درساً عملياً في احترام وتقدير وتقديس الكرامة الإنسانية، فبالعزة والكرامة فتح العالم الإنساني بأيدي الحفاة العراة(بسطاء الأمة)، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[الأحزاب: ٣٥].

وفُقِدَتِ العزةُ والكرامةُ بأيدي الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان؛ تطاولاً في الماديات والمظاهر الزائفة ، مع فشلٍ ذريعٍ في العزة والكرامة والهوية والقرار؛ وتعظيماً لما لا يستحق التعظيم أورثنا خدمة من لا يستحق الخدمة ، فتحول المجتمع إلى

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، المهيع الواضح الميمون شرح منظومة الفكر الأبوي المأمون في طريق السلامة النبوي المضمون، ص١٢٨، الطبعة الأولى، مركز الابداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣هـ - ٢٠١٣م.

عبوديةٍ مُقَنَعَةٍ، ومجتمع خدمات "يبيع قوم دينهم بِعَرَضٍ من الدنيا قليل"[١].

"وبضياع الكرامة من الأمة - وهي جزء من الأمانة - استبدل الجاهلون كرامتهم باستتباع سنن اليهود والنصارى، وعززوا حال المهانة بابتداع الصراع الاعتقادي عند قوم، والصراع المذهبي عند قوم والصراع الطائفي عند قوم، والصراع الطبقي عند قوم، والصراع الاقتصادي لدى قوم، والصراع السياسي لدى قوم، وهلم جرا"[٢].

وإراقة الدماء، وهتك الأعراض وكشف العورات والعبث بالعقول والعواطف وإثارة النعرات ونشر الفساد الفكري والخلقي والسياسي، كل هذه من وسائل تدمير الكرامة الإنسانية، وتعتبر من أهم وسائل الشيطان؛ لتدمير الإنسان كل الإنسان، وما نشاط شيخنا الفكري والعلمي والدعوي والتربوي، إلا من أجل حماية الإنسان وكرامته، وعزه وشرفه، وتنمية روحه ووجدانه، ورفع مستوى تفكيره وتوسعة لعقله ومشاهده؛ وتنويراً لبصيرته، وإيقافه حول حقيقة وجوده وتبصيره بمهامه في هذا الوجود، وتعامله مع الكون والحياة وذاتيته الإنسانية التي تتناول ذاته كفرد، وتتناول الكيان الإنساني بعمومه.

خامساً: المناقشة والمراجعة لبعض المفاهيم الفكرية

فبقراءته المستوعبة للواقع وثقافة الأفكار وأفكار الثقافة، وتأمله المعرفي والفكري لمقولات متعددة ومختلفة، قبلها الناس وتقبلوها، وجعلوها جزءً من ثقافتهم الفكرية، وبنو عليها حياتهم السلوكية، وجعلوها من المسلمات التي لا نقاش فيها، استطاع أن يبلور كثيراً من المفاهيم ويصححها.

من هذه الأفكار والمفاهيم والمقولات التي أخذها لناس بلا تفكير في مدلولها ومعانيها ورسخت في أذهانهم وقبلوها بلا قراءة ولا تمحيص ولا وعي ولا فهم:

١- رواه أحمد في مسنده برقم (٢٣٨٩٣).

٢- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، الأسس والمنطلقات في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات، ص٦٩ وما بعدها، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢ م. ودوائر الإعادة، ص ١٤٤.

* " **الغاية تبرر الوسيلة** ". وهي القاعدة الميكافيلية المَبْنِيَةُ على الوصول إلى المصالح والمنافع بطرق غير شرعية، ولو كانت محرمة؛ حتى صارت هذه القاعدة منهجاً سلوكياً لكثير من الجماعات والأحزاب والمنظمات الإقليمية والمحلية والدولية؛ ولأنها قاعدة وضعية وبشرية، فقد بُنِيَتْ عليها سلوكياتٌ وتصرفاتٌ وسياساتٌ بعيدةٌ عن الأحكام الشرعية والقيمية والأخلاقية ، وبإدراكه لآثارها السلبية على المستوى العام والخاص، لاسيما في المجال السياسي والاقتصادي، رسمت سياسات الأنظمة ومنظمات وجماعات، ومن منطلقها عمل على تغييرها وتصحيحها، فكانت الصياغة الشرعية لها على النحو التالي: " الغاية تقرر الوسيلة "، لا" تبررها".

* ومن الأفكار والمفاهيم التي أعاد النظر فيها، وكانت صياغتها مادية بعيدة عن المنهج الإسلامي القيمي والأخلاقي: " **العقل السليم في الجسم السليم**". وقد قبلها المسلمون بلا قراءةٍ لمدلولها ومفهومها الحقيقي، لاسيما الرياضيون منهم بجميع مسمياتهم المختلفة، ولآثارها السلبية على عقل المسلم، فقد أعاد صياغتها من جديد بما يتوافق و المفاهيمَ الإسلاميةَ القرآنيةَ النبويةَ، فكانت الصياغة التجديدية والتصحيحية على النحو التالي : "**العقل السليم في القلب السليم**" ؛ لأن المنطلق القرآني يقول لنا:﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]. وأخبرنا عن أجسام أهل النفاق، وقد أعجب بها الناس ، ولكن لا فائدة منها : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] . فالأجسام السليمة بلا قلوبٍ سليمةٍ ولا عقولٍ سليمةٍ لا قيمة لها عند الله.

* ومن المفاهيم الفكرية التي صارت مثالاً من أمثلة الناس يتداولونها:"**الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك**". فأَعْمَلَ عقله في هذا المثال، فسأل: هل بالإمكان أن يقطع السيف أم أنه يُقْطَع؟. فالسيف يَقْطَعُ ولا يُقْطَعُ، فصحح المثال المتداول بين الناس بغير رؤيةٍ عقليةٍ في مدلوله، وأعاد صياغته على النحو التالي:"**الوقت كالسيل إن لم تقطعه قطعك** ". فقد شبه الوقت بالسيل المتدفق، فإن لم تقطع السيل بمعنى:" تسبقه"، قطعك عن وصول مبتغاك . وهكذا الوقت إن لم توظفه، فإنه سيدمرك ويقطعك عن مراد مولاك ويكون حجة عليك لا لك.

* ومن المفاهيم التي صحح بها الواقع التعليمي المنهار، ووضع بها المعالجة الصحيحة والنافعة:"التربية قبل التعليم، والإنسان قبل البنيان، والمعلم قبل المنهج ". وبهذا وضع السُلَمَ التعليميَ التربويَ الصحيحَ في بناء جيل المعرفة الحقيقية.

* ومن المفاهيم السائدة التي أَعْمَلَ عقلَه في مدلولها، وأعاد النظر فيها وصاغها صياغة جديدة، قولهم:"**وراء كل رجل عظيم امرأة**"قال:"ربما كان في القول شيء من الصحة ولكنه ليس قاعدةً القاعدة في رأيي أن **وراء كل رجل امرأةً**، ودعك من العظمة ، فليس العظمة في الحياة للجميع وليست قاعدة ثابتة للعظماء إنما المرأة حقاً خلف الكثير من قرارات الرجال؛ حتى لو لم يتزوجوا، وحيثما تطرف الرجال، فخلفه رغبة امرأة إما سلباً أو إيجاباً)[١].

* ومن المفاهيم التي صححها، وكانت قاعدةً تعامل بها المستعمر: (**فرق تَسُدْ**). وفعلاً أقام المستعمر سياسةً عليها، ونجح في تفريق الأمة وفي السيادة عليها فقال :" لماذا لا تكون قاعدتنا:(**اجمعْ تَسُدْ**) ؟! ، فاجتماع الأمة عزة وقوة .

سادساً: إحياء المعادل الثالث
أخلاق النبوة في العمل الدعوي

من مشروعه التجديدي الذي تركه في كثير من كتبه، إحياء أخلاق النبوة في الواقع المعاش وإنزالها مع المصدرين الأساسيين:" الكتاب والسنة"، واعتبر الأخلاق كمعادل ثالث لا بد منه وبغيره تكون النصوص الشرعية جافة ، يقول في هذا المجال:" إنَّ المعادل الثالث وهي ما عُبِرَ عنها بأخلاق النبوة ،تعد عاملاً مهماً في إنجاح الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولهذا الاستدلال شاهد قرآني:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فالآية الكريمة أبرزت المعادل الثالث بوضوح وهي النبوة والنبوة في معناها المشار إليه "الأخلاق النبوية" التي أبرزتها مواقف حياة رسول الله ﷺ في منهج الدعوة إلى الله منذ بداية الإسلام، والتي أثنى بها على نبيه ﷺ في قوله:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤] "[٢].

١- الحفر على جدران الذاكرة ، ص٢٥ .

٢- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٧٠ .

واعتبر أنَّ الكتاب والسنة بلا أخلاق، انحراف وجنوح وبعد عن منهج النبوة حيث يقول: "فدعوةُ الكتاب والسنة من غير أخلاق جنوحٌ وتعدٍ وتطرفٌ ،وهذا ما فعلته كثير من الجماعات الإسلامية في سابق التأريخ ولا حقه حيث تعسفت النصين :"الكتاب والسنة " لصالح الانحراف والملك العضوض والخروج عن أئمة الهدى، ثم استحلال دمائهم ودماء المسلمين وانتزاع سلطة القرار والحكم به واستثماره للمصالح الذاتية جاهاً وسلطة وامتلاكاً"[١].

ويتحدث على أن الإفراط معادلٌ سيئٌ، والمعادل الثالث هو المعادل الموازن للكتاب والسنة، حيث يقول: "فالكتاب والسنة معادلان يفتقران إلى المعادل الثالث، أما الإفراط فمعادلٌ سيئٌ، كما أن التفريط مثله في السوء والمصير، ولكن الآية الكريمة جعلت المعادل الثالث هو "النبوة "، والنبوة هي الأخلاق المحمدية لا غيرها، ولا يحملها غير رجال النمط الأوسط ومن سار على هديهم ونهجهم، وكان منهم أئمة آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم "[٢].

وقد دعا إلى قراءة الأصلين:"الكتاب والسنة" بلغة النبوة، أي:"بلغة الأخلاق النبوية واللغة العالمية"، حيث يقول:"هذه الأخلاق النبوية العظيمة مدرسة الديانة الأخيرة في العالم وليست خصوصية لرسول الله ﷺ فقط إنها الميزان الأعظم، وهو الفيصل الحق بين الخير والشر والحق والباطل والصدق والكذب، وهي أيضاً مادة الكشف الشرعي لمجموعات العمل الإسلامي الأبوي ومجموعات العمل الاستسلامي الأنوي، وبها تنقشع سحائب الجهالات والضلالات والتهم الجائرة على أمة العبادات وصالحي المسلمين والمسلمات، إنها قراءة تعيد الاعتبار للمسلم والمسلمة، وتدمغ الإفك الكاذب، ومن يعمل لإلصاقه بأمة التوحيد وتوحيد الأمة، ومن يعمل لتلويث آل البيت وإغفاله موقعهم من النمط الأوسط وإقصائهم عن دورهم الريادي في تسيير دفة السفينة المندفعة في طوفان المنافسات"[٣].

ونجده يُرْجِعُ سبب الصراع والنزاع إلى الإفراط المندفع والمُفَرِطِ المنتفعِ؛ لعدم وجود المعادل الثالث لدى أطراف النزاع والصراع، فيقول:" إنَّ مشكلة الصراع وخدماته المريضة عائدة إلى صنفين من المثقفين:

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٧١.

٢- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص ١٨ .

٣- المصدر نفسه ، ص١٧١ وما بعدها.

١- **مُفْرِطٍ مندفعٍ.**

٢- **مُفَرِّطٍ منتفعٍ.**

وكلا الفئتين هي علة المنهج الإسلامي ومحور الصراع الإعلامي، وكل الطرفين لا يصنعون حلاً ولا يساهمون فيه، وغاية ما يصنعونه وضع الزيت أو الوقود على النار، والمسألة بالنسبة للإسلام هي مسألة أخلاق، والأخلاق هي المعادل الثالث لنشر الإسلام.

فالمعادل **الأول: كتاب الله** .

والثاني: سنة نبيه .

والثالث: أخلاق النبوة.

ولا نطلق مسألة الأخلاق على علاتها، بل تقيد بأخلاق النبوة"[١].

ويتحدث عن الآثار السلبية بين أهل الخصام والنزاع عندما يغيب المعادل الثالث:"أخلاق النبوة". وتبرز نصوص الكتاب والسنة كمادة أساسية للخصوم، والحدة في الطرح والخروج عن آداب الإسلام القيمية، حيث يقول:" والمتناول لضده وخصمه ومعارضه على غير ثوابت أخلاقية لا بد أن يتجرد من"معنى الإتباع للمتبوع الأعظم الذي يستدل برسالته"، فيكون استدلاله مجرد "مادة نصية" أو قل: " نصاً دستورياً". وهذه علة المثقفين اليوم، وهم المسؤولون عن خطورة التناول المسمى في الإسلام "بنقض العرى"ـ ومنهم من يعلم، ومنهم من لا يعلم ـ وما كان العلم في "مدرستنا الإسلامية" مقتصراً على السطور المكتوبة والمراجع المشحونة، والاستدلال النقلي عن المؤرخين والرواة، فهذه حليةٌ واسعةُ الانطلاق، كثيرة الانزلاق ،وإنما هناك "علم مسمى بعلم الأخلاق". وهي المواقف، ومواقعها صدور العلماء وشرف الطلب الذي حملوا أمانته بالسند المتصل، وغالب المندفعين والمنتفعين ممن نالوا نصيباً من علم التصنيف والتأليف وتدرجوا في شهادات المدارس والتوليف، أما علم التلقي والأسانيد، فهو علم يجمع بين الأخذ بالنص المكتوب وبين نورانية المعرفة التي تقذف في القلوب:﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾

١- المشهور، أبو بكر العدني بن علي، مجموعة مقالات تأصيل مجموع لوعي مشروع، ١٤٣٤هـ نسخة قيد التعديل، ص٥١ وما بعدها .

[العنكبوت: ٤٩] . والفارق الواضح بين العِلْمَيْن والحالين ثمرات المعرفة وكيفية التناول للمواضيع والمواقف والمراحل"[١].فهو يبرز أهمية المعادل الثالث في المجال الدعوي وفي مجالات قراءة النصوص الشرعية المتمثلة في الكتاب والسنة وقراءة التاريخ وفي جانب الحوار في الفكر والثقافة، وأن الأخلاق النبوية هي أساس التوازن في قراءة النصوص وأساس التوازن في السلوك مع المخالف والضد والند، وتبين لنا بهذا الطرح في أكثر من كتاب وأكثر من محاضرة للمعادل الثالث، أنه يعتبر مشروعه التجديدي، وأمله في الحاضر، والمستقبل وسلوكه اليومي، ورعايته الخاصة في إيجاد جيل المعادل الثالث جيل القيم والأخلاق.

وقد يقول قائل: لمْ يأتِ بجديدٍ في هذا المجال، فقد تحدث كثيرٌ من العلماء عن أهمية الأخلاق، وأُلِفَتْ كتبٌ كثيرةٌ في نظرة الإسلام إلى الأخلاق وفلسفته القيمية والأخلاقية، فما هو التجديدُ الذي جاء به شيخنا- حفظه الله - ؟. **والجواب:** الجديد هو اعتبار الأخلاق المعادل الثالث لمصدر التشريع والأساس الذي ينطلق منه في تنزيل النصوص الشرعية إلى الواقع، فلابد أن تكون الأخلاق مصاحبة للنص، فلا فائدة من النصوص الشرعية بلا أخلاق ، بل كانت الأخلاق أساس الدعوة قبل التكاليف الشرعية.

سابعاً: إحياء الركن الرابع من أركان الدين العلم بعلامات الساعة

مما منحه الله-جَلَّ جَلَالُهُ- إحياء الركن الرابع من أركان الدين بعد أن غُيِّبَ سياسياً وجهلاً وتجاهلاً، مع أن النص الشرعي المتمثل في حديث جبريل-عليه السلام - ذكره بصراحة متناهية في الحوار الذي جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام ،وقد اعتبر الركن الرابع يخص متغيرات الواقع في مجال المعرفة والاعتقاد، ومجال الحكم والاقتصاد، وهذان المجالان محورا فقه التحولات والمتغيرات عبر التأريخ ، والمتأمل لحديث جبريل -عليه السلام - يجد أن جبريل سأل الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان

١- مجموعة مقالات تأصيل مجموع لوعي مشروع،١٤٣٤هـ نسخة قيد التعديل، ص٥٢ .

والإحسان وعن الساعة، فقال له صلى الله عليه وسلم: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. فقال له: أخبرني عن أمارتها. فقال له صلى الله عليه وسلم: أن تلد الأمة ربها "وهذا محور العلم والاعتقاد" ، وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان، وهذا "محور الحكم والاقتصاد" .ثم قال صلى الله عليه وسلم: أتدرون من السائل؟! فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ". فاعتبر الحوار كله ديناً " .

وبتأمله لحديث جبريل المسمى بأم السنة ووحدته الموضوعية والشرعية، استنبط بفكره الواعي والتأمل العميق لمدلولات الحديث، أركان الدين الأربعة المتمثلة في:

١- الإسلام كشريعة.

٢- الإيمان كعقيدة.

٣- الإحسان كسلوك وأخلاق.

٤- العلم بعلامات الساعة كمتغيرات وتحولات.

وقد قسم هذه الأركان برؤيته المعرفية للدين وأركانه والواقع وتحولاته إلى قسمين:

١- **ثوابت:** والمتمثلة في الإسلام والإيمان والإحسان.

٢- **متغيرات:** والمتمثلة في العلم بعلامات الساعة.

ومن هذا الفكر التجديدي انطلق في قراءة الواقع وتحولاته ومتغيراته وأزماته ومشكلاته الفكرية والسياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية والعلمية والمعرفية، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والشعوب وأنظمة الحكم ومفاصل التحولات التاريخية وتقسيم المراحل وتشخيص المتغيرات ومفاصل تحولات الواقع السياسي وغيره.

وبهذا الفقه التجديدي والمسمى(بفقه التحولات) رسم مشروعه للمرحلة وعمل على إيجاد جيل يفقه الواقع بأزماته ومشكلاته من منظور "فقه التحولات" برؤية تجديدية واعية، ففقه التحولات والمتغيرات مشروعه في الحاضر، ومشروعه العلمي والمعرفي في قراءة الواقع، ومشروع من سيحمل عنه هذا الفقه بجدارة في المستقبل.

ثامناً: الارتقاء بالمسلم من التمحور المذهبي وغيره إلى العالمية الإسلامية وسعتها

لقد قرأ واقع المسلمين بعمومه ومكوناتهم الفكرية والسياسية والمذهبية وكانت له تحليلاته التي انطلق فيها من مفهوم القراءة الشرعية لنصوص فقه التحولات، وقرأ الجانب المذهبي، فأدرك الخلل في الحاملين للفقه المذهبي والسياسي وغيرهما، والذي يكمن في التعصب والجهالة والسطحية وطغيان ذلك على العلماء خصوصاً والمسلمين عموماً على اختلاف مذاهبهم وأفكارهم وتصوراتهم، وقد صرح بذلك، حيث قال:" لقد طغى التعصب على المسلمين في أخريات الزمان وانتقل بهم إلى نوع من الأنانية وحب الذات والانقطاع عند المفاهيم الخاصة التي نشأت وتكونت بفعل الظروف المرحلية، وخاصة مرحلة الغثاء التي عبر عنها من لا ينطق عن الهوى ﷺ"[1].

والصراع المذهبي وغيره مخرجات دجالية وشيطانية، حيث يقول:" إن الصراع المذهبي الاعتقادي والطبقي والطائفي إنما هي مخرجات شيطانية دجالية لا تمت للإسلام، ولا الغيرة عليه، ولا حتى لإعادة الحق إلى نصابه، وغالباً ما يتبناه الأغرار والأشرار والمندفعون أو المنتفعون الهالكون". ولن ينعم آلُ البيت من فريق الشيعة وآلُ البيت من أهل السنة، ولا غيرهم من الطوائف المتنازعة بأمن ولا أمان ، ولا ديانة ولا عبادة ، ولا حتى ضماناً للموت على حسن الخاتمة، إذا ظل صراع الثارات رائداً ولهيب الطائفيين قائداً"[2].

وقد اعتبر ترجيح بعض المذاهب على بعض لغرض التمايز والتنافس نوعاً من إثارة النفوس، وقد حضر مجلساً من هذا النوع، فتحدث بعض علماء المالكية عن شرف المذهب ومكانته وكان في المجلس علماء شافعية، فثارت نفوسهم، وأرادوا منه أن يعقد مجلساً آخر؛ ليتحدثوا عن مكانة المذهب الشافعي وانتشاره أكثر من مذهب مالك، وعلق على ذلك: بأن هذا وحده كفيلٌ بإثارة النفوس، وعلَّلَ هذا بقوله:" وسبب هذا وذاك انعدام الوعي الشرعي في احترام الرأي المخالف، وقوة تأثير الطبع الذاتي في الإصرار على هزيمة الند

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٥٧ .

٢- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٢٣٨ .

فضلاً عن الضد المخالف، وهذه مسائلُ طبعيةٌ بحتةٌ يمكن للشيطان بها أن يوسع دوائر الصراع المسمى في القرآن بالبغي: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الجاثية: ١٧] "[١].

وتحدث عن الاعتداد بالمذهبية والرؤية والمبدأ، واعتبر ذلك محموداً في وصف الإنسان لذاته، حيث يقول: "فالاعتداد بالمذهب والمبدأ أو الرؤية محمودٌ في شأن بناء منهج السلامة في التعبد والأحكام، حيث يحتاج كل ذي مذهب أن يعبد الله على ما أخذه وتعلمه في مذهبه، ويعلم أولاده وتلاميذه وأتباعه على هذا النحو، وهذه مسألة لا خلاف فيها، وإنما نشأ الخلاف المفتعل عند ما أراد كل فريق بواسطة المال والحكم والجاه، أن يُغَلِّبَ مدرسته أو منهجه الفرعي؛ ليكون بديلاً عن منهج الرسالة الواسع"[٢].فالمذهب والرؤية والفكرة والتصور والانتماء المذهبي والسياسي والحزبي والانتماء للجماعات الإسلامية، تعتبر خصوصيات ذاتية وتصورات جزئية عن الإسلام - إن صحت- وليستْ الإسلام بكليته وعالميته، وبهذا التصور الواعي أعطى للمذهب والمنتمي حقه في خصوصياته الذاتية، ولكنه نبَّه إلى أن الخصوصياتِ في الانتماء المذهبي ، وغيره وتصورات المذهب والجماعة والحزب ليست بديلاً عن الإسلام ورسالته العالمية ومنهج النبوة العالمي.

وتحدث عن العلة في العالم الإسلامي والمذهبي واللامذهبي المبنية على الترجيح المنطلق من المنافسة بين أتباع المذاهب الإسلامية، فيقول: فالعلة المنتشرة في الواقع الإسلامي المذهبي واللامذهبي ـ مثلا ـ ترجيح كل ذي مذهب مذهبه على مذهب غيره، أو ترجيح الرفض التام للمذهبية بكل نماذجها وصورها نحو منطلق اجتهادي جديد، وكل هذا يدل على الوقوع في المحذور من طرفي الإفراط والتفريط، والسلامة منهما أن يتقبل الجميع ما يختلف عليه كمبدأ أو مذهبٍ خاصٍ له محاذيره، وله إيجابياته يصح لمعتنقه العمل وفق اجتهاد مذهبه وتقرير علمائه دون الرد لعمل الغير أو التعريض به أو النقض له من كافة الوجوه"[٣].

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٢٣٩.

٢- الوثيقة ، ص١٢ .

٣-إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص٢٨ .

تاسعاً: إيجاد جيل السلم والسلامة

لقد رأى المرحلة المعاصرة قد هيئت بمكوناتها السياسية والفكرية والحزبية والمذهبية منذ سقطت الخلافة الإسلامية ومن فيها؛ لصراع سياسي وعقدي وطبقي وقبلي وفئوي" سني وشيعي"، مادته الغلو والتطرف والإفراط والتفريط، وتموينه محلياً وإقليمياً ودولياً مالياً وسياسياً وإعلاميا وثقافيا، وقد بدأ الصراع الدموي والمواجهات المسلحة بين كثير من الأطراف، وأريقت دماء، وهتكت أعراض، وسلبت أموال، وصدق الرسول الأعظم ﷺ الذي قيم المرحلة بقوله: " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ . قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ : الْقَتْلُ الْقَتْلُ "[١]. والمرحلة غير منضبطة سياسياً ولا فكرياً لعدة عوامل داخلية وخَارجية، وهذا وضع مؤلم ومدمر سقط فيه الإنسان روحاً وفكراً وأخلاقاً، فصار يشكل خطراً على ذاته ومجتمعه.

عمل الحبيب – حفظه الله – منذ الثمانينات على إيجاد جيل السلم والسلامة، المدرك لواقعه ومرحلته، والحامل لمنهج السلامة والعيش المشترك والتعايش السلمي والالتقاء على القواسم المشتركة، والتي تعتبر من أسس السلم والسلامة فكرياً وثقافياً وتربوياً وسلوكياً.

والقراءة التجديدية للركن الرابع من أركان الدين وإعادة ركنيته وقراءة الواقع والمرحلة من منظور فقه التحولات، جزء من إعادة السلام والاستقرار النسبي في الأمة ، وقد وضع جملةَ كتاباته ذات مدلولات فكرية ومعرفية وثقافية؛ لإعادة العقل السليم في القلب السليم؛ ولإيجاد مجتمعٍ سليمٍ يعمل على تنمية لغة السلام و القواسم المشتركة والعيش المشترك والتعايش السلمي بين الجماعات والأحزاب والشعوب؛ كي نتجاوز لغة الصراع والنزاع والمواجهة المسلحة.

وإيجاد جيل السلام والتعايش السلمي يحتاج إلى منهج فكري ومحاضن تربوية ومربين يحملون هذا المنهج، فجاءت كتبه تعبر عن هذه الرؤية، وأربطته والمنتديات واللقاءات والمقالات والمنشورات والمجلات والمحاضرات، محاضن تربوية وتوجيهية لأفراد جيل

١- رواه مسلم في صحيحه برقم : (٧٤٣٩) .

السلم والسلامة؛ ووضع مفاهيم فكرية تخدم منهجية السلم والسلامة والعيش المشترك والتعايش السلمي، ففي ظل الصراع والمواجهة المسلحة في أكثر من بلد إسلامي، وقد توقعها قبل وقوعها في بلد الإيمان والحكمة وغيرها.

نادى كل مسلم بلغة السلام، وبرز مفهومه الفكري الذي كتبه في كتبه ونشره في موقعه، وتناوله طلابه بأن منهج السلم والسلامة يقوم على: حفظ اللسان من الذم واليد من الدم "، واجتناب مواطن الفتن والبعد عن سياسة التحريش والمنافسة وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية والجهوية والفئوية وغيرها، فمشروعه التجديدي في الأمة وفي المرحلة المعاصرة هو:" إيجاد جيل السلم والسلامة، والعيش المشترك، والتعايش السلمي، والقبول بالآخر، بلا إقصاء ولا إلغاء ولا تهميش ولا بتر ولا فتك ولا محو من الخريطة الجغرافية لأحد ممن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ مهما كان انتماؤه الفكري والسياسي والمذهبي، ولا محو ولا إلغاء ولا هتك ولا فتك لكل إنسان يحمل لغة السلام في العالم لبني آدم من بني آدم مهما كان تدينه ". هذا جزء من مشروعه الإسلامي العالمي في ظل فشل كثير من الجماعات والحركات الإسلامية المنادية بالمشروع الإسلامي من منظور سياسي سلطوي والأحزاب ذات التوجه السياسي قومية وغيرها المنادية بالمشروع السلطوي .

عاشراً: الحد من مشروع الشيطان وأعوانه والدجال وأزلامه

من معالم مشروعه الإسلامي والواسع والمتسع تربوياً وفكرياً وثقافياً في جيله المعاصر، مقاومة الشيطان والدجال بمشروعهما في إغواء بني الإنسان نساءً ورجالاً وكشف سياستهما في الأمة بواسطة أعوانهما وأزلامهما في الشعوب من أصحاب القرار العلمي والسلطوي وضحيتهما من عموم الأمة ، فالشيطان والدجال كائنان متمردان يريدان أن ينشرا تمردهما في العالم الإنساني، وحول هذا الأمر يقول شيخنا : "والشيطان الإبليسي مخلوق متمرد عن الولاء وسالب لحقائق الانتماء، ويعمل لحساب نشاطه الإبليسي القائم على التمرد ونقض الولاءات ودمار الانتماءات؛ لأن النقض يحقق للشيطان موقعاً في السيطرة على الفطرة

والإنسان والأرض. ومتى ما تحقق النقض للولاء، تحقق القبض في الانتماء وحصل الاحتناك: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢] .

ومع كل نقض وقبض في المجتمعات وأفكارها ودياناتها وعلاقاتها يكون المستفيد الأكبر من هذا التحول هو الشيطان ذاته، إذ لا يهم الشيطان من يكون على قرار القبض والنقض، وإنما يهمه من يكون أحبولة له؛ لتنفيذ مبدأيْ النقض والقبض في المجتمعات والقلوب، أو بمعنى آخر: لا يعتني الشيطان بمسألة العلم والعمل والأخلاق والنسب والحسب والقيم في حاصل قراره؛ لأنه يعمل ضدها، فلا يهمه أيضاً موقع القرار بهذه الشروط؛ لأنها ليست منهج حركته، وإنما يعنيه المتمردون عليها القادرون على انتهاك ضوابطها وتقنين ما يضادها في الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والإعلامية..الخ ، وإن كانوا من أبناء هذه الرؤى والأفكار التقليدية"(١).

وأعطانا مفهوماً جامعاً وشاملاً لمن يكون في حياته جندياً للشيطان ومنفذاً لسياسته ومنهجه، حيث قال:" فمتى ما نَفَّذَ المخلوق الآدمي منهج الشيطان، وعمل من خلال موقعه الاجتماعي أو الشرعي أو الفكري على تبني سياسة القبض والنقض والتفريق والتحريش والأنانية وإقصاء الآخر وإثارة العواطف نحو الدمار العاطفي والجنسي والعرقي والحزبي والسياسي والقومي - بعلم أو بغير علم - فهو جندي مخلص للشيطان، وإن صلى وصام، وعبد الله وأخلص وقام، وابتعد عن الشبهة والحرام "(٢).

ويتحدث عن مشروع من مشاريع الشيطان يعتبر من أوسع المشاريع تدميراً للأمة وللإنسانية كلها، حيث يقول:" ومشروع التحريش مدخلٌ واسعٌ للشيطان في الإنسانية كلها؛ كي يحقق دمارها الموعود بأيدي أبنائها المخلصين، وهذا ما تعانيه منهُ الشعوب اليوم، ولا زالت في مساراته تتدافع أو قل: في مسيراته تتتابع"(٣).

١- إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١٩٠وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١٩١ .

٣- المصدر نفسه، ص٢٠٠.

ويتحدث عن قضيتنا مع الشيطان وخطورته ووسائله المتجددة والمتطورة في إغواء الإنسان، حيث يقول: "وقصتنا مع الشيطان أزلية، بدأت منذ فجر الخليقة، وبرغم أنها حكمةٌ ربانيةٌ في تنازع الأضداد وابتلاء: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢] . إلا أنَّ خالقنا أوضح السبل للأمة في شأن خطورة "الشيطان" وأبرز في عشرات الآيات وظيفته الشَّرِيَةَ في العالم، وما يجب علينا نحن – المؤمنين – بالله أن نفعله تجاهه، حيث إنَّ قوته الفاعلة لا تكمن في قدرته ووسائله، وإنما ترجع إلى جهلنا وغفلتنا وتأثرنا بإغوائه وإغرائه، فالمعركة قديمةٌ، ووسائل الحرب لم تعد تقليدية، بل إنَّ الشيطان قد طور، ولا زال يطور أساليب الإغراء والإغواء والتزيين؛ لإيقاع الإنسان البشري في حبائله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]"(١).

وقد كتب في الوثيقة عنواناً بارزاً يدل على إدراكه الواعي لخطورة الشيطان ومنهجه، وأنه يحمل مشروعاً إنحرافياً للإنسانية، هذا العنوان: "مشروع الغواية الإبليسية ودورنا في إيقافه". وفي طي هذا العنوان تحدث عن مشروع إبليس المحكم، وتعدد أساليبه في إغواء واختراق الفرد والأسرة والمجتمع بجميع تكويناته الفكرية والسياسية، فيقول: "يا أحبةُ، إنَّ مشروع الغواية الإبليسية مشروعٌ محكمُ التنفيذِ، متعددُ الأساليبِ.. وقلَّ أن يسلم إنسان من العمل فيه؛ ذاك لأنه لا يتوقف عند إدارة ولا وزارة، ولا ينقطع بانقطاع دوام عملٍ أو وظيفةٍ ، ولا يتوقف بتقاعد موظف أو الاستغناء عن خدماته وإنما هو يخترق حياة الأسرة والعائلة والفرد والجماعة والحاكم والعالم ومَنْ دونهما، وبصورة تتلاءم مع رغبات الإنسان ذاته، بل وتكاد أن تعمل على استجابة نزواته وغرائزه، وتسهم في إطفاء حرارة شهواته واستفراغ مشحون عاطفته ولكن في الحرام"(٢).

ودلنا على منهج القرآن في كشف خطورة هذا المشروع وكيفية التعاطي معه، إذْ يقول: "ولأجل معرفة خطورة هذا المشروع الذي يعمل فيه الجُلُ الأوسعُ من بني الإنسان يجب التوقف عند آيات الله تعالى في كتابه، وخاصةً حينما حذرنا منذ بدء الخليقة من خطورة

١- إحياء لغة الإسلام العالمية ، ص١٢٢ .

٢- الوثيقة ، ص٥٠ .

المشروع الأنوي الإبليسي وأن الإنسان هو الهدف الأول في هذا المشروع بالاستحواذ عليه ودس أنفه النارية الشيطانية طوعاً أو كرهاً، عالماً أو جاهلاً، حاكماً أو محكوماً.

ولهذا ففي هذا المشروع العالمي ينطوي احتناك الجنس البشري كله ما دام حياً في أتون المعركة المصيرية، والقرآن ينبه العقلاء من البشر أو من أطلق عليهم صفة المُخْلَصِيْن أو المُخْلِصِين إلى أن مهمتهم في معركة الحياة الحذر من مشاريع الأنوية الإبليسية، والتعوذ بالله من شره وشرها، فأما شره فقد قال تعالى فيه: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] . وأما شرها، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨]. وتحدث عن تعرض الآدميين وخاصةً أهل التدين لمشروعه الحربي التدميري، وخطورته عليهم، وعلى أصحاب القرار في الحكم والعلم، حيث يقول: "وأننا أهل التدين والديانة أكثر الآدميين تعرضاً لهذه الحرب المصيرية مع إبليس ـ لعنه الله ـ وقد قال صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُم"[١]. وهذا بيانٌ نبويٌ عجيبٌ يبرز لنا ما يفعله إبليس من أساليب التحريش وقيام طباع النفوس؛ ليتترس المصلون ضد بعضهم البعض؛ ويصل هذا الإغواء والافتتان إلى العلماء أنفسهم والحكام؛ حتى يفرقوا أنفسهم وأتباعهم وشعوبهم في الضلالات الإبليسية، وهذا ما يؤكده المعنى الثاني من معاني الآيات: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥].

والصدور هم واجهات الأمة من العلماء والحكام، وغالب خطورة التسييس للصراع الثقافي والعقدي والفكري إنما يأتي من جهتهم باعتبار الاحتضان الإبليسي لهم ولتوجهاتهم وهم لا يشعرون، مع أن الشريعة والديانة تسع الجميع موافقاً ومخالفاً، لو نظر الناس إلى مافي الديانة والتدين من خلق وأدب وخاصة سلوك المتبوع الأعظم ﷺ الذي وسع الأعداء والمخالفين بطول صبره، وحسن تلطفه ﷺ"[٢].

ويتحدث أن مبادئه ولعبته في العالم الإنساني: "فرق تسد". حيث يقول تحت عنوان عريض: "فرق تسد لعبة الشيطان في العالم الإنساني ". وقال بعده: "يحلو لأعداء الإسلام

١- رواه مسلم في صحيحه برقم(٧٢٨١) .

٢- الوثيقة ، ص٥١ وما بعدها .

أن ينفذوا سياسة راعيهم الأنوي الأول "إبليس الرجيم "، القائمة على مفهومي: "أنا خير منه" ، ومفهوم: "فرق تسد". وحيثما رأى الإنسان المتثبت الموقف دعوة الأنا والأنوية، ودعوة الفرقة والاختلاف، سيجد هناك رائحة الشر الذي يدل على الشيطان وأتباعه ومنفذي سياسته على المبدأين المذكورين في العالم"[١].

ويتحدث أنَّ هذين المفهومين سائدان حتى عند أصحاب الدعوات الإسلامية وغيرهم، حيث يقول: "إن مفهوم الشيطان التاريخي: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ [الأعراف: ١٢]. هو المفهوم السائد والواعي والرائد لكثير من الدعوات الإسلامية السائدة والواعدة، ومفهوم "فرق تسد" هو الاستراتيجية التي ينزع كل فريق من هذه الفرق على تأصيلها في حربه المصيرية مع أخيه المسلم مذهبياً وعقائدياً وسلالياً وحزبياً واجتماعياً، والواقع العربي والإسلامي خير شاهد على ما تَحَدَّثَ به ونقرره هنا وهناك، والمرحلة القادمة وكذلك إفرازات المرحلة المعاصرة تشير بوضوح إلى "توسع دائرة الصراع بين المسلمين تحت هذين المبدأين " ولا غيرهما البتة فليس هناك وسطية ولا اعتدال:﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴾ [الكهف: ٥] . فالاستراتيجية الفعلية لحركة الشيطان الماسخة هي القابضة على زمام الرموز المعبرة عن هذه المبادئ وليس غيرهما"[٢].

إنَّ الشيطان والدجال يحملان مشروع التدمير والهلاك العالمي لِلإنسانية وبوسائل متعددة ومختلفة ومتجددة ومتطورة بتطور الأزمنة والأحوال، وفي جوانب متعددةٍ فكريةٍ وسياسيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وبمنهجيةٍ لا يدركها إلا من ارتبط بالكتاب والسنة وصاحب الخلق العظيم، ومن يقرأهما قراءةً تجديديةً واعيةً منضبطةً يجد أنَّ لديهما مشروعاً انحرافياً يفسد الحياة الدنيوية والأخروية، واعتبر العولمة سياسة الشيطان في بني الإنسان ، ولخطورتهما وخطورة مشروعهما في الإنسانية أَلَّفَ كتاباً عن الدجال وسماه "بين يدي الدجال " وتحدث عن وسائل الشيطان في إغوائه للإنسانية ومداخله في كتاب "التكوين الآدمي " فوجدها تزيد على مائة وسيلة كما ذكر.

١- الوثيقة ، ص١٦٦.

٢- المصدر نفسه ، ص١٧١ وما بعدها.

وقد دلنا على مادة التعرف على أثر الشيطان وموقعه في حياة البشر حيث يقول:" إنَّ موقع العلم به وبأخباره هو فقه التحولات ومادة الركن الرابع من أركان الدين ،وهذا المعنى مؤيدٌ في القرآن والسنة. فالانحراف بكل صوره – في تأريخنا الإنساني عموماً وتأريخنا الإسلامي خصوصاً – مكسبٌ من مكاسب الشيطان يعمل على تحقيقه وإنجاحه ليل نهار: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

وللشيطان صولةٌ وهيمنةٌ على الكافر قبل المسلم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].لأنَّ الكفر كما سبقت الإشارة عقيدةُ الشيطانِ ولا ذنب أعظم من الكفر، ولهذا ولع وكلاء الشيطان في أمة القرآن بإلصاق تهمة الكفر والشرك بالشبهات على كثير من المسلمين فدافعوا عن الكفر الإنساني في اليهود والنصارى وأمم الإلحاد والإفساد العقدي أجمعين وجعلوهم أولياء لهم من دون الله يتقربون إليهم ويقلدونهم ويسوقون بضائعهم وثقافاتهم وأفكارهم وهوياتهم وغواياتهم وألاعيبهم، حتى موضات نسائهم وبناتهم ويعجبون كل الإعجاب بهم وبأخبارهم وأحوالهم وبلادهم، فهم لرجالهم أسوة ولنسائهم قدوة، والشواهد على هذا لا تحتاج إلى أدلة ولا براهين وإنما تحتاج إلى قراءة الواقع الإسلامي والعربي المشين، وكل هذا من عمل الشيطان في الشعوب:﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠]"[1].

ونجده يحاور بعضهم في شأن الشيطان، هل هو حقيقة أم وهم ؟ إذ يقول: قال لي بعضهم لقد أزعجتم الشيطان بتحميله كافة المسؤوليات وتنصلتم بهذا عن مسؤولياتكم المناطة بكم وركنتم إلى تبرير الخطأ وإلصاقه بالمخلوق اللامرئي وهذا تخلف وجاهلية.

والإجابة الواعية تسألنا جميعا: هل الشيطان مخلوق أم مجرد وهم ؟ فإن قيل: الشيطان مخلوق حقيقي إذا فلا بد من التعرف على هويته ونشاطه وسياسته وقدراته وما تهيأ له من الوسائل والأسباب؛ لإنجاح مشاريعه، وأما إن كان مجرد وهم فالوهم غير الحقيقة، والحالمون في بحار الخيالات والتهيؤات هم الفاشلون حقاً في الحياتين.

---

١ – دوائر الإعادة ومراتب الإفادة ، ص٧٨ وما بعدها .

فأين الجواب الحق؟، إنه الإيمان بوجود المخلوق العاتي (هيمنة الشيطان) وأنه في هيمنته عدو للآدمية: ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [طه: ١١٧]. والعدو من صفته الخيانة والاعتداء والاجتثاث: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]. فمن الذي اتخذ الشيطان عدواً لدوداً، ومتى بدأت في أمة القرآن والسنة سياسة النفي للمخلوق اللامرئي ؟ إنَّ هذه السياسة كانت منتشرة في غير المسلمين من أهل الإلحاد والمادية المجردة أو في المسلمين الذين لا يقرؤون دينهم ولا قرآنهم ولا يأتمرون بالمعروف ولا ينتهون عن المنكر ممن اندرجوا تحت سياسة الاستتباع. أما المسلمون فيعلمون أنَّ وعد الله حق وأنَّ الوجود مليءٌ بالخلق وأنَّ الشيطان مخلوق متمرد على الله كأقرب متربص بنا منذ عهد الله بدء الخليقة إلى يوم ينفخ في الصور: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦] "[١].

والشيطان يعتبر رائدُ المدرسة الأنوية العالمية، وله أتباعه، ومن ينفذ سياسته في العالم الإنساني، ونعوذ بالله منه ومن سياسته وأعوانه من أبناء جنسه وغيرهم.

والأنبياء رواد وأعمدة المدرسة الأبوية بمنهجية ربانية شرعية، وهاتان المدرستان منذ بداية التأريخ الإنساني، ولكلا المدرستين رواد وقادة، ومناهج ومفكرون، ومنظرون وساسة، ومؤسسات ومنظمات، تعمل على تنفيذ سياستهما ومنهجهما ونهجهما وتتطور ثقافتهما في العالم الإنساني بتطور الحضارة المادية والعقل الإنساني المجرد.

الحادي عشر : الاكتفاء الذاتي

دعا إلى الاكتفاء الذاتي للفرد والأسرة والمجتمع والشعوب والأنظمة لأنَّ مبدأ الاكتفاء الذاتي من أسس الاستقلال الفكري والثقافي والسياسي والعلمي لاسيما لدى طلاب العلم، ومن يمثلون المدارس العلمية الأبوية النبوية فإن الاكتفاء الذاتي بالنسبة لهم ضرورة في حياتهم من أجل استقلال الدعوة إلى الله ﷻ والتعليم واستقلالية العلم والعلماء في المواقف، ودعوته إلى الاكتفاء الذاتي هي دعوة إلى ممارسة السلوك الاقتصادي من أجل تحقيقه ، وقد اعتبر المسألة الاقتصادية " جزءاً من الديانة والتدين في مبادئ الإسلام، وقد قام السلف

١- دوائر الإعادة ومراتب الإفادة ، ص٧٧ وما بعدها .

الأوائل بهذه الخدمة الاقتصادية على أكمل الوجوه بما يتناسب مع زمانهم وقدراتهم الذاتية وضمنوا بذلك استقلالية أراء مدرستهم ونجاح امتدادها في شعوب الأمة"[١].

واعتبر الاكتفاء الذاتي معادلاً رابعاً في مدرسة حضرموت ومنطلقاً أساسياً في حركتها ونشاطها الدعوي والعلمي والتربوي ،حيث جعل أسس المدرسة قائماً على :

١- التربية. ٢- التعليم. ٣- الدعوة إلى الله. ٤- الاكتفاء الذاتي.

ويزيد الأمر وضوحاً في هذا المجال بما يتحدث به عن السلف الصالح حيث يقول: "فالسلف الصالح حاكموا مرحلتهم بالورع الحاجز فتخلصوا من ربقة المال الحلال وهو حلال، واكتفوا بالقدر اليسير منه، فأضاء لهم أفق الطريقة ومنارها، وحققوا لأنفسهم داخل أوطانهم أسباب الاكتفاء الذاتي، وشجعوا أتباعهم على التقليل من كل شيء، فكفاهم في مطلب حياتهم الأدنى من كل شيء "[٢]. ونجده يتحدث عن المعركة الاقتصادية القادمة التي يقودها الشيطان والدجال؟، فيقول:" إنَّ المعركة الاقتصادية القادمة هي معركة الشيطان والدجال والدجاجلة؛ لترويض شعوب الملة وتطويعها ثم تركيعها لمرادات الإبليس المحتنك، وما لهيب الأسعار وارتفاع قيمة بعض المواد الغذائية وتخويف الشعوب بالمجاعات المتوقعة تحت سمع وبصر المنظمات العالمية والمؤسسات الاقتصادية المهيمنة على مقدرات الشعوب، إلا مثال بين لهذه الحرب المدبرة"[٣]. ويتحدث عن الواقع الشعبي وتخليه عن الاكتفاء الذاتي فيقول: "ونحن في واقعنا الشعبي المهزوز - ولا شك- جزءٌ لا يتجزأ من ضحايا هذه الأحبولة المسيسة خصوصاً أنَّ الجميع قد تخلى عن أسلوب البناء الاقتصادي الحر وهو البناء المسمى في مدرستنا الأبوية بـ"الاكتفاء الذاتي ". وأعتقد أنَّنا نستطيع الإحياء الواعي لهذا المبدأ برغم ما يكتنف الأحياء مَن صعوبات وتعثرات "[٤].

ويعتبر الاكتفاء الذاتي من الحلول العملية والمخارج الإيجابية للفرد والشعوب ساعة الإحراج فيقول: "وهذا ما نود إثباته هنا ونقله إلى القارئ الواعي الباحث عن الحلول

١-الوثيقة ، ص٨٤ .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٢١.

٣- المصدر نفسه ، ص٢٢٢ .

٤-المصدر نفسه ، ص٢٢٢.

العملية والمخارج الإيجابية، وسيكون لهذه الحلول والمخارج أهميتها ساعة الصفر، وهي الساعة التي تتجمد فيها قدرات الشعوب على توفير لقمة العيش وتغذية الأسرة من الناتج المحلي بعد انقطاع الاستيراد الاستهلاكي وربما تحقق العمل الطوعي من بعض العمال في بعض مواقع الزراعة والصناعة المحلية لمجرد ضمان الحصول على ما يملأ بطن العامل فقط دون المطالبة بأجر آخر "[١].

وهو يضع بهذا الطرح قضايا إجمالية في مجال الاقتصاد ويشحذ همم الأمة ويلفت الأنظار والأذهان لإعادة ترتيب أوضاعها الاقتصادية من خلال الاكتفاء الذاتي فيقول: "إنَّنا في هذا العرض السريع لا نستطيع أن نفصل الأمور المستجدة في الواقع الاقتصادي المنتظر، وإنما نضع نقاطاً محددة لإثارة الأذهان المستبصرة؛ كي تعيد ترتيب واقعها الذاتي في الإعداد المتدرج لمثل هذه الظروف الآتية بلا شكٍ وعلينا أن نتذكر مواقف الأئمة السابقين من رجال المدرسة الأبوية عندما استنفروا الذوات وهيؤوا بالأتباع وبالعمال تأمين الاقتصاد الضروري بإحياء الزراعة وتحسين إنتاجها ؛ حتى تمكنوا في مراحل قصيرة من قول مقولتهم الشهيرة: "لا نحتاج لاستيراد شيء من الخارج ما عدا الإبرة للخياطة "[٢].

وتحدث عن نجاح المدرسة في هذا المجال في بعض المراحل وضرورة العودة إلى الاكتفاء الذاتي بعد ما تغيرت الأحوال حيث يقول:" وبهذا الاكتفاء الذاتي نجحت المدرسة ومن استظل بمظلتها الاجتماعية والاقتصادية من التماسك أمام الانهيار التاريخي المتوقع، ومع هذا وذاك فقد تحولت الحياة من جذورها فيما بعد.

ومع هذا التحول فالواقع قد أثبت لنا ضرورة العودة الواعية لدراسة الاعتماد على الاكتفاء الذاتي في الأسرة والمجموعة والقبيلة؛ حتى لا تتكرر المأساة.."[٣].

وبهذه الإطلالة على بعض المفاهيم التي كتبها بلغةٍ فكريةً ورؤيةٍ مستقبليةٍ نرى أنَّ الاكتفاء الذاتي من جملة معالم مشروعه التجديدي على مستوى مدرسته ومجتمعه.

١- الوثيقة ، ص٢٢٢وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٢٣ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٢٢٣.

الثاني عشر: سعة العلاقات وضبطها مع التكوينات الفكرية والسياسية والمذهبية والاجتماعية وغيرها

من مشروعه الفكري والاجتماعي توسيع العلاقات مع كل التكوينات المجتمعية؛ لأنَّ لغة الإسلام لغةُ المحبةِ والمودةِ والصلةِ وإيجاد لغة التماسك الاجتماعي بين كل المكونات، وهذا منهج القرآن يقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣].

كما أنه ليس منعزلاً فكرياً ولا علمياً ولا معرفياً فهو واسع العلاقات، ويدعو إلى توسعتها مع الموافق والمخالف تحت مضلة الإسلام وقواسمه المشتركة وإعادة صياغة العلاقة من منطلقٍ فكريٍ واسعٍ وليس من منطلق المذهبية والحزبية والفئوية الضيقة، تحدث عن العلاقات الواسعة وضوابطها في كتابه" الوثيقة" على النحو التالي:

- **ضوابط العلاقة مع أصحاب قرار الحكم :**

١-البعد عن سياسة النزاع معهم ومصارعتهم فيه مع الاعتماد على النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢-عدم الخوض فيما لا طائل تحته من سلبيات في التأريخ ومجريات الأحداث التي حولها بعض أهل المذاهب والرؤى إلى مواقف عقائدية وحرب طائفية، بل عدم الخوض في هذا هو عين السلامة.

٣-الإنصاف والصدق والتوجه والبعد عن الخداع والكذب والبهتان والمداهنة.

٤-البعد عن الأغراض الدنيوية والطباع البشرية"[١].

- **ضوابط العلاقة مع أصحاب المال:**

١-الورع والتحري في طلب لقمة العيش.

١- الوثيقة ، ص٢٠٥ بتصرف .

٢-إخضاع العملية الاقتصادية والمعاملات الحديثة وتحديد هويتها شرعية أو غير شرعية.

٣-العمل على الاكتفاء الذاتي كما مر معنا"[١].

- **ضوابط العلاقة مع أصحاب الجاهات:**

١-احترامهم سواء كانوا من ذي السلطة أو القبيلة أو المال أو العلماء أو الأولياء وغيرهم.

٢-ضبط علاقتنا بهم في عاداتهم بالمنهجية الشرعية مستبعدين ما لا يتناسب مع الواقع الاجتماعي المتحول.

٣-إعادة الثقة بين الفئات المختلفة من ذوي الوظائف والتراتيب.

٤-الارتقاء في علاقتنا معهم فوق المصالح الذاتية والاجتماعية"[٢].

- **ضوابط العلاقة مع أصحاب السلاح:**

١-لا ترغب المدرسة في حمل السلاح بعد أن كان للفقيه المقدم موقف في كسر السيف حتى صار هذا الموقف مبدأ من مبادئ المدرسة، ولأن السلاح لم يعد لغة الحلول ولكنه صار لغة للأزمات والهمجية .

٢-حل القضايا بلغة السلم والتفاهم والحوار وإبعادها عن لغة السلاح والبندقية.

٣-توجيه حامل السلاح بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كي يستخدمه في حماية الأعراض والأموال وصون الدماء عن القتل الحرام ومراقبة الله في حمله.

٤-لا مانع من حمل السلاح في الجهاد المشروع بضوابطه المقررة شرعاً أو إذا تفشت اللصوصية وفقد الأمن وغابت الجهات الرسمية عن حماية النفس والعرض"[٣].

١- الوثيقة ، ص٢٢٤ وما بعدها بتصرف .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٢٤ وما بعدها بتصرف.

٣- المصدر نفسه ، ص٢٤٩ وما بعدها بتصرف.

- **ضوابط العلاقة مع المندفعين من داخل المدرسة:**

١-إيجاد التوازن الفكري والاجتماعي والاقتصادي لحفظ ما يمكن حفظه من وجهات نظر الشباب المندفعة.

٢-المعاملة الواعية مع هؤلاء المبنية على الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي.

٣-استيعاب المناهج الحديثة مع الأدب مع السلف وهذا يعني الجمع بين لغة المرحلة في التعليم ولغة المدرسة الأبوية في التربية"[١].

- **ضوابط العلاقة مع من نخالفهم الرؤية:**

١-أن نتسم بسعة المشهد معهم.

٢-فهم القواسم المشتركة وتفعيلها فيما بين المختلفين.

٣-تجاوز سياسة الإفراط والتفريط لدى المتعصبين من كل رؤية أو جماعة إلى منهجية الاعتدال الواعي.

٤-إعادة النظر في التربية المعاصرة والإعلام المعاصر والاقتصاد الربوي الكافر.

٥-كبح جماح العواطف الجياشة في المجال الاجتماعي أو الارتباط بالمجموعات والجماعات والانتماءات ذات الرؤى السياسية وغيرها واعتماد العقلانية والوعي في التعامل معهم.

٦-إحياء سنة المواقف القيمية والأخلاقية ، وما معاملتنا مع من يخالف المدرسة لا نمنعه من اتخاذ رؤية يراها ولكن لا يسمح له أن يتحدث باسمها وباسم منهجها.

٧-لا تساند الرؤى والأفكار الجانحة والخارجة عن الهدي النبوي وإن كانت باسم آل البيت أو باسم المدارس التقليدية"[٢].

١- الوثيقة ، ص٢٣٤ وما بعدها بتصرف .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٤٠ وما بعدها بتصرف .

- **ضوابط العلاقة مع منكري علوم الحقائق والكرامات:**

١- ضرورة التأصيل الشرعي لثمرة علوم الإحسان.

٢- إزالة مفهوم التعارض بين العقلانية وقبول خوارق العادات.

٣- احترام وجهة نظر الغير متى ما قامت على أصل شرعي.

٤- لابد من إعادة قراءة تراجم وأخبار وآثار السلف بما يتناسب مع لغة الزمان والعصر والمرحلة مع التمحيص في صحة النقل وحسن التعليل والتحليل لما نقل عنهم في هذا المجال"[١].

- **ضوابط العلاقة مع الشرائح الاجتماعية المتنوعة:**

١- حسن المعاملة معهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم ومناسباتهم وكافة أحوالهم؛ لتمتين الصلة مربوطة بالإرشاد والنصيحة.

٢- إحياء لغة السلام والمحبة والمودة ونبذ لغة الأحقاد السياسية والاجتماعية والطبقية والطائفية.

٣- عدم مشاركتهم في ما لا يرضاه الله ولا يقره الشرع ولا الهدي النبوي، واجتناب حضور مجالس الغفلات وإضاعة الأوقات"[٢].

إنَّ العلاقة مع التكوينات المجتمعية على اختلاف مسمياتها بضوابطها جزءٌ من مشروعه التجديدي في المرحلة المعاصرة، وقد مارس العلاقة الاجتماعية في حياته ومازال يمارسها في بلده وفي العالم العربي والإسلامي، ويدعو طلابه ومحبيه إلى تفعيل هذا الجانب ومخالطة التكوينات المجتمعية بالضوابط الشرعية وإن كنا مقصرين في هذا الجانب.

١- الوثيقة ، ص٢٥٢ وما بعدها بتصرف .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٦٠ وما بعدها بتصرف .

الثالث عشر: إحياء المدرسة الأبوية النبوية في منهجيتها التعليمية ومنهجيتها في التلقي

المدرسة الأبوية يقصد بها التي تعتمد في منهجها التربوي والتعليمي على التلقي والإسناد والتسلسل الإسنادي لها .

والمدرسة الأبوية لها جذورها التاريخية والشرعية فأعمدتها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– :﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]. وقد تحدث شيخنا عن المدرسة الأبوية مجيباً عن سؤال: (ماذا تعني المدرسة الأبوية) ؟، في كتابه الدلائل النبوية، يقول: لا شك أن مفهوم (الأبوية) في الشريعة الإسلامية لها مدلول عظيم يبدأ بالوالدين وبرهما ويتدرج إلى الأرحام والجيران وما تلا ذلك من السلم الاجتماعي المألوف، ولكنها في مسألة الانتماء المعرفي المسند تذهب إلى أبعد من ذلك كما هو في ارتباط أمة الإسلام بعمومها بأبي الحنيفية الأول إبراهيم – عليه السلام – :﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

فالاتصال المسند للعلم الأبوي يتسلسل عبر الأنبياء إلى إبراهيم – عليه السلام– ونحن أمة الإسلام نتصل بإبراهيم عن طريق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ شهيداً علينا وناطقاً بالحجة الأبوية، ونحن حملة العلم الأبوي المسند المتسلسل شهداء على الناس، وبهذا تكتمل الحلقة الأبوية الشرعية، وبالنسبة لواقع التعليم والتلقي فالمقصودبـ(الأبوية) مدرسة الإسناد والأسانيد التي تربط بين المادة المقروءة والمعلم من جهة، وبينهما والطالب من جهة أخرى، والأبوية هي هوية العلاقة بين الإنسان والمعرفة، فهناك معارف مبتورة لا يجد المرء منها أثراً معنوياً يزداد به معرفة بالله، أو خشية منه، أو نفعاً أو إيجاباً يعود عائده إليه بصفة مشروعة، وتقابلها مجموعة المعارف التي يستشعر المتعلم بها أنه يترقى علماً نافعاً، ويترقى ثواباً عند الله سواءً بنوع المادة ذاتها كالقرآن والسنة وما تفرع عنهما أو بالنية الصالحة فيها كالنية المتوفرة في طلب علم الخدمات والعلوم النظرية"[1] .

١– الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ، ص ١٣ وما بعدها .

وقد يعترض على المنهجية الأبوية بأنها تعتمد في تربيتها للأفراد على التسليم الكامل وإغفال العقل والتفكير ودورهما، ونحن ما علمنا بمثل هذه التربية عبر القرون الأولى، بل وجدنا العكس فوجدنا تربية تقوم وتعتمد على مبدأ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] . قراءة للكون والحياة والإنسان بغير إملاء، ولكن بشرط أن تكون القراءة حرة باسم الرب لا باسم الحزب أو المذهب أو الجماعة أو الفئة أو القبيلة أو الرؤية القاصرة، وهذا تنبيه لمن يرى أنَّ التربية الأبوية تقوم على إغفال العقل ودوره، فينتقد التربية الأبوية والمدرسة الأبوية، وينقض ما تحمله من فكر وثقافة ورؤية تربوية، والغريب أن هناك انتقادا من قبل بعض الجماعات على المدرسة الأبوية بأنها مدرسة إملائية مع أن المنتقدين يمارسون نفس ما ينتقدونه على المدرسة فقد صادروا عقول الشباب بحجة الطاعة والتقليد لبعض الدعاة والانتماء الحزبي، ويصدق عليهم المثل القائل: (رمتني بدائها وانسلت) ولو كانت المدرسة الأبوية مصادرة للعقل لما وجد كثير من أئمة الإسلام خالفوا مذاهبهم كما حال الإمام النووي والرافعي وابن حجر والرملي على مستوى المذهب الشافعي، وكما هو حال محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف في مذهب أبي حنيفة، وكما هو حال الإمام ابن قدامة وغيره في مذهب أحمد، وكما هو حال كثير من علماء السلوك خالفوا مشائخهم في كثير من الوسائل.

ولقد عمل شيخنا منذ نعومة أظافره على إحياء المدرسة الأبوية منهجاً وتعليماً وتربية فأنشأ الأربطة والمنتديات والملتقيات والمؤتمرات والدورات الصيفية ومراكز الإبداع والبحوث، وتنقل من محافظة إلى محافظة ومن قرية إلى قرية في يمن الإيمان والحكمة، وأعاد ثقة الأجيال بالمدرسة ومنهجها التعليمي والتربوي والسلوكي بواسطة البحوثات والحلقات العلمية في ذكريات الصالحين والمناسبات الإسلامية حتى أوجد لدى الطلاب عملية البحث والتحرر من القراءة المجردة عن الوعي والفهم والتحقيق.

وبهمته العالية وعزيمته الواعية والمتدفقة وإيمانه بمنهجية الإسلام وصدق توجه أبائه وأجداده ونقاء منهجية مدرسته، فقد عمل على إحيائها وأوجد جيل الأربطة والمنتديات والدورات الصيفية التي تحمل منهج هذه المدرسة الفكري والتربوي والسلوكي، وقد كتب حولها كثيراً وتحدث عنها وعن رجالها في أكثر من كتاب، ككتاب " الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية " وقد حوربت المدرسة الأبوية محاربةً شديدةً وتولى هذه المهمة

الاستعمار الفكري والثقافي والتربوي والتعليمي والسياسي والعسكري الشرقي منه والغربي، وأوجد البدائل التي تحقق له سياسته في الواقع حتى أوجد جيلاً لا يعرف شرف المدرسة الأبوية التقليدية، بل يرى بأنها من أسباب التخلف والانهيار والرجعية والخرافة ورائدة الابتداع والانحراف العقدي.

وقد عايش شيخنا هذه المرحلة ومهمة قادتها ورأى منهجيتها وأساليبها ومخرجاتها المدمرة للمدرسة الأبوية، فعمل على إعادة المدرسة الأبوية بلغة تجديدية، فأوجد يقظة لدى كثير من الشباب، ووعياً لدى حملة هذه المدرسة؛ ليشاركوه شرف الإعادة والتجديد، ويعتبر هذا من أهم مشروعاته التي أخذ على عاتقه مهمة إعادتها.

الرابع عشر: ربط التعليم الأبوي بالتعليم الأكاديمي والعكس

لقد أدرك الخلل في أجيال وحاملي منهجية المدرسة الأبوية والأكاديمية وأنَّ الجميع لديهم نقصٌ في أكثر من مجال، ولا بد أن يُكَمِّلَ بعضهم بعضا. فالمرتبطون بالمدرسة الأبوية لا بد أن يكملوا نقصهم في المدرسة الأكاديمية، والمرتبطون بالمدرسة الأكاديمية لابد وأن يكملوا نقصهم في المدرسة الأبوية، ويمزج الجميع بين منهجية المدرسة التقليدية الأبوية والمدرسة الأكاديمية، ولا يوجد تنافر وتضاد بين المدرستين عند العقلاء وأهل الوعي والسعة المعرفية المدركين ما تحتاجه المرحلة وما يحتاجه شبابها وأجيالها .

وقد عمل شيخنا وحبيبنا على الدمج بين التعليم الأبوي والأكاديمي وجعل الأربطة والمنتديات منطلقاته في تحقيق هذا الدمج وقد أوجد الدكتور في العلوم الشرعية والقانونية والتربوية وأوجد المهندس والمرشد والمدرس الذين يحملون المنهجين ولهم تأثيراتهم الفكرية والتربوية والسلوكية في الواقع وقد اختلطوا في المجتمع اليماني وغيره فكانوا نواة للتوازن في أكثر من مجال، ودعاة خير وسلام حقق الله بهم مشروع الدمج بين التعليم الأبوي والتعليم الأكاديمي الذي تبناه في حياته. متعنا الله به وأعاد بناء منهجية التوازن في الحياة التعليمية

والتربوية والاجتماعية وغيرها. وقد تحدث عن هذا الموضوع تحت عنوان الدمج بين التعليم الشرعي والأكاديمي في كتابه المهيع الواضح الميمون حيث قال:

إِدْخَالُ كُلِ نَافِعٍ جَدِيْدٍ فِيْ مَوَقِعِ الْتَعْلِيْمِ بِالْتَسْدِيْدِ
وَخُصَّ مَا يَفِيْدُ جِيْلَ الْمُرْحَلَةْ فِيْ الْعِلْمِ وَالْتَصْنِيْعِ حَتْمَاً نَقْبَلُهْ
والْدَمْجُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحَيَاْةِ وَحِرْفَةِ الْبِنَاْءِ وِالْإِنْبَاْتِ
وَرَبْطُ جِيْلِ الْعِلْمِ بِالْزِرَاْعَةِ وَالْصَبْرِ فِيْ الْتَقْلِيْبِ لِلْحِرَاْثَةِ
وَرَفْعُ إِحْسَاْسِ الْشَّبَاْبِ بِالْعَمَلْ وَحَجْزِهِمْ عَنْ الْخِلَاْفِ وَالْجَدَلِ[١]

الخامس عشر: إنقاذ ما يمكن إنقاذه

الحبيب أبو بكر المشهور يحمل رؤيةً ذات منهجيةٍ شاملةٍ ويحمل المشروع المتكامل لا سيما في المجال التربوي والفكري ولأنَّ المرحلة صعبة لا يمكن تطبيق المشروع المتكامل الذي يحمله، وكتب بعضه على جهة العموم فقد نادى ودعا إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه في المرحلة، وقد تحدث عن موضوع إنقاذ ما يمكن إنقاذه في أكثر من كتاب "والإنقاذ متنوع الوسائل كتنوع المجالات ولكن الأمل معقودٌ على النجاة بنجاح أساليب الإنقاذ وليس وسائلها ولا حالاتها، فهناك أطواق تحمل مسمى "طوق النجاة وهي أول أسباب الغرق وهناك حالات لا تقتضي مد الأطواق فيما يبدو للعين حيث تصبح في ساعة ما بؤرة الهلاك والموت المحقق"[٢].

ويبين أنه في مرحلة إنقاذ ما يمكن إنقاذه وقليل من أهل العصر من لا يقف معه ولا يدرك مهمته في هذه المرحلة، حيث يقول:" إننا بصدد إنقاذ ما يمكن إنقاذه وقليلٌ من أهل عصرنا من يقف موقفنا ويتمسك في الطوفان بأطواقنا؛ لأن المنطق السائد والعام يقول ما

١-المهيع الواضح الميمون شرح منظومة الفكر الأبوي المأمون في طريق السلامة النبوي المضمون، ص١٢٧.

٢- دوائر الإعادة ومراتب الإفادة ، ص٧٢ .

قاله كنعان بن نوح:﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود: ٤٣]. وكنعان كان أحد ضحايا الطوفان؛ لضعف مدركاته بحقائق وأهداف والده المبعوث بالهدى والرحمة ولقوة تأثره بما هو معروف ومألوف في الواقع والواقع من وجهة نظر نوح -عليه السلام- ومن آمن به واقع هالك لا محالة، أما من وجهة كنعان وأشباهه فما هي إلا كارثة طبيعية وستمر ولن يكون نوح ومن معه في السفينة أحق بالنجاة من مستعيذ بجبل شاهق ثابت في تخوم الأرض، وهكذا تكون المبررات والظنون الكاذبة"[١].

وقد فهم هذا المبدأ والمفهوم من قوله ﷺ : "إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخويصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ ، وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ."[٢].

في الحديث يشير إلى أن الواقع المضطرب والاعتداد بالرأي يدعونا إلى الرجوع إلى الخويصة ، والخويصة تختلف باختلاف الشخص فالأبناء بالنسبة للأب من الخويصة والطلاب بالنسبة للشيخ خويصة والقبيلة بالنسبة لشيخها من الخويصة والرعية بالنسبة للحاكم خويصة هكذا تتعدد الخويصة ففي ظل الفتن الفكرية والسياسية والاجتماعية والمواجهات القاتلة والاضطراب السياسي في المجتمعات وإثارة الشهوات والشبهات لا بد من الرجوع إلى الخويصة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وهذا مشروع المجددين في ظل الأزمات والمشكلات لا يحبطون ولا يخبطون ولا يتورطون ولا يخلطون في المواقف والمفاهيم والسلوكيات وبفهم وتحقيق مفهوم إنقاذ ما يمكن إنقاذه نستطيع أن نوجد الشيء الكثير والمحافظة على كثير من المفاهيم والقيم الإسلامية في المجتمع ونستطيع أن نحافظ على المدارس الأبوية ومناهجها التعليمية والتربوية على مستوى الفرد والأسرة.

١-الوثيقة، ص٣١٥ وما بعدها .

٢- رواه أبو داود في سننه برقم (٤٣٤١)، والترمذي في سننه برقم (٣٠٥٨).

السادس عشر: إعادة النظر في فهم المناسبات الإسلامية والحوليات والذكريات وتهذيبها من العادات والإفراط والتفريط

المناسبات الإسلامية متعددة في حياة الأمة فهناك مناسبات عامة وهناك مناسبات خاصة، ومناسبات الأمة تاريخها ومن لا مناسبة له لا تاريخ له وإحياء المناسبات بالأسلوب التقليدي لم يؤد دوره في فهم حقيقة هذه المناسبات ، وهناك مواقف اتخذت إزاء هذه المناسبات الإسلامية لكنها مواقف سلبية :

الموقف الأول: انتهج فيه منهجية القبول الكلي لإحيائها على ما فيها من علات وإفراطات ودافع عنها وبغير تنقية.

الموقف الثاني: انتهج فيه منهجية الرفض الكلي وحكم عليها بالبدعة والانحراف وحصل الصراع الممول والمدفوع بين الجانبين، واستغل ذلك العدو المتربص، وفجر أزمات وصراعات في الواقع. لكننا نجد الحبيب أبا بكر المشهور يحمل رؤية وموقفاً متوسطاً ومعتدلاً حول هذه المناسبات، فهو يرى المناسبات وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، ولابد أن يفهم معناها العام، ولا بد من التحديث لها، ويرى أنَّه لابد من إظهار المناسبات الإسلامية إظهاراً يليق بها ويتناسب مع الواقع ومع الأحداث المعاصرة.

ومستنده الشرعي في إحياء المناسبات قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥]. فقوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾. هو الدليل الواضح والمعتمد في "فقه المناسبات" كنوع من أنواع الفقه المعروفة، وقد فسر قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] . بالإخبار عن الحدث والنعمة مع التحديث في الوسيلة والمظهر، ويكون المعنى" فحدث" أي طور وسائلك في التحديث والوسائل بما يتناسب مع واقعك ومرحلتك، وقد ذكر مرة في محاضرة له في مناسبة الجند : " أنَّ الحرب في العصر الحديث حرب وسائل". وله اهتمام بحوليات الصالحين وزياراتهم ويرى أن زياراتهم لا تختلف عن غيرهم في المشروعية وسواءً كانت فرادى أو جماعية، ويرى أنها مظاهر اجتماعية ولكن لابد من الضوابط الشرعية التي تحكم الزائر في زيارته، كما أن هناك ضوابط تضبط علاقتنا

بالأحياء فهناك ضوابط تضبط علاقتنا بالأموات، وبغير إفراط ولا تفريط، ويرى أنَّ حوليات الصالحين شابها أمور مجانبة للصواب.

وبهذه الرؤية نراه اتخذ موقفاً وسطاً بين من قطع صلته بالصالحين أحياءً وأمواتاً واعتبر الحوليات شركاً وقبوريةً وانحرافاً عن العقيدة وبين من يرى الصلة بالصالحين أحياءً وأمواتاً ويرى حولياتهم مظهراً اجتماعياً، ولكن بغير ضوابط ولا علم ولا معرفة، فنجده اعتبر الموقفين يمثلان الإفراط والتفريط، واتخذ موقفاً وسطاً، فهو يرى أن الحوليات لابد أن تخضع للإضافة والحذف، ويقصد بالإضافة منهجية التجديد والحذف يعني به حذف ما لا يليق فعله، وهذا هو المنهج الوسطي الذي انتهجه في فكره ودعوته وعلاقته بالأحياء والأموات وعلاقته بالحكام والشعوب والأحزاب والجماعات.

فقد أعطى اهتماماً كثيراً في تحركاته ونشاطاته الدعوية للمناسبات والذكريات وحوليات الأئمة والصالحين والأولياء وأعاد لها مكانتها الفكرية والعلمية والثقافية واستطاع أن يقف موقفاً متوازناً بين موقف القبول الكلي لها على ما فيها من سلبيات والرفض الكلي لها على ما فيها من إيجابيات فأضاف لمسات تجديدية إليها تتناسب مع لغة المرحلة ونادى بالتحديث والتجديد في قضايا الفكر والثقافة فضلا عن الذكريات والمناسبات حيث يقول:" ومن هذا المفهوم المستجد نعتقد أن كافة الموروثات الإسلامية بما فيها الذكريات والمناسبات يجب أن ترضخ لهذا المبدأ أي مبدأ التحديث "والتجديد" الهام حتى لا يصيبها ما أصاب المرحلة من داء التفسير الأنوي المعبر عن الطعن والهمز واللمز في التأريخ ورجاله "[١].

وقد تحدث عن المعالجة الصحيحة في الذكريات والمناسبات وأن المعالجة ليست بإلغاء المناسبات والذكريات بل بتصحيح الخطأ حيث يقول:" والخطأ لا يعالج بالخطأ مهما كان الخطأ السائد وإذا ما أثبتنا قاعدة معالجة الخطأ بخطأ آخر فقد وافقنا على تدمير الإنسان والعلم والعلاقات والديانة كلها وهكذا يفعل الكثير اليوم.

إنَّ الخطأ إنما يعالج بالصواب ، والصواب لا يباع ولا يشترى ، ولا يتكون بالتكتلات والأحزاب، بل إن هذه المظاهر تسهم في إشاعة الخطأ وتوسيع مساحاته؛ ليتحول المجتمع

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٣٦ وما بعدها .

إلى كتل متناحرة تدافع عن رغباتها وشهواتها وطموحها باسم التوحيد والتجديد وبناء المجتمع الجديد "[١].

ودعا إلى أن مجرد القدح في العقائد يدعو إلى إعادة ترتيب الزيارات والمناسبات فيقول:" إنَّ مجرد القدح في العقائد كاف للنظر في قضية الإفراط والتفريط والمقصود بالنظر، أي" الاتفاق الواعي على طرح كافة أمورنا الاعتبارية في الزيارات والمناسبات رهن البحث والملاحظة ليس لإرضاء الخصوم وإسكات عقدة ألسنتهم وإنما للبحث عن الحقيقة من حيث هي من منهج الإسلام حيث لا ضرر ولا ضرار"[٢].

ونجده يقر بأن العلاقة بين الأحياء والأموات فيها شوائب الإفراط والمنطلق حسن الظن بالله وكرمه وبالصالحين، ولكنَّ هذا لا يبرر التجاوز الشرعي فيقول:" فالعلاقة بين الأحياء والأموات مسألة تتسم بالإفراط لدى البعض من الأتباع، وقد يكون الدافع لهذا الإفراط حسن الظن بالله وبأولياء الله وسعة الفهم لكرم الله في عطائه، ولكنَّ الإشكال الذي تقف عنده العقول والأقلام تجاوز الحد الشرعي في نماذج هذه العلاقات بما يفتح أبواب الجدل والمنازعات والحرج "[٣].

وتحدث أنَّ بعض المنتسبين إلى المدرسة يعتقد أنَّ العادات المألوفة يجب الالتزام بها والإصرار عليها كيفما كانت، فيقول:" لقد اعتقد البعض من أتباع مدرستنا أنَّ المألوف، وإنَّ كانت عادة من العادات يجب الالتزام به والإصرار عليه؛ لأنَّ الخصم كما يراه لا يكفيه الترك لشيء إنما يرغب في تحقيق التنازلات تلو التنازلات دون إيقاف الخصومة والمنازعة، ومثل هذه الحالة يجب فيها الحزم والأخذ بالأمر من باب التحدي والعمل من جانبنا على ما ألفناه وتعودناه ولو أثار الخصوم وأغضبهم؛ لأنَّ إرضاء الناس غاية لا تدرك وهذا المفهوم هو عين ما يفعله الأضداد من الإصرار على مواقفهم وعدم التنازل عن الشيء من أفكارهم، وقد شهدنا مثل هذا التحدي في عواصم هذه المدرسة المناوئة لمدرسة السلف الأبوية الذي لم يعد بعائد يذكر على وحدة الأمة ولا على مواقف المختلفين وباعتبار أنَّنا أهل مدرسة

١- الوثيقة ، ص٩٥ .

٢- المصدر نفسه ، ص٩٥ وما بعدها.

٣- المصدر نفسه ، ص١٠٠.

أخلاقية تستمد نهجها الشرعي من ثوابت السلوك النبوي فلا يضرنا أمام الضد أو غيره أن نختار لأنفسنا وطريقتنا ما يضمن لها البقاء والاستمرار ويبعد عنها ما لا حاجة إليه من فروع العادات والطقوس مقابل كسب مواقف عملية في اختراق المجتمع بمختلف شرائحه لإصلاحه وإعادة ترتيبه على الوجه المشروع "[١].

وقد نقد المتعصبين لعاداتهم نقداً عقلياً وعلمياً حيث قال عنهم : فالمتعصبون للعادات باعتبارها جزءاً من الطريقة ربما لم يتعصبوا للجماعات والصلوات في أوقاتها المعروفة باعتبارها سنة واتباعاً والحريصون على الالتزام بكافة الطقوس والوسائل المألوفة في الزيارات والمناسبات الخاصة بالمدرسة ربما لم يحرصوا على مظاهر الواجبات الشرعية المفروضة في المذهب.

وأمَّا عند غيرنا فالغربة فيهم أنهم متعصبون غاية التعصب ضد الموالد والزيارات والأولياء ويتلاشى هذا التعصب ويتحول إلى تسامح وتثعلب أمام عادات الربا والشبه التي تمول الغالبية العظمى من طلاب مدارس التوحيد إن لم نقل كلهم ومثل هذا الإيضاح يوحي بأنَّ التشدد والتعصب لا يمثل موقفاً سلبياً في كل الأحوال، وربما مثل حالة الذات المتعصبة وحدها والآخرون تبع في الغالب لصاحب القرار المتعصب وفي كل الأحوال لا يدعو أحد لترك مألوف عادة ارتبطت بالديانة والتدين وإنما يدعي الجميع لتصحيح الإفراط والتفريط "[٢].

وتحدث عن سبب الوحشة بين التكوينات الاجتماعية وتوظيف أعداء الأمة لهذه الوحشة حيث يقول: "إنَّ منشأ الكثير من الوحشة بين أفراد المجتمع ترجع إلى عاملين هما: تسييس القضايا الدينية والاجتماعية لتصبح وقود فتنة، وتعصب أصحاب الجهات والمقامات وأتباعهم على قشور المسائل والعادات والمواقف ويستفيد عدو الأمة من هاتين الحالتين ويدفع المال والرجال في سبيل إثارتها وإشاعة متناقضاتها كما يدفع بجملة الأقلام

١- الوثيقة ، ص١٠٠ وما بعدها .

٢- المصدر نفسه ، ص١٠١ وما بعدها.

ورؤوس الفكر والثقافة؛ كي يشغلون المجتمع بالتعليل والتحليل لآثارها وأخطارها، وكل هذا يعود بالفائدة التامة للمستثمر المسيس للعبة والراعي لما فيها ،وما يترتب عليها "[١].

وبهذا الطرح الفكري والعلمي والتحليل الواعي لسياسة الآخر في استغلال مظاهر الإفراط والتفريط في الذكريات والمناسبات والزيارات نرى أنَّ من مشروعه التجديدي إعادة ترتيب المناسبات والذكريات وتحديثها وفهمها فهماً حقيقياً وتهذيبها وإخراج العادات التي تصاحبها وإبعادها من الإفراط والتفريط ودائماً ما يقول: مناسباتنا تحتاج إلى حذف وإضافة حذف السلبيات وإضافة الإيجابيات وإدخال عليها ما ينبغي إدخاله وإخراج ما ينبغي إخراجه ، وقد نجح في أكثر من مناسبة وحولية وذكرى ، فجزاه الله خير الجزاء ووفقه لإكمال مشواره العلمي والتجديدي العام والخاص الكلي والجزئي.

السابع عشر: اهتمامه بالمرأة وتبصيرها بالحقيقة الإسلامية العادلة و إخارجها من طغيان العادات وشيطنة المرحلة المعاصرة

لقد أعطى للمرأة مكانة كبيرة في كتاباته ومحاضراته لإدراكه أن للمرأة دوراً كبيراً وهاماً في تكوين الأسرة وتربية الأولاد وإعانتهم ورعايتهم ومساندة رب الأسرة على ذلك؛ ولأنها الشطر الأساسي في بناء المجتمع السليم إن أحسنا تربيتها ورعايتها وتهذيب سلوكها وتنمية معارفها وربطها بالمنهج الأبوي والخطاب المتوازن، وقد ركز في كتاباته أن يكون المنطلق في معاملاتها هو الإسلام بثوابته وقيمه وأخلاقه وآدابه.

وأدان المعاملات السلبية التي تعامل بها المرأة واعتبر هذه المعاملات امتداداً لثقافةٍ جاهليةٍ وعاداتٍ اجتماعيةٍ سلبيةٍ حيث يقول:" ومثل ظاهرة الحرمان من الميراث والاحتيال على النساء بالنذور وامتلاك حصص الأنثى؛ حتى لا تقع في يد الزوج الأجنبي، وكمثل امتهان الزوجة وسلبها كافة حقوقها المشروعة وتحويلها إلى امرأة تؤدي خدمة المنزل والأولاد فحسب، وربما حجبها زوجها عن أهلها وذويها ومنعها من أخذ نصيبها في

١- الوثيقة ، ص١٠٢ وما بعدها .

العلاقات الأسرية المشروعة ، وكمثل حرمانها من شرف التعلم والتعليم خوفاً من المعرفة والثقافة وهذا مالا يجوز العمل به ولا الإصرار عليه، وكمثل إجبارها على أن تتزوج من لا تريد ولا تحب لمجرد المصالح المالية والاجتماعية أو تأخير زواجها بعد خطوبتها لمجرد اجتماع عرض من الدنيا قليل"[١].

وأورد كثيراً من السلبيات التي يتعامل بها المجتمع مع المرأة "كمثل الضغط على الزوج بإبقاء زوجته عند أهلها رغبة في خدمتها لهم دون اعتبار لمصالح الزوج وأهله، أو الضغط على الزوج؛ كي ينفصل عن أهله ويسكن بزوجته في سكنٍ مستقلٍ خشيةَ خدمة البنت لأم الزوج، أو غير هذا من نماذج الظلم الاجتماعي عن المرأة "[٢].

ويعتبر الاعتناء بالمرأة واجباً شرعياً، حيث يقول:" ويقابل هذا الأمر وجوب الاعتناء التام بالفتاة والزوجة والأم وبقية الأرحام من النساء وحسن توجيههن في شؤون الديانة والتدين "حيث يجد الشيطان عليهنَّ سبيلاً عند ضعف ارتباطهن بالديانة "[٣].

وتحدث عن خصوصياتها وخصوصيات الرجل بمنهجية واعية بعيدة عن التأثرات الفكرية والثقافية والوافدة وبعيداً عن العادات الموروثة التي ليس لها صفة شرعية، فقال:" إنَّ المرأة لها خصوصياتها المعرفية والسلوكية والتطبيقية تبعاً لما خصها الله من وظائف أزلية، وأنَّ هذه الخصائص لا تعزلها عن مفهوم الحقوق والواجبات المشتركة مع الرجل، وإنما تتقيد هذه الأمور بالنصوص الشرعية، وما هي الحقوق المشتركة؟ ثم ما هي الخصوصيات المتفردة لكل من الجنسين مع معرفة الحكمة من الحالتين؟ وما يترتب على هذه المعرفة من إصلاح للمجتمع والحياة والنوع الإنساني ذاته؟"[٤].

وتحدث عن فهم النصوص الشرعية التي تحدثت عن المرأة فهماً عميقاً بلا إفراط ولا تفريط والجمع بينها وبين النصوص التي دعت الرجل إلى التعامل مع المرأة بقيمٍ أخلاقيةٍ

١- الوثيقة ، ص١٣٩ وما بعدها .

٢-المصدر نفسه ، ص١٤٠ .

٣- المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

٤- المصدر نفسه ، ص١٤١ .

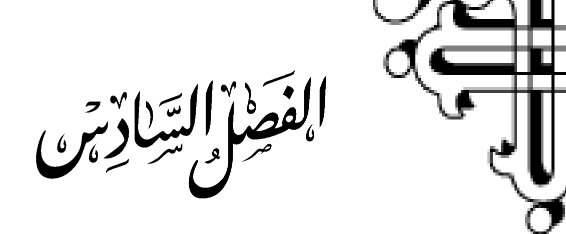
وأدبيةٍ، كالنصوص التي تحدثت عن المرأة بـ"أنـها خلقت من ضلعٍ أعوجٍ ، أو النساء حبائل الشيطان، أو أنها فتنة" لا تقتضي هذه النصوص إهانتها وحقارتها واحتقارها، لا بل المراد منها أنَّ المرأة إذا ابتعدت عن دينها وانحرفت عن قيم الإسلام صارت ألعوبة بيد الشيطان وأعوانه ، فتفسد الحياة مثلها مثل الرجل إذا انحرف وخرج عن دائرة الإسلام، ومثلها مثل المال في يد من لم يدرك حكم الله فيه، ومثلها مثل الحاكم إذا لم ينضبط بمنهج الله فإنه سيحول المال والحكم إلى وسائل إفسادٍ وفسادٍ وابتعادٍ وظلمٍ وطغيانٍ واستبدادٍ.

ودعا إلى إعادة ترتيب المنزل وإحياء الثقافة الأبوية لدى المرأة من داخله حيث يقول:" والشأنُ كلُّ الشأنِ في هذه المسألة هو التركيز على الثقافة الأبوية والتعليم الأبوي من داخل المنزل، ورص المعلومات والأدب والأخلاق الشرعية الأبوية في قلب الفتاة رصاً محكماً بحيث تملأ كافة شواغرها المعرفية والعقلية والعاطفية والنفسية والروحية "بالديانة والتدين " ولن يجد "الشيطان وأعوانه " بعد ذلك من مجالٍ ولا مكانٍ إلا ما أراد الله أن يجريه من "فتنةٍ أو ابتلاءٍ أو اختبارٍ "[١].

وقد شارك في الرفع من مستواها العلمي والشرعي فألَّف كتابين عن واجباتها ومنهجيتها، أحدهما: "فقه المرأة المسلمة"، والثاني: "المنظومة النسوية"، وشرحها بكتاب بعنوان "التبصرة الدعوية بشرح المنظومة النسوية الحاوية على ضوابط المرأة المسلمة المرتبطة بالمدرسة الأبوية "وتعتبر منهجاً تربوياً يرقى بالمرأة المسلمة ويعرفها بمهمتها ومرحلتها ومتغيرات الواقع وموقعها من فقه التحولات والمتغيرات.



١- الوثيقة ، ص١٤٤ .



آل البيت النبوي في منهجه وفكره

أولاً: آل البيت النبوي مدرسةٌ عالميةٌ

ثانياً: آل البيت بين منهجي الإفراط والتفريط.

ثالثاً: علاقة آل البيت بالمنهج الذوقي والمذهبية الإسلامية.

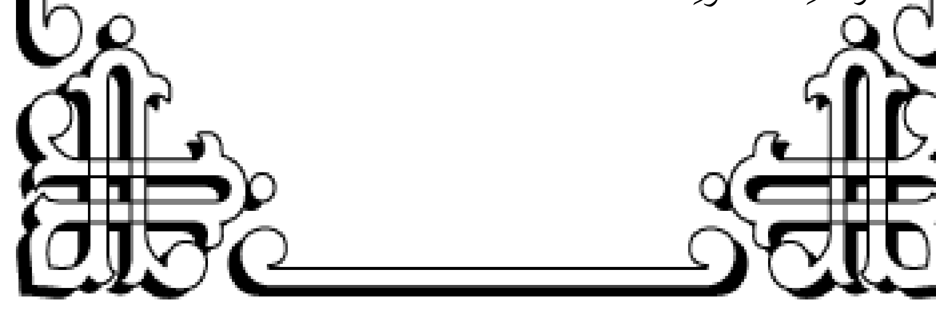
رابعاً: علاقة آل البيت بالحكم.

خامساً: علاقةُ آلِ البيتِ بالواقعِ والمرحلةِ.

سادساً: مذهبُ آلِ البيتِ النبويِ مذهبٌ قيميٌ وأخلاقيٌ وليس مذهباً فقهياً فقط.

سابعاً: علاقةُ آلِ البيتِ بالأمة.

ثامناً: المبادئُ التي ينبغي أن يتحلى بها آلُ البيتِ النبويِ في المرحلةِ المعاصرةِ.



أولاً : آل البيت النبوي مدرسة عالمية

لقد تحدث كثيراً في كتبه عن آل البيت النبوي بلغةٍ متوازنةٍ بعيدةٍ عن لغة الإفراط والتفريط؛ لأنَّ قضية آل البيت تناولها كثيرٌ من الكُتَّاب المتقدمين والمتأخرين وتناولتها كثيرٌ من المدارس الإسلامية والفكرية عبر التاريخ وصار تناولها سلباً أو إيجاباً مشكلة عند بعض الناس؛ لأنَّ الطبع الأنوي والنزوات صارت محكمة في هذا الشأن ولم تحكم النصوص الشرعية في هذه القضية كما لم تحكم النصوص الشرعية في كثير من القضايا حتى وجدت لغة الإفراط عند قومٍ ولغة التفريط عند آخرين وبرزت هاتان الرؤيتان في الواقع وصار كثيرٌ من الناس يعتمدون عليهما في تصوراتهم الفكرية ومواقفهم التعاملية مع قضية آل البيت ممَّا جعل شيخنا يتناول هذه القضية في كثيرٍ من كتبه بلغةٍ متوازنةٍ وبأبعاد فكرية وثقافية وتاريخية وهذا ما سنجده عند وقوفنا على بعض المفاهيم التي يطرحها في أكثر من مجال حول أهل البيت. وآل البيت ليسوا سلالةً متعصبةً ولا فكرة ضيقة ولا منهجاً متمحوراً حول قضايا فرعيةٍ وهامشيةٍ، إنَّهم مدرسةٌ عالميةُ الرؤيةِ والفكرِ والمنهجِ والقيمِ والأخلاق.

ومنْ يقرأ منهجية آل البيت من خلال شخصياته، حيث بدأت بالإمام علي عليه السلام ، والإمام الحسن بن علي عليه السلام ، والإمام الحسين عليه السلام ، والإمام جعفر الصادق عليه السلام، ومحمد الباقر عليه السلام ، وزيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، والإمام زين العابدين بن علي رضي الله عنه، يجد أنهم حملوا رسالة الإسلام العالمية وأخلاق النبوة، وعاشوا في حياتهم مبلغين ومعلمين هذه الرسالة لجميع الناس، وقد أخذ عنهم أئمةٌ كبارٌ شرقوا وغربوا بعلمهم ومنهجهم، ويعتبر هؤلاء الأئمة ثمرةً من ثمرات آل البيت النبوي، والإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان نموذجٌ من نماذج مدرسة آل البيت، حيث أخذ عن الإمام زيد بن علي والإمام الزهري وسفيان بن عيينة ونافع والأوزاعي ومقاتل وأحمد بن حنبل وجابر بن عبدالله الأنصاري وسعيد بن المسيب وسعيد بن الجبير وغيرهم الكثير من ثمرة الإمام زين العابدين.[١].

---

١ – إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٦٥ .

وعالميتهم بعالمية الإسلام ورسالته وعالمية صاحب الرسالة ﷺ فإن تمحوروا حول ذواتهم ولم يرتقوا بفكرهم وتصوراتهم ومنهجيتهم إلى عالمية الإسلام، فإنَّهم سيسقطون بفكرهم ومنهجهم وتخطفهم مدارس التمحور والتقوقع والعصبيات والإفراط والتفريط كما هو حال بعضهم اليوم ، ويتحدث عن هذا المعنى بلغةٍ واضحةٍ مصحوبةٍ بالألم، فيقول:" وبدايتنا تشير إلى أن علتنا نحن "آل البيت" أننا منطلقون في كل مرحلة مع غيرنا بمستوى العرق والعائلة وتراكمات العواطف المسيسة وهذه إحدى عللنا السلبية، فالعائلة والعرقية وسيلةُ تعارفٍ بين العرقيات والعائلات وليستْ لغة خطاب مع الرؤى والأفكار وأبنية العقول وتركيبات الملل والنحل وإنما خطاب آل البيت مع غيرهم في عالم الإنسانية الواسع لغة المدرسة العالمية ذات الثوابت والأصول الشرعية القرآن والسنة"[١].

ويتحدث عمَّا أصاب آل البيت من التمحور حول الذات والإغراق فيها فيقول: آل البيت من أي بلدٍ أو جنسٍ أو مذهبٍ أو رؤيةٍ هم مغرقون في الذاتيات حتى الثمالة؛ لأنهم قد تحوصلوا مثل غيرهم في بؤر الصراع مسيساً وغيرِ مسيس والذي كان يجب عليهم أن يضلوا على منهج الاقتداء والاهتداء بالمتبوع الأعظم ﷺ وحده ؛ لأنَّهم كما قيل عنهم سفن النجاة، والنجاةُ مكفولةٌ لهم ولغيرهم بشروط الالتزام بمبدأ العالمية النبوية الأبوية وقد كانت إحدى أبنية المنهج التعليمي التقليديُ وهي ميزان العدل الذي لا يحيفُ ومنزع السلام الذي لا يوصد، وبتمسكهم بهذا المبدأ العالمي تبطل دعوى كلِ ناعقٍ بالكتاب والسنة على غير الوجه السليم). لأن الدعاوي في هذا البرزخ مثيرةٌ ولا علاج لتحجيم منطلقاتها إلا بارتقاء آل البيت أنفسهم إلى عالمية الأصلين والمصدرين.. [٢].

وعدم الاغترار بالنسب والوقوف عنده وجعله الغاية بُعْدٌ عن العالمية والقيم والمبادئ الإسلامية العامة، ومعالجة ذلك يكون بالأخلاق والقيم الإسلامية ؛ لأنها ترتقي بالذات إلى مستوى المنهج الإسلامي الواعي المستوعب للإنسانية على اختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية والمذهبية والدينية، ونجد شيخنا الحبيب يوضح أنَّ آل البيت علاقتهم بالإسلام؛

---

١ – المشهور، أبو بكر العدني بن علي ، الزوبعة العاصفة، ص٢٠، الطبعة الأولى، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٢ – المصدر نفسه ، ص ٢٣.

لأنه فوق الفكرة العرقية والذاتية، وعلاقتهم مع الغير من خلاله، فيقول: إنَّ الإسلام قضيةٌ وعلاقتنا الشرعية من خلاله أمرٌ ذو أهمية وهو بلا شك فوق مستوى العرقية والعصبية والسلالية والطائفية، وفوق مستوى القومية ولكنَّ الشيطان أبى وهو يعلم فائدة التفرقة والنظرة الجزئية إلا أن يطوي الجميعَ تحت معطفه، ويشغلهم بخدمة مبادئه، ويستثمر فيهم طباعهم ؛ ليروضوا الإسلام ومبادئه للتفرقة والمنازعة والتحريش والتشويش فيهم – ولا فخر–بين صراع القومية والمذهبية والطائفية والقبلية والسلالية والطبقية والمناطقية والحزبية والفئوية وغيرها من وسائل التفرقة بين الشعوب.[١].

ثانياً: آل البيت بين منهجي الإفراط والتفريط

كثر من يكتب عن آل البيت النبوي بلغاتٍ متعددةٍ ذات أطرٍ ضيقةٍ تتسم بالإفراط والتفريط، وهذه الكتابات تحجم آل البيت وتبرز رؤيةً ضيقةً عنهم لدى الناسِ عموماً ، وقد تأثر كثيرٌ من الناس بالكتابات التي تناولتهم من حيث التكوين، ومن حيث الولاء والمحبة، وأورثت هذه الكتابات إشكالاتٍ متنوعةً وقد أدرك شيخنا الآثار السلبية لهذه الكتابات على المستوى الفكري و التعاملي فتحدث بلغةٍ متوازنةٍ ناقداً لغة الإفراط والتفريط في تناول آل البيت تكويناً وخصوصيةً ومنهجاً حيث يقول حول هاتين اللغتين لغتي الإفراط والتفريط : " إنَّنا نحن المنتمون إلى آل البيت عموماً قد وقعنا في محنةِ الاستتباع والانصياع لرؤيتين متعارضتين : إفراط المحبين ، وتفريط المبغضين . وزاد الطينَ بلةً فينا جهلُنا المطبقُ بعلاقتنا الشرعية بمنهج سيد المرسلين من حيث مفهوم الاقتداء والاهتداء في قضايا الولاء والبراء، فصار الكل يندفع نحو الهاوية بلا تعقل ولا توازن ولا من يقبض على حجز الشعوب وهي تتهافت في النار."[٢].

١ – المشهور، أبو بكر العدني بن علي ، رسالة شخصية، ص١٤ ، الطبعة الأولى ، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .

٢ –إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١١ .

وتحدث عن رؤيتين مغاليتين خرجتا عن دائرة الشرع والعقل في نظرتهما إلى آل البيت من حيث التكوين والخصوصية، فقال: هناك مدارس ومشايخ عبروا عن "آل البيت" بأساليبَ مريبةٍ وألفاظٍ غريبةٍ حجبت عقول الأمة المعاصرة أن تفهم حقائق الإحسان ومراتبه، فمنهم من قال: إنَّ لهم منزلةً لا يبلغها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ، ومنهم من احتج بما يصفه البعض من أن رسول الله ﷺ نورٌ وليس بشراً وذريته كذلك، أو أن في مثله نوراً يخرج ذواتهم عن البشرية الآدمية فيبني على هذا عدم موتهم ووجودهم الأبدي مع الناس وسماعهم لكلامهم واستجابتهم لاستغاثتهم ونداءاتهم بالمدد والمساعدة.

وتوسعت هذه الأقلام في تشويه الحقائق حتى عميت البصائر والأبصار وارتفعت درجة الحرارة الفكرية عن مراتب آل البيت وعن أسلوب النقد والتقييم لهم معاً والحق يقال: أنَّ هناك من الكتاب وحملة الأقلام من أخرجوا قضية محبة آل البيت وذواتهم وعلمهم وأخلاقهم من المستوى الشرعي المنصوص.

ومن الكتاب أيضاً من أنكر الفضائلَ والخصوصياتِ والمراتبَ بالكلية واعتبروها من نسيج الأساطير؛ ليلحقوهم بالأخسرين أعمالاً. [١].

وقد اعتبر أنَّ هذه الكتابات والأفكار إنما هي نتيجة ركام ثقافي وفكري وقضية الولاء والبراء في مرحلتنا المعاصرة ولدى المتأثرين العصبية والركام الثقافي لا تعتمد على المنهجية الشرعية، حيث يقول: وهذه هي ثمرات الركام السلبي للصراع الفكري في قضية الولاء والبراء وهذه أيضاً مادة التفجير المعد لمعركة الطائفية باسم آل البيت سلباً وإيجاباً، ولابد أن يكون المستثمر لهذه المسألة المعقدة بين الشعوب هو الشيطان والدجال والكفر وقد فعل ذلك ونجح [٢].

ويزيد الأمر إيضاحاً وتبصرة، فيقول: ولأنَّ آل البيت بشرٌ لا يخرجون عن دائرة الناس من الأشباه والأمثال كما هو مقرر في شريعتنا الغراء، فقد حاولت مدارس القبض والنقض المُقَنَّع من طرف الغلو على أن تجعل العصمة والوحي من تركيب آل البيت أو جعلتهم

١ - إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص٤٠ وما بعدها .

٢ - المصدر نفسه ، ص٤١ .

معصومين يوحى إليهم وكأنهم أنبياء، كما هو أهل الإفراط ومجموعاتهم المغالية، كما حاولت مدارس النقض والقبض المصنعة من طرف الجفاء على سلب آل البيت كل شيء يميزهم ويبرز لهم فضائلهم ومقامهم الممنوح من ربهم ونبيهم ﷺ حتى شرف الصلة ونسبه يتحول إلى كراهيةٍ وبغضٍ وعداوةٍ وتربصٍ وتشريكٍ وتبديعٍ وظلالاتٍ وعبادةٍ لمن لا يستحق العبادة، بل إنَّ مجرد ذكر آل البيت صار في قواميسهم تهمة تؤدي إلى مالا يحمد عقباه كما فعله أسلافهم من أصحاب سياسة الملك العضوض؛ لأنَّ العضوضية قاسمٌ مشتركٌ بين حملة القرار بصرف النظر عن المراحل والعرقيات والأنساب والمبادئ [١].

ثالثاً: علاقة آل البيت بالمنهج الذوقي والمذهبية الإسلامية

من يقرأ تاريخ آل البيت النبوي بعيداً عن الغلو ومنهج الجفاء معتمداً على الموضوعية العلمية والمنهجية الشرعية، سيجد أنَّ علاقة آل البيت بالمنهج الذوقي والمذهبية الإسلامية علاقةٌ غير منفكة؛ لأنهم النواة العلمية والفكرية والذوقية للمدارس الإسلامية بجميع مذاهبها ومشاربها ، وهم عالميون في فكرهم وثقافتهم، وهم بداية التكوين العلمي والمعرفي للمدرسة الذوقية والمذهبية الإسلامية المتوازنة والتفريق بين هذه الثلاثية خيانة للتاريخ ومجانبة لمراحل التكوين العلمي والمذهبي والذوقي ويعد مظهراً من مظاهر سياسة مدرسة "فرق تسد" "وقد حققت هذه المدرسةُ الجافيةُ نسبةً من السيادة بحملها لواء التفريق بين التصوف الإسلامي والإسلام، كما حققت المدرسة الغالية الأخرى هدف الشيطان في الأمة المحمدية بعمومها في المذهبية والتصوف وآل البيت" [٢].

---

١ – رسالة شخصية ، ص١٢ وما بعدها .

٢– إحياء منهجية النمط الأوسط، ، ص١٧٧ .

رابعاً: علاقة آل البيت بالحكم

آل البيت النبوي عبر متغيرات الأحداث والمراحل لا يلتفتون إلى شهوات وملذات ومظاهر الدنيا ومناصبها، ولم يخوضوا أغمار الصراع السياسي الدموي على السلطة، وهذا معلومٌ تاريخياً، وقد يقول القائل: فماذا تفسر خروج الإمام الحسين ﵁ عن حكم يزيد ، والجواب يتكون من عدة احتمالات:

١- أن الإمام الحسين ﵁ خرج كإمام مبايع من قبل أهل الحل والعقد ، ويزيد لم يبايعه غير المنتفعين ، وكان تحت وطأة السيف في عهد أبيه معاوية بن أبي سفيان ، حيث فرضه على المسلمين.

٢- معاوية بن أبي سفيان نقض الصلح الذي كان بينه وبين سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب -﵇- حيث كان أحد بنوده أن يكون الأمر شورى بعد معاوية، فلم يجعله معاوية شورى بل فرض يزيد على رقاب المسلمين والياً.

٣- كان خروج سيدنا الحسين ﵁ خروج إصلاح في أمة الإسلام كما أخبر بذلك حيث قال: إنما خرجت لإصلاح أمة جدي ولم يخرج مطالبا للسلطة أو مصارعاً عليها .

٤- كان خروجه -﵇- حفاظاً وصيانة للكعبة المشرفة وأرض الحرم حتى لا يراق فيها دمُ مسلمٍ وتهدم بسببه؛ لأنَّه علم ذلك من خلال فقه ما أخبر به ﷺ .

٥- في أرض العراق "البصرة كربلاء" كان حوار سيدنا الحسين ﵁ مع قادة يزيد حيث قال لهم: اتركوني أرجع من حيث أتيت أو خلوني أذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين للجهاد في سبيل الله أو دعوني ألتقي مع يزيد فأبوا هذه الخيارات الثلاث، فكانت المواجهة حتميةً ومفروضةً عليه إذا لم تكن إلا الأسنةُ مركباً فما على المضطر إلا ركوبها.

٦- من يقرأ تلك المرحلة يجد أنها كانت مرحلةً مضطربةً لم يستتب الأمر فيها لأحدٍ فكان خروجه من مكة والمدينة إلى العراق لإصلاح أوضاع الأمة.

٧- كان خروجه ﵇ درساً عملياً لكشف مواقف المحبين المتخاذلين ، والمبغضين والناقمين ، والحاقدين والدمويين ، والطامعين في شهوات الدنيا وحطامها ، يقول شيخنا الحبيب: ولم يكن الإمام الحسين طامعاً في حكم وطامحاً في امتلاكه وقد أُثِر عنه قوله: والله ما

خرجت أشراً ولا بطراً وإنما خرجت للإصلاح في أمة جدي، وإنما كان موقفه هو موقف والده الإمام علي عليه السلام كما رواه الشيعة أنفسهم ففي كتاب "من لا يحضره الخطيب" لم تكن الخلافة في قاموس الإمام علي رضي الله عنه هدفاً بحد ذاتها وإنما هي وسيلة لتحقيق هدف فهنالك من يستهدف الخلافة والكرسي ولو على جماجم الأبرياء ودماء البائسين بينما أمير المؤمنين يحذف نعلاً أمام أحد الصحابة ويسأله عن قيمة هذا النعل قال: لا قيمة لها. قال: إن الله ليعلم أنها أهم عندي من خلافتكم إلَّا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلا.[١]. ويقول معلقاً: وبهذه الأنماط الواعية تقرر لدى مدارس السلامة من رجال النمط الأوسط ومن سار على مذهبهم أنَّ ترك القرار يحفظ الاستقرار وأنه استثمارٌ عادلٌ للشعوب؛ كي تنهض بنفسها على ما تلتزم به من شرف النبوة ولو كان القرار السياسي مصاباً بالخلل [٢].

ومن المعلوم الذي لا شك فيه ولا ريب أنَّ الحكم في المرحلة المعاصرة أصبح مخترقاً لا يحمل الاستقلالية والذاتية، بل يتحكم فيه الأخر، وما دام كذلك فلا فائدة منه، ولا فائدة من المطالبة به ولا المنافسة عليه فابتعاد آل البيت عنه عين الحكمة والصواب من جميع الجوانب الشرعية والسياسية وعليهم واجبُ النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساندة كل إيجابي وإنكار كل سلبي، وقد تحدث بوضوحٍ حول مسألة آل البيت وعلاقتهم بالحكم فيقول: والحقيقة أنَّ مدرسة النمط الأوسط ممَّن فيها من آل البيت، وهم قومٌ كثر لا يولون لقضية الحكم والسلطان بالاً ولا أهمية، بل لا يعتبرون الحديث عنه ولا التناول لقضاياه مشرفاً لهم ولمدارسهم وهذه وجهة نظر. [٣]. ويتحدث عن البديل المناسب لهم في هذه المرحلة فيقول : " ومن هذه الوجهة الواعية ننطلق نحن ونعيد مفهوم البديل الأنسب وهو تناول الحديث عن بناء الشعوب والاعتناء التربوي والعلمي بالأجيال وهذا ما سلكه الأولون جميعاً من أتباع هذه المدرسة ولا نعارض غيرنا ممن ينتمي إلى بقية السيف وسادة الصلح الواعي في رأيه المعاكس، فلكل وجهة نظره"[٤].

١ – من لا يحضره الخطيب. ٤/ ١٧١-١٧٢ نقلا عن إحياء منهجية النمط الأوسط ص١١٤ وما بعدها.

٢ – المصدر نفسه ، ص١١٦ وما بعدها.

٣ –إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١٥٠ .

٤ – المصدر نفسه ، ص١٥٠ .

وعندما يتحدث عن رؤيته في قضية الحكم وعلاقة آل البيت به بأنها وجهة نظر، وهنا من آل البيت من له وجهة نظر أخرى، فهذه هي الموضوعية في تناول بعض القضايا التي فيها وجهات نظر متعددة، بل نجده يعطينا مفهوماً راقياً في علاقة آل البيت بالقرار ويرى أنهم جزء من القرار، وإن ابتعدوا عن كرسيه، فيقول: فآل البيت منذ اللحظة الأولى وهم جزء من القرار والاستقرار سواء كانوا في قمة الحكم أو في رعايا المعرفة والعلم. وهذا هو رأي الشرع وأما رغبة الطبع فلابد أن تعالج بأمر آخر[١].

وبهذا المفهوم يقطع الوسوسة التي ترى أن آل البيت مُنِعُوْا من الحكم في المرحلة الأولى للخلافة الراشدة، والواقع العلمي والسلوكي الذي انتهجه الخليفة الراشد أبو بكر، وبعده الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وبعده الخليفة الراشد عثمان بن عفان يعطينا أن سيدنا علياً كان المستشار الأول لهؤلاء في كل المتغيرات الفكرية والسياسية والفقهية، فسيدنا علي ﵁ كان مشاركاً أساسياً في وضع القرار العلمي والسياسي والفكري في عهد الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم، ومشاركاً أساسياً في استقرار المرحلة الراشدة.

خامساً: علاقة آل البيت بالواقع والمرحلة

لابد أن يفقه آل البيت مرحلتهم وواقعهم ويدركوا ما عليهم نحو أنفسهم وأمتهم ودينهم، وعليهم في هذه المرحلة المعاصرة العودة لإحياء ميراث النبوة الشرعي الذي جاء به خير الناس؛ ليعلم الناس أنَّه العلم من حيث الطلب، والتعليم من حيث الإبلاغ، والصدق والوفاء من حيث الهدف والأخلاق؛ لأنَّ في هذا العمل ابتعاثٌ لوظائف الديانة، وهي خيرٌ وأشرف من الانخراط الأعمى في سراديب الخيانة وضياع الأمانة[٢].

ومعرفة الواقع والمرحلة يكون بفهم فقه التحولات والتغيرات، فهو فقه يكشف الواقع وأزماته ومشكلاته ويدعو إلى التعامل معه بوعيٍ وحذرٍ ومسؤوليةٍ فإنَّ هذا الفقه يلزمنا أن نتجنب الاشتغال بالترهات ومنازعة الفئات أو الدخول في صراع الجماعات ومظاهر

١ - إحياء منهجية النمط الأوسط، ص٢٠٦.

٢- الزوبعة العاصفة، ، ص ١٦٥ وما بعدها .

السياسات والحزبيات ويدعونا إلى تجاوز البلادة والسذاجة والسطحية الحركية التي يفتعلها البعض في العلاقات والارتباطات، فالزمان والديانة لا تسمحان لأمثالنا بزيادة بلة الطين المخمر، بل تلزم كل منتم للنسب الشريف أن يقوم ويشمر" [١].

فآل البيت ينبغي أن تكون علاقتهم بالواقع علاقة إيجابية مبنيةً على النفع والإصلاح والإرشاد والمسؤولية، وألّا يكونوا عبثيين في علاقتهم وسلوكياتهم، والواقع والمرحلة يحملان التناقضات الفكرية والسياسية والدينية والمذهبية والحزبية والفئوية والمناطقية، وكل هذه التناقضات تدمر الواقع والحياة والمجتمعات وآل البيت يجب عليهم ألّا يكونوا جزءاً من هذه التناقضات، فهم أعلى من أن ينزلوا أنفسهم إلى هذا المستوى.

وعليهم أن يدركوا أنَّ المرحلة المعاصرة يهيمن عليها إعلام غير منضبطٍ بجميع أنواعه، مدمرٌ للعقل والنفس والحياة والكيان الإنساني ومهمتهم في المرحلة عظيمةٌ، وتكمن مهمتهم في إنقاذ ما يمكن إنقاذه أمام هذا الطوفان الإعلامي المدمر، وثقافة المرحلة ثقافةٌ هشةٌ وسطحيةٌ أوجدت جيلاً سطحياً في ثقافته وإدراكاته العقلية والمعرفية والواقعية ووظفته وسائل الإعلام في تدمير عقليته وعاطفته وذاته وكيانه؛ حتى استدرج إلى أن يواجه ذاته مواجهةً مسلحةً كما نشاهد اليوم في ظل هذه الثقافة السطحية الهشة.

فعلى آل البيت أن يفقهوا ويدركوا حقيقة واقعهم وثقافة مرحلتهم، ويضعوا الأجيال أمام الحقيقة العلمية والمعرفية والواقعية ، فنظرة الناس إليهم مشوبةٌ بثقافة العنصرية والعرقية، حيث ينظر إليهم بأنهم يرفعون لغة النسب والعرقية على لغة الإسلام العالمية، ويعيشون في ظل الكبر والتكبر على عباد الله.

وهذه النظرة قد يكون منطلقها الكره للذوات والكره للمنهج، مع احتمال أن بعض آل البيت يحملون هذه الثقافة لجهلهم بالإسلام وعالميته وقيمه وأخلاقه، ولكنَّ الحقيقة الشرعية لا تدعو إلى الكره للذوات، ولا للمنهج، ولا إلى الاتهام للجميع بأنهم على هذه الصفة السلبية ، وقد تحدث الحبيب عن هذه الثقافة ، بقوله: يا أحبة، إنَّ كراهية بعض الناس لذواتنا غير كراهتهم لمنهجيتنا ، فالكره للذوات جبلةٌ طبعيةٌ يهذبها التواضع ونكران

---

١ – إحياء منهجية النمط الأوسط ، ص١٦٦ .

الذات من جهتنا والصبر على الخصوم واسترضاؤهم والدعاء للمسلمين في الخلوات، وأما المنهج فهو وسيلةٌ من وسائل التعبد لدى الفريقين، وحمل الضد منهجاً مخالفاً لمنهجيتنا في الفروع لا يعني اختلافنا في الديانة، ولكنَّه اختلافٌ في الوسائل مع تحكم الطباع، والطبع يغلب التطبع، ومن نصره الله على حرارة طبعه، نصره الله على ذاتيته وأنانيته.

إنَّ علاج الكراهية الطبعية هي الأخلاق النبوية، وعلاج الكراهية المنهجية هي البيان العلمي بالحكمة والموعظة الحسنة وسعة المشهد في حكمة التباين، وكل هذين العنصرين هما أساس مواقف الدعوة التي أصلح الله بها الناس، وهما جزء من مواريث النبوة"[1]. وعليهم أن يدركوا ثقافة النقض والقبض والمغالطة والتنافس والتحريش، ويعملوا على تجلية هذه الثقافة وألَّا يكونوا جزءاً منها لاسيما أنها تستهدف المدرسة التقليدية بكل نماذجها، وهذا جزء من فقه الواقع وفقه المرحلة. إنَّ جمود آل البيت فكرياً واجتماعياً وانزواءهم عن الحياة وبعدهم عن الناس وجهلهم بالواقع وبعدهم عن خلق النبوة واعتزازهم بالنسب وجهلهم بالحقيقة الإسلامية العالمية وتمحورهم في رؤى سياسية أو مذهبية وتعصبهم لذواتهم وميولاتهم الفكرية والمذهبية وخوضهم فيما لا فائدة منه وتجاهلهم لما ينبغي أن يكونوا عليه من المسؤولية نحو ربهم ونبيهم ودينهم وأمتهم، سقوطٌ لهم ولمنهجهم الأبوي النبوي وبعدهم عن العالمية الإسلامية القرآنية النبوية.

سادساً: علاقة آل البيت بالأمة

آل البيت النبوي جزءٌ من التكوين الاجتماعي لهذه الأمة يعتريهم ما يعتريها من المشكلات والأزمات، وهم جزء لا يتجزأ منها فينبغي أن تكون علاقتهم بهذه الأمة على اختلاف مذاهبها وانتماءاتها السياسية الفكرية والقبلية، مبنيةٌ على عالمية الإسلام وقواعده وثوابته وخصائصه وأخلاقياته وقيمه ومبادئه، منطلقين من الرحمة والشفقة والمودة بهذه الأمة، وعليهم أن يعملوا مع جميع الخيريين على إصلاحها وتقديم الخير لها وإرشادها وترشيدها واستقرارها وعزتها وشرفها وتوجيهها التوجيه المتوازن وغرس الفضائل فيها.

١- الوثيقة ، ص ١٩ .

إنَّ آل البيت النبوي خدامٌ لهذه الأمة أينما كانوا وحيثما كانوا، اقتداء بجدهم الأعظم ﷺ الذي ما ترك شيئاً فيه الخير إلا ودل أمته عليه، ولا شيئاً فيه مضرة إلا وحذرهم منه، ولم يتحمل الأذى والتعب إلا من أجل هذه الأمة بلا مَنٍّ ولا اعتلاءٍ ولا استعلاءٍ أو عوائدَ أو فوائدَ أو مناصبَ إنهم مفاتيحٌ للخيرِ مغاليقٌ للشرِ عبر التاريخ، وهم كذلك في المرحلة المعاصرة إن عرفوا وأدركوا مهمتهم ورسالتهم الإسلامية .

إن أئمة آل البيت لم يكونوا لذواتهم ولم يتمحوروا لآراء ضيقة، بل كانوا مع الأمة كلِّها، وعاشوا مع الشعوب، وقدموا الكثير والكثير للأمة، بل نجدهم يتنازلون عن حقوقهم في سبيل هذه الأمة ووحدتها وأمنها واستقرارها والمحافظة على دمائها من أن تراق من أجلهم وبسببهم ، فآل البيت لم تكن همتهم الأساسية في حياتهم السلطة والتسلط بجميع أنواعه أو البحث عن الجاهات والمقامات عند الناس والتربع على رقابهم وعلى أوهامٍ زائلةٍ، وإنما كانت همتهم الأساسية البحث عن رضا الله، والبعد عن سخطه، وبناء دولة العلم والمعرفة والأخلاق في الشعوب، وربطها بالله ﷻ ورسم سياسة الاستقرار مع كل الخيرين في العالم .

سابعاً: مذهب آل البيت النبوي مذهب نبوي أبوي قيَمي وأخلاقي وليس مذهبا فقهيا فقط

آل البيت النبوي لم يأسرهم مذهب معين ففيهم الشافعي والحنفي وفيهم المالكي والحنبلي والزيدي والجعفري ويلتقون على احترام المذاهب الإسلامية، فهم مذهبيون بغير تعصب ومذهبهم السلوكي والذوقي القيم والأخلاق القرآنية والنبوية وتزكية النفس وتهذيبها إحياءً للركن الثالث من أركان الدين" الإحسان"، وقد لمح إلى هذا المعنى الحبيب في كتاباته حيث اعتبر مذهب آل البيت هي مواقفهم الذاتية المعروفة لدى الأمة بالإمامة، وهي مرتبة ينالها الأئمة الأطهار تضاهي رتبة الاجتهاد عند غيرهم" [(١)].

فقد كان موقف سيدنا علي رضي الله عنه موقفاً قيمياً أخلاقياً مع أصحاب الخلافة الراشدة، بدأ بأبي بكر إلى عثمان بن عفان على اعتبار أحقيته بالخلافة كما هو رأي إخواننا الشيعة، فهل

١- انظر كتاب الوثيقة ، ص١٩٦ وما بعدها .

صادم أحداً منهم؟ وبعده الحسن الذي كان موقفه موقفاً قيمياً وأخلاقياً وهو يمتلك القرار السياسي بشرعيته وتنازل عنه؛ حقناً لدماء المسلمين، وخروج الإمام الحسين كان المنطلق منطلقاً قيمياً وأخلاقياً فكشف له بخروجه الذين لم يلتزموا المواقف الأخلاقية في نصرته، ولم يلتزموا المواقف الأخلاقية في خذلانه وقتاله ومواقف أئمة البيت بعده، كمواقف الإمام زين العابدين بن علي وجعفر الصادق ومحمد الباقر وموسى الكاظم، كلهم وقفوا مواقف أخلاقية قيمية لم ينتهجوا الفحش والبذاءة في الخطاب الإسلامي، ولم ينشروا فوضى ضد أحدٍ، ولم يعيشوا في صراعٍ ونزاعٍ مع الناس في شأن السلطة والسياسية والقرار السياسي، وإنما توجهوا للمحافظة على قرار العلم وحفظ الديانة وبناء دولة القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية ونشر العلم مصحوباً بالوعي والمسؤولية والأدب الإسلامي، ومحافظين على قرار العلم والحكم واستقرار المجتمعات .

ونقول لجميع آل البيت شيعةً وسنةً، مذهبين وغيرهم، مذهب آل البيت مذهبٌ قيميٌ أخلاقيٌ إنسانيٌ عالميٌ، فاختاروا لأنفسكم أي مذهب فقهي أو انتماءٍ فكريٍ، فما عليكم إلَّا أن تعودوا في فكركم وتعاملكم وانتماءاتكم إلى القدوة العظمى النبي الأعظم ﷺ واعرفوا تعامله مع الموافق والمخالف والمحب والمبغض ومواقف أئمة آل البيت من بعده في تعاملهم مع متغيرات الحياة وتقلبات الأوضاع والحالات وتحولات السياسة والمواقف، فمذهب آل البيت الحقيقي هو مذهب القيم والآدب والمبادئ الإسلامية، والسمو الفكري في العلاقات الاجتماعية وإن تمذهبوا فقهياً .

وعلى آل البيت في المرحلة المعاصرة أن يسلكوا مسلك آبائهم وأجدادهم، وأن يكثروا النظر والتأمل في سلوكياتهم وتعاملهم لاسيما الذين يعيشون المتغيرات والفتن السياسية، وأن يرتفعوا بعقولهم وتصرفاتهم عن سفاسف الأمور حتى لا يكونوا سلَّماً لأصحاب الأغراض والأمراض وأدواتٍ لأهل النزوات، فكلما ابتعد آل البيت عن المنهج القيمي الأخلاقي الإنساني والعالمي، ابتعدوا عن منهج جدهم الأعظم ﷺ وابتعدوا عن منهج أئمة آل البيت الكرام وأصابهم ما أصاب الأمة من سياسة أهل الإفراط والتفريط، والتمحور والضيق في الأفق والفكر والذوبان في الأفكار القاصرة، وحولوا أنفسهم إلى أدوات لتدمير الأمة والمجتمعات، فليسوا معصومين مما تعاني منه الأمة وما يدور فيها من إفراطٍ وتفريطٍ

وتنافسٍ وتحريشٍ وجهالةٍ وتمحورٍ وتعصبٍ وانتماءاتٍ طبقيةٍ فواجبهم الارتقاء بأنفسهم إلى مستوى الإسلام والتزام القيم الأخلاقية في التعامل مع التكوينات الفكرية والسياسية والمذهبية؛ ليجسدوا الحقيقة الإسلامية القيمية .

ثامناً: المبادئ التي ينبغي أن يتحلى بها آل البيت النبوي في مرحلتنا المعاصرة

ينبغي أن يتحلى آل البيت النبوي في مرحلتنا المعاصرة بجملةٍ من المبادئ والقيم الأخلاقية والسلوكية والفكرية والمعرفية ؛ لتبرز منهجيتهم في الالتزام بثوابت الإسلام وأسسه، والاقتداء والاهتداء بالرسول الأعظم ﷺ في حياتهم العامة والخاصة وعلاقتهم بالواقع ومكوناته وشرائحه الاجتماعية والفكرية والسياسية وغيرها من منطلق المسؤولية والعبودية لله ﷻ بعيداً عن المزايدات والمكاسب الدنيوية والمظاهر الفانية والاعتداد بالذات والعبث بالانتماء . والمتأمل لكثيرٍ من آل البيت في المرحلة المعاصرة يجد أنهم ابتعدوا عن كثيرٍ من القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية، وخَيَّم عليهم الجهل بالإسلام، مثلُهم مثلُ غيرهم من المسلمين.

فكلما ابتعد آل البيت النبوي عن منهج الإسلام وعن صاحب القدوة الحسنة جدِّهم الأعظم ﷺ ، انحرفوا في فكرهم وسلوكهم وعلاقاتهم وذابوا في هذا الواقع المتناقض والملوث بكثير من الأفكار المتناقضة والمتصارعة والمتساقطة كما سبق معنا، وكلما التزموا بالمبادئ التي تعيد لهم شرف الانتماء إلى الإسلام وشرف الانتساب إلى منهج أئمة آل البيت الكرام، استقاموا ولن يعيدوا هذا الشرف إلا بالتزامهم بمنهج الإسلام عموماً وقيمه الأخلاقيةِ والسلوكيةِ ومواقفِ أئمةِ آلِ البيتِ خصوصاً ونستطيع أن نلفت آل البيت النبوي في هذه المرحلة المعاصرة إلى جملة من المبادئ والأخلاق عليهم الالتزام بها في حياتهم اليومية وعلاقاتهم العامة، فقد انتهجت كثيرٌ من الجماعات والحركات والأنظمة السياسية سياسة الملك العضوض في جوانب عدةٍ فكريةٍ وثقافيةٍ؛ لتشويه آل البيت لأنَّ العضوضية ليست شخصاً، بل منهجاً وفكراً وثقافةً تتجدد في كل مرحلة، ولها أشخاصٌ ومؤسساتٌ

وسياساتٌ وأنظمةٌ وعلماءٌ ومفكرون ومثقفون وإعلاميون يعملون ليلَ نهارَ على تشويه آل بيت النبوة من منطلق الحقد والأنانية والبغض، مكسوٍ بمحاربة الطبقية والسلالية والعرقية والوهم الفكري الموجود في أذهانهم وفي ظل هذه الحملات التي يقوم بها هؤلاء لا بد من المراجعة للذات ليس من أجل هؤلاء ولكن كواجب شرعي يلزمنا به الإسلام يتمثل في المحاسبة للنفس والمراقبة لله وإعادة ترتيب الذات استشعاراً للمسؤولية نحو شرف الانتساب للديانة وشرف الانتساب إلى البيت النبوي وإعادة منهج الأبوة إلى الأسرة والتعامل في الواقع .

إننا آل البيت النبوي سواء أهل الإفراط والتفريط أو أهل النمط الأوسط نواجه سياسةً تشويهيةً، وسياسةً إعلاميةً ظالمةً مبرمجةً، يعيدُ ويديرُ معالمها الشيطان والدجال وأعوانهما من أصحاب المدرسة الأنوية الإبليسية، وهذه السياسة لا تفرق بين الصواب والخطأ ولا بين المنهج والذات؛ ولهذا لا بد وأن يعيد آل البيت النبوي ترتيب أنفسهم في بيوتهم وذواتهم وعلاقاتهم، وأن يعيدوا ترتيب عقولهم ونفوسهم ووجدانهم وعواطفهم وفق منهج الإسلام بمصدريه" الكتاب والسنة" ويعيدوا المعادل الثالث" أخلاق النبوة" إلى حياتهم السلوكية وهذه الإعادة تحتاج إلى همةٍ وعزيمةٍ وجدٍ واجتهادٍ ومصداقيةٍ، وإعادةُ ترتيبِ أنفسهم وذواتهم يخضع لجملة من المبادئ والأسس التي ينبغي الالتزام بها متمثلة في الآتي:

١- عليهم أن يستشعروا ويقدروا شرف الانتساب إلى الإسلام فهو الأصل .

أَبِي الإِسْـــــلَامُ لَا أَبَ لِيْ سِـــــوَاهُ إِذَا افْتَخَـــــرُوْا بِقَـــــيْسٍ أَوْ تَمِـــــيْمِ

والتحلي بتقوى الله ﷻ بالسر والعلن، فلا مكانة لإنسانٍ عند الله إلا بتقواه قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]. وأنهم سيقبلون على الله بأعمالهم لا بأنسابهم وأعراقهم، فالإسلام من أعظم النعم التي من الله بها على الإنسانية، وهو الارتضاء الرباني لها بقوله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

وتقوى الله منهج الخلاص وبه تكون النجاة يوم لا مناص وبه تنال المنازل يوم القيامة يقول ابن الوردي- رحمه الله-:

اتَـــــقِ اللهَ فَتَقْـــــوَى اللهِ مَـــــا جَـــاوَزَتْ قَلْـــبَ امْـــرِئٍ إلَّا وَصَـــلْ

وقالَ الإمَامُ البستي:

مَــــنْ يَتَــــقِ اللهَ يُحْمَـــــدْ فِيْ عَوَاقِبِــــهِ وَيَكْفِيْــــهِ شَرَّ مَــــنْ عَــــزُّوْا وَمَــــنْ هَــــانُوْا

٢- أن يحافظوا على العلم والعمل في بيوتهم ومنهج السلوك ولو بالحد الأدنى، فبالعلم والعمل يكون شرف الانتساب، ويرفع به أناساً:

فَـــالْعِلْمُ يَبْنِـــيْ بُيُوْتـــاً لَا أَسَـــاسَ لَهَـــا وَالْجَهْـــلُ يَهْـــدِمُ بُيُـــوْتَ الْعِـــزِّ وَالْـــشَّرَفِ

وبالجهل يسقط الفرد والأسرة والمجتمع مهما كانت لها من شرف وعزة ومكانة وحضارة .

وقد تحدث القرآن عن العلم في أكثر من سورة فالإسلام دين العلم والمعرفة قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[١].

وقال الحسن البصري: لولا العلماء لكان الناس كالبهائم. وما أسجد الله ملائكته لآدم إلا لشرف العلم الذي منحه الله إياه.

فآل البيت ينبغي أن يحافظوا على منهج العلم أياً كان نوعه شرعياً أو خدمياً لنفع الأمة، ويعملوا على إعادة التعليم الأبوي في بيوتهم، فيربطوا أبناءهم به تعليماً وتربيةً بدل أن تتخطفهم الأفكار الضيقة والمتطرفة والعلمانية والعولمية، وغيرها من الأطروحات ذات النقض والقبض وتوظفهم في محاربة الإسلام والمسلمين ومحاربة المناهج الإسلامية الأبوية وإيجاد ثقافة التنكر والسخرية بالنسب والمنهج .

٣- أن لا يتخندقوا حول آراء وأفكار وانتماءات ضيقة، فهم أرقى من أن يتمحوروا حول تصورات ضيقة وتأسرهم الإفرازات السياسية والأفكار القاصرة.

---

١ - رواه ابن ماجة في سننه برقم (٢٢٤)، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٤- أن يتحلوا بالأخلاق القرآنية والنبوية في علاقاتهم الاجتماعية والإنسانية؛ التزاماً وإحياءً لأخلاق الإسلام؛ واهتداءً واقتداءً بسيد الأنام محمد ﷺ ومنهج وسلوك أئمة آل البيت الكرام - رضوان الله عليهم -كالتواضع والصبر والحلم وتحمل الأذى وحسن الملاطفة للناس وإسداء المعروف إليهم.

٥- أن يشاركوا الناس في همومهم وأحزانهم ومتغيرات حياتهم اقتداء بجدهم الأعظم ﷺ ، وأداءً لحقوق المسلم على المسلم لقوله ﷺ : (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله ؟. قَالَ: « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَّ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ) [1].

٦- المحافظة على الشعائر الإسلامية كحضور صلاة الجماعة والعيدين والمحافظة على السنن المؤكدة مثل صلاة الضحى والتراويح والأعياد وغيرها مع الناس وترك الحضور سلم للقدح والغمط والذم ومادة إعلامية للمناوئ ولمن استولت على قلبه الأنانية والأنوية.

٧- ألا يخوضوا فيما يخوضه أهل السياسة غير المنضبطة بقيم الإسلام الأخلاقية في مجالسهم ولقاءاتهم، بل عليهم أن يقدموا نموذجاً راقياً في تناول الأحداث والمتغيرات، ولن يستطيعوا أن يقدموا النموذج الراقي إلا بالتزامهم لمنهج الإسلام الحق ورجوعهم إلى منابعه الأصلية الكتاب والسنة والأخلاق، وإعادة منهج القدوة الحسنة المتمثلة بالسلوك النبوي في معاملاته مع الموافق والمخالف والمحب والمبغض وسنة المواقف جزء هام في هذا المضمار.

٨- أن يوسعوا مداركهم العلمية والمعرفية ويطلعوا على الجديد في العلوم الحديثة من أجل أن يوظفوها في خدمة الدين والدعوة إلى الله ﷻ وتبيين منهج آل البيت أهل النمط الأوسط في خضم الأفكار المتصارعة والمتنازعة وسياسة التفريط والإفراط المتبعة في تناولهم كذوات وتناول منهجهم.

٩- عليهم أن يطلعوا على الأفكار الحديثة ومناهجها الفكرية كالمذهب الوجودي والمادية الجدلية والتاريخية والعلمانية والبهائية والقاديانية والاشتراكية والرأسمالية والفلسفية حديثها وقديمها ؛ لأن بعضها امتداد لفلسفات قديمة طورت ويطلعوا على منهجية الإلحاد

---

١ - رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٧٧٨).

وأسبابه وآثاره لأن المرحلة تقتضي ذلك.

١٠- إذا منحهم الله مكانة اجتماعية ووجاهة لدى الجهات الحكومية وشبه الحكومية فعليهم ألَّا يتأخروا في خدمة الناس وحل قضاياهم وقضاء حوائجهم إلَّم يؤثر على دينهم :" فخير الناس أنفعهم لعياله". فإلَّم يستطيعوا، فليردوا الناس بلغةٍ أخلاقيةٍ ويبنوا لهم العذر.

١١-أن يحافظوا على منهجهم منهج النمط الأوسط الذي أرساه سيد الأولين والآخرين في أصحابه وآل بيته الكرام ودعا إليه، ولا يقعوا في مناهج الإفراط والتفريط التي وقع فيها من أهل السنة الغلاة ومن الشيعة الغلاة ، فآل البيت بعيدون بمنهجهم عن المغالاة في المحبة والمعبر عنه بمنهج الإفراط والجفاء، والبغض والمعبر عنه بمنهج التفريط والذي وقع فيه بعض أهل السنة .

فمنهج آل البيت منهجٌ وسطيٌ لا إفراط فيه ولا تفريط، فعليهم أن يحافظوا على ذواتهم ويربوا أبناءهم على المنهجية الوسطية ويتعاملوا بها في حياتهم وعلاقاتهم.

١٢- ألَّا يكونوا أدواتٍ وأوراقاً لصراع السياسيين وأصحاب المصالح الدنيوية أو صراع الطائفيين والمتعصبين فهم أرقى من أن يكونوا أوراقاً بيد الغير يعبث بها كما يريد.

١٣-لا تغرنهم العاطفة الجياشة البعيدة عن العقلانية والنصوص الشرعية، ولا يتأثروا بلغة الجفاء المبنية على الطبع ونزواته ، فالعاطفة بلا وعيٍ بلاءٌ، والجفاءُ والبغضُ شقاءٌ، ونحن لم نكتسب مكانتنا من أصحاب العواطف الهوجاء سلباً وإيجاباً.

١٤-ألا يقرؤوا أحداث التاريخ التي جرت بلغة السياسيين أو لغة أهل الإفراط والتفريط الذين لم يلتزموا بالنصوص الشرعية والمواقف الأخلاقية ، فالأحداث لا تتجاوز أزمنتها التاريخية ولا أشخاصها الذين خاضوها وجرها إلى غيرهم نوعٌ من الإفراط في فهمها.

١٥-أن يعملوا على جمع كلمتهم ووحدة مواقفهم في إعادة منهج سلفهم بعيداً عن التكتلات السياسية والعرقية، وألَّا يجعلوا من نسبهم عنواناً للفرقة والشتات فتغذى لغة هذا من ذرية الحسن، وهذا من ذرية الحسين، وهذا من ذرية فلان، ويجعلون ذلك وسيلة للفرقة والأنانية والمماحكات.

وقد تحدث شيخنا عن منهج آل البيت في هذه المرحلة الدقيقة، وكيف ينطلقون من

أسس دعوية وتربوية وفكرية أضيفها إلى ما تقدم من المبادئ الإسلامية التي ينبغي لآل البيت أن يتحلوا بها:

الأساس الأول: تصحيح أوضاع مدرسة آل البيت المعاصرة ممّا شابها عبر المراحل المتقلبة؛ لتبقى في أدنى صور عالميتها النافعة.

الأساس الثاني: الاهتمام المتواصل بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم الناس مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأساس الثالث: إنكار الذات وعدم مطالبة الأمة موافقاً ومعارضاً محباً ومبغضاً بأي حقٍ أو ميزةٍ أو مقامٍ اجتماعي .

الأساس الرابع: تجنب الاصطدام المباشر بأي تيارٍ حزبيٍ أو فئويٍ يخالف منهج آل البيت ويدعو الناس لكراهيتهم أو أذيتهم ويكفي معالجة الأمر بالحسن واللطف.

الأساس الخامس: مناصحة الحكام، وبسط يد المساعدة لشعوبهم بنشر العلم والتعليم والتربية الإسلامية وإنكار الظلم والبغي والعدوان.

الأساس السادس: الاعتناء الكلي بالتربية الإسلامية والدعوة بإنشاء الأربطة والمعاهد الدينية.

الأساس السابع: بذل الجهد في خدمة الإسلام والمسلمين في المسجد والمجتمع والإدارة وفي كافة شؤون الحياة الاجتماعية ومعالجة الانحرافات المتفشية وخاصة من أولئك الشباب الذين يعملون في المدارس والجامعات والإدارات الحكومية وشبه الحكومية دون إثارة الحفيظة العرقية بين الناس.

الأساس الثامن: تكريس الجهد الذاتي والعام من كل منتمٍ لآل البيت النبوي في سبيل دعوته للتوبة والالتزام بالواجبات الشرعية المفروضة على المسلم، وكثرة الذكر لله في السراء والضراء والصلاة على نبيه محمد ﷺ.

الأساس التاسع: ترك المجادلة مع الموافقين أو المعارضين في أي مسالة كانت من مسائل الخلاف والاكتفاء بإرجاع الناس إلى العلماء أو إلى الكتب والمصنفات وإذا لزمت المجادلة فتكون " بالتي هي أحسن".

الأساس العاشر: الالتزام الصادق من الفرد المتبع لهذا المنهج المبارك بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ في السر والعلانية والمنشط والمكره.

الأساس الحادي عشر: محبة المسلمين أجمعين وعدم إضمار العداوة لأحد منهم، ولو بدا منه الجفاء والعداوة ومسامحتهم في ما يقولون أو ينبزون به الفرد المخاطب ، أما إذا كان النبز والشتم في حق عالمٍ أو عقيدةٍ أو مذهبٍ فيجب الرد بالحسنى والإيضاح باللين " لمن تنفع الحسنى واللين معه" وإلَّا فإن الإعراض عن مثل هؤلاء هو الجواب المناسب "وكفى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] . وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

الأساس الثاني عشر: التعاون التام في سبيل إصلاح المجتمع مع الصالحين من أفراد التيارات والجماعات الدينية ذات الاتجاهات السلمية من منطلق القواسم المشتركة في الإسلام ودون الانخراط في شيء من الخلايا أو الجماعات أو التنظيمات والمناصحة للجميع بالحكمة والموعظة الحسنة.

الأساس الثالث عشر: العمل المشترك والطوعي مع كل من يحب الإسلام ويدين به من أجل جمع كلمة المسلمين على ما تيسر من ضوابط الشريعة والدعوة العامة والخاصة"[١].



١ – التنصيص المثبوت ، ص ٣٥ وما بعدها بتصرف ، مصدر سابق .

وأخيراً لماذا لا أكتب عما منحه الله من عطايا ومكرمات وكرامات؟

قد يقول قائل: قد وفقك الله لأن تكتب عن هذا العلم واستوعبت بعضاً من جوانب مشروعه، فلماذا لا تكتب عمَّا أعطاه الله من كرامات من أجل أن تكتمل الرؤية؟.

وأقول: ما كتبته في هذا البحث عن شيخنا الحبيب: أبي بكر العدني بن علي المشهور – حفظه الله – إنما هو تعريف لهذه الأجيال بهذه الشخصية العلمية والعالمية والتي تحمل مشروعاً هاماً في هذه المرحلة العصيبة ذات التحولات والمتغيرات العالمية من أجل أن أعرف جيلي بصاحب هذا المشروع أولاً وبمشروعه العلمي والفكري والتربوي والتجديدي في مجالات عدة ثانيا وأضعهم أمام هذا المشروع وجها لوجه ثالثاً، وشيخنا الحبيب أبو بكر بما يحمله من رؤية عميقة وواسعة للحياة وللدين وإدراك واعي لنصوص الديانة لا يفي هذا البحث بحقه ولا يرتقي إلى أن تدرك حقيقة مشروعه في أكثر من مجال ، ولكنها محاولة قاصرة للتجول في ساحة عالميته العلمية وإدراكاته المعرفية ومعالمه الواعية الواسعة ، وما منحه الله من معارف وعلوم ومنهجية ومن لغة تجديدية في الخطاب والدعوة وتجديد الركن الرابع من أركان هذا الدين .

وما وهبه الله من مواهب إبداعية في كتاباته في أكثر من مجال يعتبر منحة ربانية لمدرسته ولأهله وذريته، ومنحة ربانية لنا طلابه ولأهل عصره، وهذه في نظري أكبر كرامة ومنحة ربانية له ولهذه الأمة ولابد أن تستوقفنا ملياً فهي تخصنا وتعنينا وتهمنا ؛ لأنها تتعلق بتنمية عقولنا وفكرنا وتوازن سلوكنا، وتحفظنا عن كثير من الأفكار الهدامة لثوابت الإسلامية ومنهجية مدارسنا التقليدية ذات النمط الذوقي والمذهبي والمحبة المتوازنة.

ما تفضل الله به على شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور من عطايا ومكرمات وحباه من فضلٍ وما وفقه الله من كتابة أو إنشاء مؤسسات دعوية هي الكرامة الحقيقية والمتعدية إلى غيره من أبناء مدرسته وغيرهم من المسلمين ، إنه فلتةٌ من فلتات تاريخ هذه الأمة ، والتحدث عن كراماته الخارقة للعادة تحدث عن عطاءٍ ربانيٍ خاصٍ به، ولكن ما كتبه

في كتبه وما أبرزه في محاضراته ولقاءاته وخطابه وما يحمله في ذهنه مشروعٌ يخص هذا الجيل، وهذه الأمة، وهذه هي الكرامة التي ينبغي أن نتحدث عنها ونعلم ونثقف جيلنا التائه والحيران والمتشتت فكرياً وذهنياً ومعرفياً وثقافياً بها.

ثم إنَّ الكرامة داخلة تحت دائرة الأمور الخارقة للعادة بمعنى أنها ليست داخلةً تحت دائرة التكليف، بل عطاءٌ ربانيٌ محضٌ لا علاقة لصاحبها بإيجادها، وإن كان شيخنا من أهل الولاية والمعرفة والفيض الرباني مؤهلٌ لأن يجري الله على يديه كرامات، ولكن قد لا يجري الله على يَدَيْ وليٍ بلغ مرتبة الصديقية الكبرى كرامة، فهي ليست شرطاً للولاية ، فالكرامة الحقيقية هي الاستقامة والخضوع والتذلل والعبودية لله ﷻ، وما يجري الله على يديك من تجديد لهذا الدين وإيقاظ لهذه الأمة ونهضة فكرية وتربوية ومعرفية وحضارية بالمعنى الشرعي الذي يريده الله ، وما يجري الله على يديك من نقلة علمية توعوية نوعية لهذا الجيل وما يوفقك الله به من إيجاد جيل يحمل لواء الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

أما إنها لا تكتمل الرؤية لهذا العلم إلا بالتحدث عن كراماته فلا أرى ذلك بل تكتمل الرؤية عنه بفهم منهجه وأقول: ومن منظوري القاصر بأن الله إذا وفقك لطاعته ومراقبته وامتثال أمره واجتناب نهيه ووضعت بصمات في الخير في مجتمعك في المجال العلمي والمعرفي والتربوي والاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي واستخدمك في إحياء الدعوة والمنهج الإسلامي في مجال التربية والتعليم والتوعية فقد أجرى الله على يديك كرامة، ولهذا لم أكتب عن كرامات شيخنا الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور - حفظه الله - من منظور ما فهمه كثيرٌ من المتأثرين بالانفعالات غير الإرادية وخوارق العادات التي تحدث لبعض الصالحين وهذا لا يعني أني أنكر الكرامات لأولياء الله الصالحين وعباده المقربين، وشيخنا الحبيب منهم ولا أشك في ذلك .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأخذ بأيديننا إلى كل خير وصرف عنا كل ضير والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .




المؤلف في سطور

الاسم : محمد حمود عبد الرحمن الأهدل .

ميلاده: من مواليد محافظة تعز مديرية شرعب السلام منطقة الأجمود، عام : ١٣٩١هـ.

دراساته: درس على يد والده : حمود عبدالرحمن قاسم الأهدل- حفظه الله ورعاه- ، وجده لأمه السيد : عبد الله بن أحمد عبد الباقي الأهدل- رحمه الله وأكرم مثواه- ، وجده لأبيه السيد: العلامة عبد الرحمن قاسم الأهدل - ﷺ-. وهاجر إلى مدينة العلم والعلماء زبيد، ومكث فيها عشرة أعوام طالباً للعلم على يد علمائها في أكثر من فنٍ من فنون المعرفة .

بعض شيوخ التلقي والتربية :

١. السيد العلامة : محمد بن سليمان الأهدل مفتي زبيد- رحمه الله تعالى- .
٢. السيد العلامة: أحمد داود البطاح الأهدل- رحمه الله تعالى- .
٣. العلامة: أسد حمزة عبدالقادر الأوسي- رحمه الله تعالى- .
٤. السيد العلامة أبوبكر العدني بن علي المشهور- رحمه الله تعالى- .
٥. العلامة: أحمد حزام عبد الله الشرعبي- رحمه الله تعالى- .
٦. السيد العلامة: محمد بن علي البطاح الأهدل- رحمه الله تعالى- .
٧. العلامة : حسين محمد عثمان الأصابي- رحمه الله تعالى- .
٨. العلامة : علي البيلولي- رحمه الله تعالى- .
٩. العلامة : سعيد الأنصاري- رحمه الله تعالى- .
١٠. العلامة: عبدالله بن يحيى الأنباري- رحمه الله تعالى- .
١١. العلامة: محمد حزام المقرمي- رحمه الله تعالى- .
١٢. العلامة : عبد الواسع أحمد عبد الله الذبحاني- رحمه الله تعالى- .
١٣. العلامة:محمد بن على بن يحيى النور- رحمه الله تعالى- .

بعض شيوخ الإجازات :

١. العلامة الدكتور: محمد بن علوي بن عباس المالكي- رحمه الله تعالى-.

٢. السيد :إبراهيم بن عمر بن عقيل– رحمه الله تعالى–.
٣. الشيخ العلامة: سالم الشاطري– رحمه الله تعالى–.
٤. الشيخ العلامة: إسماعيل عثمان زين– رحمه الله تعالى–.
٥. الشيخ العلامة: أحمد جابر جبران– رحمه الله تعالى–.
٦. السيد :محمد بن محمد بن عبده سليمان الأهدل – حفظه الله تعالى–.
٧. الشيخ العلامة: عبدالرحمن قحطان– حفظه الله تعالى–.
٨. الشيخ العلامة: سعيد دبوان العبدلي.
٩. الشيخ العلامة: الفقيه سيف مرشد.
١٠. الشيخ العلامة: الحبيب صادق العيدروس.
١١. الشيخ العلامة: عبد الباري السروري.
١٢. الشيخ العلامة: حمود بن شميلة الأهدل.
١٣. الشيخ العلامة: محمد بن إسماعيل العمراني.
١٤. الشيخ العلامة: حمود عباس المؤيد.
١٥. الشيخ العلامة: عبد الله بن حسين الجعدي.
١٦. الشيخ العلامة: أحمد مهيوب.
١٧. الشيخ العلامة: محمد بن أحمد بن داود البطاح الأهدل.
١٨. الشيخ العلامة: حميد عقيل.
١٩. الشيخ العلامة: محمد عبد الله حسان.
٢٠. الشيخ العلامة: ناصر محمد الشيباني.
٢١. السيد العلامة: القاضي أحمد محمد الشامي.
٢٢. السيد العلامة: محمد بن يحي المطهر.
٢٣. السيد العلامة: عبد الله بن علي بن قاسم الأهدل.
٢٤. الشيخ العلامة: عبد الكريم علي هائل اليوسفي .
٢٥. الشيخ العلامة: محمد علي بن عمر الزيلعي.
٢٦. السيد العلامة: حسين محمد عبد الله الهدار.

٢٧. الشيخ العلامة: أحمد عامر مفتي مديرية الزيدية الحديدة .
٢٨. الشيخ العلامة: محمد سعيد السحاري.
٢٩. الشيخ العلامة: المفسر محمد علي الصابوني.
٣٠. الشيخ العلامة: محمد عوض منقش.
٣١. الشيخ العلامة: عبدالجبار مهيوب .
٣٢. الشيخ العلامة: محمد الحريري .

أعماله ومشاركاته :

- عمل في سلك التربية والتعليم لأكثر من ستة عشر عاماً مدرساً في المعاهد والمدارس .
- عمل مدرساً لمادة الأصول والفقه في الجامعة اليمنية .
- عمل مدرساً للفقه وأصول التربية واللغة العربية في جامعة السعيد .
- يعمل مديراً للإرشاد والتوجيه في مكتب الاوقاف محافظة تعز .
- مدير لرباط العلوم الشرعية والتربوية في محافظة تعز .
- عمل مديراً لمنتدى السلامة الثقافي بتعز، التابع لمركز الابداع وإحياء التراث .
- عمل مديراً لمعهد السعيد للعلوم الشرعية التابع للجمعية الخيرية لهائل سعيد وشركائه.
- عمل إماماً وخطيباً لجامع الجمالي بتعز لمدة خمسة عشر عاماً .
- عمل إماماً وخطيباً لجامع السعيد بتعز منذ ٢٠٠٨م الي يومنا هذا .
- شارك في أكثر من ملتقى إرشادي تقيمه وزارة الأوقاف والإرشاد .
- شارك في العديد من الحلقات العلمية التابعة لأربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية .

بعض كتاباته وبحوثاته :

١. فقه المناسبات والأحداث في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، (رسالة ماجستير) .
٢. فقه الحوار في القرآن وأثره في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية (رسالة دكتوراه) .
٣. فقه التعايش السلمي والعيش المشترك في ضوء مقاصد الشريعة .
٤. الإمام والداعية الإسلامي الحبيب أبو بكر العدني بن علي المشهور .

٥. منهجية الدعوة والتعايش السلمي في حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن .
٦. قضايا موضوعية في مسيرة العمل الإسلامي .
٧. قواعد فقه التحولات وشرحها .
٨. من وحي المناسبات .
٩. دراسة تحليلية في كتابي الأطروحة ومنهج السلامة .
١٠. القراءة بناءٌ للذات ولغة الحضارات .
١١. تجربتي في الطلب .
١٢. تأملات قرآنية .
١٣. فقه الأولويات عند الإمام عبدالله بن علوي الحداد في كتابه رسالة المعاونة .
١٤. المعالم التربوية في حياة الإمام عبدالهادي السودي العلمية والمعرفية .
١٥. فقه التحولات بين منهج الأصالة والتجديد .
١٦. هكذا علمتني الأحداث .
١٧. الأسس العلمية والتربوية للمدرسة الأهدلية .
١٨. دراسة السيرة النبوية وأهميتها في تكوين العقل والسلوك وتحديد الهوية الإسلامية للفرد والمجتمعات .
١٩. مجموعة مقالات في الفكر والمنهج .
٢٠. رسائل وتعازي .
٢١. توجيهات إسلامية (الخطب المنبرية) .

منهجيته :

لقد صاغه شيوخه صياغة علمية متعددة الجوانب وتأثر بمنهجيتهم التعليمية والتربوية والسلوكية عموماً، وبمنهجية شيخه السيد العلامة والداعية المربي أبي بكر العدني بن علي المشهور تأثراً واعياً .

رباط تعز للعلوم الشرعية والتربوية

التابع لأربطة التربية الإسلامية ومعاهدها التعليمية والمهنية

فهرسة المراجع

- القرآن الكريم .
- صحيح البخاري ، الطبعة الأولى ، دار الشعب – القاهرة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة – بيروت .
- سنن أبي داود ، دار الفكر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
- سنن البيهقي، الطبعة الأولى ، جامعة الدراسات الإسلامية + دار الوعي + دار قتيبة ،١٤١٢هـ –١٩٩١م .
- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- سنن ابن ماجه ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- المستدرك الحاكم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
- مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، تعليق شعيب الأرنؤوط .
- النسائي ، الطبعة الثانية ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة.
- الفتن لنعيم ابن حماد الطبعة الأولى ، الطبعة الأولى ، مكتبة التوحيد – القاهرة ، ١٤١٢هـ ، تحقيق : سمير أمين الزهيري .
- البوطي: محمد سعيد رمضان:

١-الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ ، وكيف نمارسه؟، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢-بحوث ومقالات مهداة إليه، الطبعة الأولى ، دار الفكر.

٣-حوار حول مشكلات حضارية، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

- المشهور: أبو بكر العدني بن علي:

١- إحياء لغة الإسلام العالمية، نشر أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية، الطبعة الثانية : ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٢- إحياء منهجية النمط الأوسط، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٣- إظهار العلم المكنون عن نماذج حيصات الفتن والرداح المطبقة والشرف الجون، الطبعة الأولى، دار المعين للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.

٤- الأسس والمنطلقات في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٥- الأطروحة وجهة نظر تحليلية لمحو الأمية الدينية المطبقة على الواقع الإعلامي المعاصر،الطبعة الثانية،فرع الدراسات وخدمة التراث،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

٦- التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث،١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٧- التنصيص المثبوت لإبراز المواقف العالمية في منهج آل البيت بحضرموت، الطبعة الثانية، فرع الدراسات وخدمة التراث ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ م.

٨- الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م.

٩- المرصد النبوي تقارير واستقراءات ودراسات من واقع القراءة النصية لفقه التحولات، الطبعة الأولى، دار المعين للنشر والتوزيع ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.

١٠-المواجهة السافرة لإدانة طرفي الإفراط والتفريط وتسييسهما بين المصلين في المرحلة المعاصرة، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث الطبعة الأولى١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١١-المناصرة والمؤازرة ، الطبعة الثانية، مركز الإبداع للدراسات ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢-المهيع الواضح الميمون شرح منظومة الفكر الأبوي المأمون في طريق السلامة النبوي المضمون، الطبعة الأولى، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ٤١٤٣هـ .

١٣-الوثيقة، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣٤هـ .

١٤-دليل الطاعة قدر الاستطاعة ، الطبعة السادسة ، دار المعين للنشر والتوزيع ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.

١٥-دوائر الإعادة ومراتب الإفادة في شرح علوم الدين وأركانه الأربعة مجتمعة لا متفرقة مع إعادة تحليل المسميات للعلوم من وجهة نظر الرباعية الشرعية ، الطبعة الأولى، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٦-قبسات النور ، الطبعة الأولى، دار الرازي للنشر والتوزيع ، دار الفقيه للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٧-لسان المنبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الطبعة الأولى، فرع الدراسات وخدمة التراث، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م القسم الأول .

١٨-مجموعة مقالات تأصيل مجموع لوعي مشروع ، ١٤٣٤هـ .

١٩-منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي ، شرح منظومة دليل الساعي إلى أفضل المساعي، الطبعة الثانية، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م .

٢٠-الزوبعة العاصفة، الطبعة الأولى، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٢١-رسالة شخصية، الطبعة الأولى ، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

٢٢- ورقات في الحبيب عبد القادر السقاف، لم تطبع .

٢٣- الحفر على جدران الذاكرة ، لم يطبع .

٢٤-الخروج من الدائرة الحمراء ، الطبعة الأولى ، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢٥-الرموز والأصابع بين قرامطة الأمس وقراصنة اليوم ، الطبعة الثانية ، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- الهدار : حسين بن محمد الهدار : ديوان صدى الذكريات شعر وحكاية .
- هويدي ، فهمي: أزمة الوعي الديني.
- خالد محمد خالد : الموعد الله

الفهرس العام


تمت بحمد الله